المركبيل المستاور في في المركبيل المستاور المركبيل المستاور

تصنيفت

الْغُلَّامَةُ لَالْمِيْتِي مِحَدَّقِي لَلْرِيهُ بَهِ مَحَبْرِ لَلْقَالْخِرْ لِلْهِ لَكِي

مطت في للنه تعادي

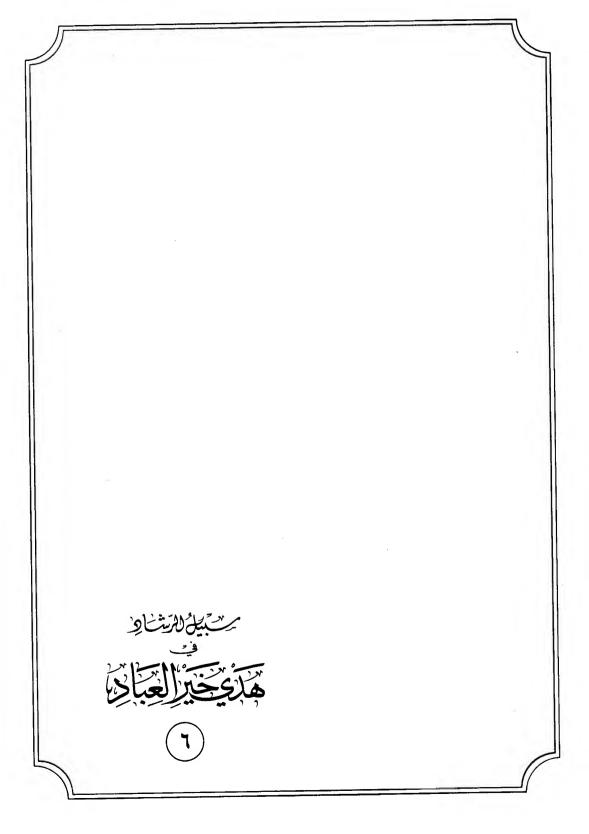
(۱۳۱۱ - ۲۰۶۱ هـ)

(۱۹۸۷ - ۱۸۹۳ مر)

قرَّه وَعلَّوْعَكِيهُ وَقَيْم لَهُ وَخَرَى أَكَادِينَهُ الْمُعَرِّمِ الْمُعَادِينَهُ وَالْمُعَلِّمُ الْمُعَلِّ

المجريح السكادش

البالإرتيا



جَمَيْتُ فُلُ كُفُوْقِ مَحْفَظَتُمُ الطَّبُعَـُ تَلِلاً وَلَمِنْتُ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦

الدائللاثيني

مسترا را الآردن - تلفاكس : معرف : معرف الآردن المعرب : معرف المعرب معرف المعرب المعرب



برانسدارهمن الرحم

نفي التشبيه والتمثيل والتأويل والتعطيل عن صفات الله تعالى

اعلم أن المنتسبين إلى الإسلام على ثلاثة أقسام؛ قسم نفوا بعض صفات الله تعالى أو كلها، فالمتفلسفون نفوا الصفات كلها إلا الوجود، وزعموا أنهم بذلك نزهوا الله تعالى عن مشابهة مخلوقاته. والجهمية ومن سلك طريقهم حكموا عقولهم الفاسدة في صفات الله تعالى فأثبتوا بعض الصفات ونفوا بعضها، وزعموا أن ما نفوا منها فيه تشبيه وتمثيل، كصفة العلو والاستواء التي تقدم بيانها، وصفة الكلام الذي هو عربي أو عبراني أو سرياني أو غير ذلك بحروف وأصوات، وتقديم وتأخير.

وقد تقدم الكلام فيه مستوفى، ورؤية المؤمنين ربهم بأبصارهم يوم القيامة يتجلى لهم ضاحكاً ويتنعمون برؤيته ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد تقدم ذلك بغاية التحقيق، وينفون كذلك نزول الله إلى السماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء، ومحبته لعباده المؤمنين ورضاه عنهم وبغضه للكافرين وغضبه عليهم وفرحه بتوبة عبده المؤمن وعجبه وضحكه. إلى غير ذلك مما يزعمون أن فيه تشبيها، وسبب ضلالهم أنهم لم يفهموا من الفوقية والنزول والقرب والمحبة والبغض والرضى والسخط والفرح والضحك إلا ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولو أنهم اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وأهل القرون المفضلة لعلموا أن ذات الله لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات، وهم يعترفون أن لله علماً وقدرة وإرادة، ولكن شتان ما بين علم الله وعلم المخلوق، وشتان ما بين علم الله وجياة المخلوق، وشتان ما بين حياة الله وحياة المخلوق، وشتان ما بين حياة الله وحياة المخلوق.



فكذلك نقول: لله كلام وعلو ونزول ومجيء ورضى ومحبة وسخط وغضب لا تشبه صفات المخلوقين، فهؤلاء متناقضون فيما يثبتون وفيما ينفون، أو يحرفون فيقولون: ﴿أَسْتَوَكَلُّهُ: استولى، ﴿وَجَاءَ رَبُّكُ ﴾: جاء أمره، ويؤولون الرضى والمحبة والضحك والفرح بالثواب والكراهية والبغض والغضب والسخط بالعقاب وهم محجوجون؛ لأنه يرد عليهم فيما أثبتوه ما أوردوه على غيرهم فيما نفوه، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، نسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا على دينه.

إرادة الله ومشيئته

- ١ ـ قال تعالى في سورة الدهر: ﴿ وَمَا تَشَاءُ ونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
 ١ ـ قال تعالى في سورة الدهر: ﴿ وَمَا تَشَاءُ ون كَمْ عَدْاً اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ عَدْاً اللَّهُ الل اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا
- ٢ ـ وقال تعالى في سورة التكوير: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩].
- ٣ ـ وقال تعالى في آخر سورة يس: ﴿إِنَّمَا آمَرُهُۥ إِذَا أَرَادَ شَيْعًا أَن يَقُولَ لَهُم كُن فَيكُونُ
 شَيْء وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿إِنَّهُ أَنْ مَنْ إِيكِهِ مَلَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ إِن اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّ
- ٤ ـ وقال تعالى في آخر سورة يونس: ﴿وَإِن يَمْسَسُكَ آللَهُ بِضُرِ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ اَ لَهُ اللّهُ إِلَّا هُو وَلَا كَارَدُ عِنْدِ فَلا رَآدً لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُو اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ
- وقال تعالى في سورة البروج: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِكَ لَشَدِيدٌ ﴿ إِنَّهُ هُو بُبْدِئُ وَنُعِيدُ ﴿ وَعَلَمُ لَلَهُ مَالًا مُرَالًا اللهِ وَعَلَمُ الْعَمْوُرُ الْوَدُودُ ﴿ وَالْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿ فَعَالُ لِمَا يُرِيدُ ﴿ ﴾ [البروج: ١٢ ـ ١٦].
- حقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ اللَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الشَّابِ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُ اللّهُ الظَّلِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَآهُ ﴿ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
- ٧ وقال تعالى في سورة الكهف الآية [٣٥]: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّ تَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُ أَن تَبِيدَ هَذِيهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُ السَّنَاعَة قَابِمَة وَلَمِن رُودتُ إِلَى رَبِّ لَا مَا أَظُنُ أَن تَبِيدَ هَذِيهِ أَبَدًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُو يُحَاوِنُهُۥ أَكَفَرَتَ بِاللَّذِي خَلَقَكَ مِن لَأَجِدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَابًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُو يُحَاوِنُهُۥ أَكَفَرَتَ بِاللَّذِي خَلَقَكَ مِن لَأَجْدَنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَابًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ هُو اللّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَتِي أَحَدًا ۞ وَلَوْلًا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّنَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللهُ لَا قُونَ إِلًا بِاللّهُ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَالًا وَلَوْلًا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّنَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللهُ لَا قُونَ إِلّا بِاللّهُ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَالًا



وَوَلَدُا ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّ أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِن جَنَيْكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَنُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبُ ا ﴿ وَأَحِيطَ بِنَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كُفَيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْيَننِي لَهُ أَشْرِكِ بِرَيِّ آَحَدًا ﴿ وَلَمْ تَكُن لَهُ فِئَةً يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ٱللّهِ وَمَا كَانَ مُنفَصِرًا ﴿ اللهِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنفَصِرًا ﴿ اللهِ اللهِ عَلَى عُرُولِهِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنفَصِرًا ﴿ اللهِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنفَورًا اللهِ وَاللهِ وَمَا كَانَ مُنفَرِدًا اللهِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنفَورًا اللهُ اللهِ وَمَا كَانَ مُنفَورًا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ وَمَا كَانَ مُنفَورًا اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَمَا كَانَ مُنفَورًا اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

قال (ك) في تفسير الآية الأولى: "وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ ﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعاً ﴿إِلَّا أَن يَشَآهُ اللهُ إِنَّ اللهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية، فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآهُ فِي رَحْمَتِهِ وَالْطَالِمِينَ أَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا أَلِمًا ﴿ إِنَّ اللهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾، ثم قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآهُ فِي رَحْمَتِهِ وَالطَّلِمِينَ أَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا أَلِمًا ﴿ اللهِ اللهِ عَلى الله ومن يضلل فلا هادي له ». اه (١٠).

وقال (ك) في تفسير الآية الثانية:

«أي ليست المشيئة موكولةً إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين (٢٠).

وقال (ك) في تفسير الآية الثالثة: «أي: إنما يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج إلى تكرار وتأكيد (٥):

إِذَا مَا أَرَادَ اللهُ أَمْراً فَإِنَّهَا يَقُولُ له كُنْ قَولة فَيكُونُ

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير» (۲۱۷/۱٤ ـ ۲۱۸): «وَيُضِل مَن يشاء».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لمشيئة الله ﴿ لَكُ العالمين » (٢٧٢/١٤).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فأنزل تعالى» (١٤/ ٢٧٢).

⁽٤) أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٩٨) من طريق سعيد بن عبد العزيز به، وهو معضل.

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧): «بدون ـ وتأكيد».



وقال الإمام (صمم)(۱): بسنده عن أبي ذر قال: إن رسول الله على قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني جواد ماجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له: كن، فيكون».

وقوله تعالى: ﴿فَسُبَحَانَ اللَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْبَحُونَ ﴿ اِسَ اِسَاءِ السموات الله وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله وله الخلق والأمر وإليه يرجع العباد يوم المعاد، فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ كقوله ﴿ اللّهُ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَالَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهُ اللّهِ فَالْمَلْكُ ﴾ فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجسام والملكوت هو عالم الأرواح، والصحيح الأول (٢٠)، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم.

قال (مم): بسنده عن حذيفة قال: قمت مع رسول الله على ذات ليلة فقرأ السبع الطوال^(۳) في سبع ركعات، وكان الله إذا رفع رأسه من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده» ثم قال: «الحمد لله ذي الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة»، وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي»(٤)».اه.

⁽۱) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٤) بسند ضعيف، فيه ليث بن أبي سُليم وشهر بن حوشب ضعيفان، وليث توبع.

وأخرجه أبو عوانة في البر والصلة - كما في "إتحاف المهرة" (١٦٤/١٤) -، وهناد في "الزهد» (٩٠٥)، والترمذي (٢٤٩٥)، والبزار في "مسنده» (٩٠٥)، وابن أبي حاتم في "العلل» (٢/ ١٣٤)، والطبراني في "مسند الشاميين» (٢٨١١) من طرق عن شهر بن حوشب عن أبي ذر، ولأول الحديث شواهد هو بها صحيح.

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والأول هو الصحيح».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الطُّوَل».

⁽٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٨/٥) وإسناده ضعيف لجهالة ابن عم حُذيفة، وقد عُرِّف في طريق أخرى أخرجها الإمام أحمد (٣٨٢/٥) بسند صحيح، وهي من طريق صلة بن زُفر عن حُذيفة.



وقال (ك) في تفسير الآية الرابعة:

«فيه بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد فهو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، روى⁽¹⁾ ابن عساكر وذكر سنده عن أنس بن مالك أن رسول الله على قال: «اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم (٢)(٣). ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ الْخَفُورُ الْرَحِيمُ ﴾ أي: لمن تاب إليه وتوكل عليه، ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به فإنه يتوب عليه (٤).

وقال (ك) في تفسير الآية الخامسة:

«أي: إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم القوى (٥)، فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُو بُبُدِئُ وَبُعِيدُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ عَلَي اللَّهُ عَلَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَي اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

⁼ وأخرجه من طريق صلة بألفاظ مطولاً ومختصراً: مسلم (٢٤٨/١)، وأبو داود (٨٧١)، والترمذي (٢٦٢، ٣٦٢)، والنسائي (٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧، ١٧٧، ٢٢٤)، وابن ماجه (٢٠٤، ٢٦٠٥)، وغيرهم.

وله طرق عن حذيفة، ولا داعي للإطالة في ذكرها.

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الحافظ ابن عساكر».

⁽Y) أخرجه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (۸/ ٣٢٨ ـ مخطوط، وإسناده ضعيف وفيه انقطاع. وأخرجه البغوي في "سرح السنة" (٥/ ١٩٧٨)، والبيهقي في "الشعب" (١١٢١/١) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك أن رسول الله على قال: "اطلبوا الخير..."، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١/ ٧٢٠) وفي كتاب الدعاء (٢٦)، وعنه أبو نعيم في "الحلية" (٣/ ١٦٢)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١/ ٧٠١)، والبيهقي في "الشعب" (١١٢١)، وابن عبد البر في "التمهيد" (٥/ ٣٣٩) وعلقه ابن عساكر، كلهم من طريق عمرو بن الربيع بن طارق عن يحيى بن أيوب به، وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص١٥٠) من طريق سعيد بن أبي مريم أخبرني يحيى بن أيوب به، وذكره الهيثمي في "المجمع" (١٣٤/١٣) وقال: "رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى... وهو ثقة"، وثقه ابن حبان في "الثقات" (٧/ ١٣٤).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقوله».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٧٠ ـ ٤٠٨) بتصرف.

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قوي».



قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق^(۱) ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وَهُوَ الْعَنُورُ الْوَدُودُ ﴿ الْعَالَى الذَّب من اللَّهُ وَخَضَع لَدَيه ولو كَانَ الذَّب من أَي شيء كَانَ، والودود قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب، ﴿ وَوُ الْعَرْشِ ﴾ أي: صاحب العرش العظيم (۱) العالي على جميع الخلائق، و﴿ اَلْمَجِيدِ ﴾ فيه قراءتان الرفع على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح ﴿ فَالَّ لِنَا يُرِيدُ ﴿ أَي: مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله: كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له: وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب؟ قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال لي: (إني فعال لما أريد) (۱۳). اه.

وقال (ك) في تفسير الآية السادسة:

«في البخاري ومسلم (٤) بسندهما عن البراء بن عازب أن رسول الله على قال: «المسلم إذا سئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فسندلك قسوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ اللهِ اللهِ الْقَوْلِ الثَّالِتِ فِي الْحَيَوْةِ الدُّنْيَا وَفِ الْاَخِرَةِ ﴾.

وروى الإمام (هم) (٥)، والأربعة إلا الترمذي:

عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله على في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله على وجلسنا حوله، كأن⁽¹⁾ على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ثم». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المعظم».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

⁽٤) انظر: «صحيح البخاري» كتاب «التفسير»، باب ﴿ يُكَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ مَامَثُواْ بِالْقَوْلِ الشَّابِ ﴾ (٤٦٩٩)، ومسلم كتاب «الجنة وصفةُ نعيمها وأهلها»، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٧٣) (٢٨٧١).

⁽٥) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٨٧/٤) بإسناد صحيح وسيأتي تخريجه قريباً مطولاً.

⁽٦) في المطبوع: «وكأن».



يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت^(۱) حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض^(۲)، فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة ـ إلا قالوا: ما هذه^(۳) الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.

فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة.

قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر (¹)، و (⁰) يأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير (⁽¹⁾)، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، فيجلس^(۷) عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب.

⁽۱) في المطبوع زيادة «عليه السلام». (۲) في المطبوع «قال».

⁽٣) في المطبوع «هذا». (٤) في المطبوع «بصره».

⁽٥) في المطبوع «قال».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يجيءُ بالخير».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «حتى يجلس».



قال: فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المهلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، فيخرج (١) منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه (٢) الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان (٣) يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لَا فَكُنَّ مُكُم أَبُونَ لَا سَمِّ الْجَيَاطِ ﴾.

«فيقول الله: اكتبوا كتابه في سجيل في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً» تُسم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكُ بِاللّهِ فَكَأْنَمَا خَرّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلظّيْرُ أَوْهَ تَهْوِي لِهِ ٱلرّبِحُ فِي مَكَانِ سَجِيقٍ ﴾.

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى.

فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم. فيقول: هاه هأه لا أقري.

فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف⁽¹⁾ أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، قيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»(٥).اه.

10 PM 3 V S 18

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وتخرجُ منها».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ما هذا الروح الخبيثة».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كانوا يُسمونه».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فيه أضلاعه».

⁽٥) أخرجه أبو داود (٣٢١٢) و(٣٧٥٣)، وأخرجه مختصراً النسائي في «المجتبى» (٧٨/٤)، وابن ماجه (١٥٤٩)، وهو عند الترمذي (٣١٢٠) مختصراً جداً، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ٣١٠)، وهناد (٣٣٩)، والطيالسي (٣٥٠)، وأبو عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» ص(٢٩)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (٧١٨ ـ ٧٢٣)، و«التفسير» (٢٧٨٧)، وأبو عوانة ـ كما في «إتحاف المهرة» (٢/٩٥٤) ـ وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١١٩)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٩٤) ـ، والحاكم (٢/٣٧ ـ =



وقال الإمام (حم) بسنده إلى جابر بن عبد الله عن فتاني القبر: إن (١) النبي على قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول (٢): إنه رسول الله على وعبده فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما.

فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي فيقال له: اسكن.

وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أصحابه (٣) فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري أقول كما يقول الناس، فيقال له: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك في (٤) المجنة (٥) أبدلت مكانه مقعدك من النار»، قال جابر: فسمعت النبي على يقول: «يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه (٢) المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه» (٧). إسناده صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (٨). اهد.

قال القاسمي في «تفسيره»:

«﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ أي: يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثَبَّت المؤمنين عليه حسب إرادتهم واختيارهم، ووصفهم بالظلم لوضعهم الشيء في غير

⁼ ٣٨)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (٢٠ ـ ٢١، ٤٤)، وفي "الشعب" (٣٩٥) وغيرهم من طرق عن الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء به، وإسناده صحيح، وصححه جماعة، منهم البيهقي في "الشعب" قال عنه: "هذا حديث صحيح الإسناد».

وقال ابن منده: «هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وكذلك رواه عدّة عن الأعمش» في جماعة آخرين صححوه، وبيّنتُ ذلك في تعليقي على «بشرى الكثيب» رقم (٣٤)، و«التذكرة» للقرطبي، يسر الله إتمامه ونشره بخير وعافية.

انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٩٨ ـ ٢٠١).

⁽١) في المطبوع: "فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ».

⁽٢) في المطبوع: "فيقول المؤمن: أقولُ". (٣) في المطبوع: "أهله".

⁽٤) في المطبوع: «من». (٥) في المطبوع: «قد».

⁽٦) سقطت «عليه» من المطبوع.

⁽٧) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٦)، وعبد الرزاق (٦٧٤٤، ٦٧٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٢). والحديث صحيح.

⁽A) انظر: «تفسير ابن كثير» (۸/ ۲۰۳ _ ۲۰۶).



موضعه، أو لظلمهم أنفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: من التثبيت والإضلال حسبما تقتضيه حكمته البالغة الاً. اه.

وقال (ك) في تفسير الآية السابعة:

"وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُو ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ اَي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قَالَ مَا أَظُنُ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾، وذلك اغتزاراً منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى (٢) ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُ السَّاعَةَ قَابِمَةً ﴾ أي: كائنة ﴿وَلَين رُّدِدتُ إِلَى رَبِي لَأَجِدنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ (٣) عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَين رُجِقَتُ إِلَى رَبِي إِنَّ لِي

وكان سبب نزولها في العاص بن وائل، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله ويه الثقة وعليه التكلان».

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَمُ صَاحِبُمُ ﴾ إلى قوله: ﴿طَلَبُـا﴾.

قال (ك): "يقول تعالى: مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار ﴿أَكُفَرْتَ بِاللَّهِ وَلِيَتَ بَاللَّهِ وَالعَترار ﴿أَكُفَرْتَ بِاللَّهِ وَابتداً خلق الآية، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدا خلق الإنسان من طين، وهو آدم ﴿ثُرُ جَعَلَ نَسْلَمُ مِن سُلَلَةٍ مِن مَّآءِ مَهِينِ ﴿ كُنُ كُما قال تعالى: ﴿كُيْفَ تَكُفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُم أَمُونَا فَأَخِيكُم الآية، أي: كيف تجحدون ربكم ودلالته (٤) عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم إنه كان معدوماً، ثم وجد وليس وجوده من

⁽۱) انظر: «تفسير القاسمي» (۱۰/۲۹).

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة بعدها: «ولا تفرغ».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لأني مُحْظى عند ربي».

⁽٤) قال محمد تقي الدين: قوله: «ودلالته عليكم»، فيه نظر والصواب أن يقال: ودلالته لكم، والله أعلم. (منه).



نفسه ولا مستنداً لشيء (۱) من المخلوقات؛ لأنه بمثابته فعلم إسناد إيجاده إلى خالقه وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء، ولهذا قال المؤمن (۲): ﴿لَكِنَا هُوَ اللّهُ رَبّي ﴾ أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلاّ أَشُرِكُ بِرَقِ أَحَدًا ﴾ أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له، ثم قال: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّنك قُلْتَ مَا شَآءَ اللّهُ لا قُونَ إلاّ بِاللّهِ إِن تَرَنِ أَنا أَقَلَ مِنك مَالاً وَوَلَدًا ﴿ وَلَا الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه (٥) غيرك، وقلت: ﴿مَا شَآءَ اللهُ لا قُونَ إلاّ بِالله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه (٥) غيرك، وقلت: ﴿مَا شَآءَ اللهُ لا قُونَ إلاّ بِالله على ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وهذا مأخوذ من هذه الآية (٢).

وقد ثبت في «الصحيحين» (٧) عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله».

وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَقِىٓ أَن يُؤْتِينِ خَيْرًا مِن جَنَّلِكَ ﴾ أي: في الدار الآخرة ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾ أي: على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تفنى ﴿حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

قال ابن عباس والضحاك (^) ومالك عن الزهري: عذاباً من السماء. والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زروعها (٩) وأشجارها ولهذا قال:

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى شيءٍ».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «المؤمن».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولهذا».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فحَمِدَ اللهَ».

⁽٥) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "لم يُعط". (٦) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "الكريمة".

⁽V) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقد ثبت في الصحيح».

والحديث: أخرجه البخاريُّ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٤٢٠٥) وكتاب الجهاد، باب ما يُكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢) وفي الدعوات، باب الدعاء إذا علا (٦٤٠٩) وكتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٦١٠) وكتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ اللهُ سَهِيمًا بَصِيمًا بَعَيمًا فِي رَكِمًا ﴾ (٧٣٨٦).

وأخرجه الإمام مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤).

⁽٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «وقتادة». (٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «زرعها».



﴿ فَنُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي: بلقعاً تراباً أملس لا يثبت فيه قدم.

وقال ابن عباس: كالجُرُز الذي لا ينبت شيئاً.

وقوله: ﴿أَوْ يُصِيحَ مَآوُهَا غَوْرًا﴾ أي: غائراً في الأرض وهو ضد النابع الذي يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَبَيْمُ إِنّ أَضَبَحَ مَآوُكُمُ غَوْرًا فَنَ يَأْتِيكُم بِمَآءِ مَعِينٍ ﴿ أَي: جار وسائح، وقال ههنا: ﴿أَوْ يُطْبِحَ مَآوُهُا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمُ طَلَبًا ﴿ أَن والغور مصدر بمعنى: غائر، وهو أبلغ منه، كما قال الشاعر(١):

تظل جياده نوحاً عليه مقلدة أعنتها صفونا وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطُ بِمُرَوِهِ ﴾ إلى قوله: ﴿عُقْبًا﴾».

قال (ك): "يقول تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ بأمواله أو بثماره على القول الآخر، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عَلَى ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كُفَيِّهِ عَلَى أَنَا اللهُ عَلَى ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كُفَيِّهِ عَلَى اللهُ وَفَلَ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كُفَيِّهِ مَا اللهُ عَلَى الأمور التي أذهبها على الأمور التي أذهبها على الأمور التي أذهبها على الأمور التي أذهبها على الأمور التي أذهبها عليها ﴿وَيَقُولُ يَلِيَنَنِي لَمَ أُشْرِكُ بِرَتِي أَحَدًا وَلَمْ تَكُن لَمْ فِنَهُ ﴾ أي: عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز ﴿يَصُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مُنفِيرًا هُنَالِكَ الْوَلْيَةُ لِلّهِ الْحَقّ ﴾.

اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله: ﴿وَمَا كَانَ مُنفَرًا هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدئ بقوله: ﴿الْوَلَيَةُ لِلّهِ الْحَقِّ﴾، ومنهم (٣) من يقف على ﴿وَمَا كَانَ مُنفَرِرًا ﴾ ويبتدئ بقوله; ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَيَةُ ﴾ فمنهم من فتح الواو (٤)

⁽۱) قاله عمرو بن كلثوم ذكر ذلك القرطبي في «تفسيره» (۱۰/ ٣٥٤ ـ ٢٥/ ٥٩/ ١٥٠)، والشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٦٤٩) و(٤/ ٢١٢)، وقد ذكره الطبريُّ في تفسيره (٨/ ٢٢٦) بدون نسبة، وجاء منسوباً لعمرو بن كلثوم في «تاج العروس» للزبيدي تحت مادة «عكف» مع تغيير في صَدر البيت.

وقد جاء في طبعة أولاد الشيخ «صفوفاً»، وهو تحريف، والصحيح المُثبت.

⁽۲) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وقال»!

⁽٣) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «ومنه»! وانظر: «البحر المحيط» (٦/ ١٣١).

⁽٤) هذه قراءة ابن كثير وابن عامر ونافع وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر ورواية حفص. انظر: «البحر المحيط» (١٣٠/١)، «حجة القراءات» (١٨٤)، «الكشف» (٢/ ٢٦)، «إعراب القراءات السبع وعللها» (٢/ ٣٩٦)، «الدر المصون» (٤١٠/٤).



ومنهم من كسر الواو من الولاية (٣) أي: هنالك الحكم لله (١٠)، ثم منهم من رفع «الحق» على أنه نَعْتُ للولاية، كقوله تعالى: ﴿الْمُلُكُ يَوْمَ بِذِ ٱلْحَقُ لِلرَّمْنَنَ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَفِرِينَ عَسِيرًا ﴿ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله على كقوله: ﴿ مُمَّ رُدُّواً إِلَى اللهِ مَوْلَلَهُمُ الْحَقِّ ﴾ الآية [الأنعام: ٦٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثُوَابًا ﴾ أي: جزاء ﴿ وَخَيْرُ عُقْبًا ﴾ أي: الأعمال التي تكون لله عَيْل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير (٥). اه.

وقال صاحب «الكواشف» ص٩١٠:

"وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللّهُ لَا قُوَةَ إِلّا بِاللّهِ ﴾ [البقرة: الكهف: ٣٩]، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا اقْتَ تَلُواْ وَلَكِنَ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿ أُحِلَتُ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَكِ إِلّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ نُحِلِي الصَّيْدِ وَأَنتُم حُرُمُ اللّهُ إِلَا مَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشَرَحُ صَدَّرُهُ إِلّا مَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشَرَحُ صَدَّرُهُ اللّهُ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشَرَحُ صَدَّرُهُ اللّهُ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشَرَحُ صَدَّرُهُ ضَيَقًا حَرَجًا كَأَنّمَا يَصَعَدُ فِي السَّمَاءُ ﴾ الإسلَامِ وَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَصَعَدُ فِي السَّمَاءُ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون قوله: «من الولاية».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «من مؤمن».

⁽٣) هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف والأعمش وابن وثاب وشيبة وابن غزوان وطلحة وابن سعدان وابن عيسى الأصبهائي، واختارها ابن جرير، وهي بمعنى: السلطان والملك. وأنكر هذا أبو عمرو والأصمعي. انظر: "فتح الباري" (٣٠٩/٨)، «معاني القرآن" للزجاج (٣٠٩/٣)، "روح المعاني" (١٥/ ٢٨٤)، و"معجم القراءات" لعبد اللطيف الخطيب (٢٣٥/ ٢٢٤).

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لله الحق».

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٩/ ١٣٧ _ ١٤١).



في هذه الآيات وما ماثلها إثبات لمشيئة الله التامة وإرادته الكونية القدرية والدينية الشرعية، وقد أجمع العلماء من المسلمين وسلف الأمة وأئمتها وأهل السنة قاطبة على إثبات مشيئة الله وإرادته(١).

(١) لكن هنالك فروق بين الإرادة الكونية القدرية والدينية الشرعية، يمكن إجمالها فيما يأتي: أولاً: الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها، أما الشرعية فلا بد أن يحبها ويرضاها؛ فالكونية مرادفة للمشيئة، والشرعية مرادفة للمحبة. فانياً: الإرادة الكونية مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً، وسائر الشرور؛ لتحصل بسببها

مجابّ كثير، كالتوبة، والمجاهدة، والاستغفار. أما الشرعية فمقصودة لذاتها؛ فالله أراد الطاعة وأحبها، وشرعها، ورضيها لذاتها.

ثالثاً: الإرادة الكونية لا بد من وقوعها؛ فالله إذا أراد شيئاً وقع ولا بد، كإحياء أحدٍ أو إماتته، أو غير ذلك، أما الشرعية كالإسلام ـ مثلاً ـ، فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا

تقع، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

رابعاً: الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه خامساً: الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدَّى الصلاة - مثلاً - جمع بينهما؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها ورضيها، وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، وكونها وقعت دلّ على أن الله أرادها كوناً فهي كونية من هذا الوجه، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع، وتنفرد الكونية في مثل: كغر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدلّ على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيءٌ إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة، ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية، وتنفرد الشرعية في مثل: إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع - مع أمر الله بها ومحبته لها ورضاه - هذا دليل على أنها - أيضاً - شرعية فقط؛ إذ هي مراذة محبوبة لم تقع.

سادساً: الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه؛ من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل: إيمان الكافر، وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة أنها لا تتعلق بمثل: إيمان الكافر، وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به. هذه فوارق بين الإرادتين، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شبهات كثيرة، زلَّت بها أقدام، وضلَّت بها أفهام؛ فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور. انظر: «منهاج السنة النبوية» (٣/ ١٨٠ - ١٨٣، ٥/ ٣٦٠ و٤١٣ و٤١٤ ووقع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» للشيخ سليمان بن سخمان (ص١٠ - ٢٢)، عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة» للشيخ سليمان بن سخمان (ص١٠ - ٢٢)، و«تعليق الشيخ ابن باز على الواسطية» (ص٤١)، و«شرح الواسطية» للهراس (ص٠١٠)، و«شرح الواسطية» للهراس (ص٠١٠)،



الآية الأولى:

أي: وهلا إذ أعجبتك جنتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد، وقلت: الأمر ما شاء الله والكائن ما قدره الله، ليكون ذلك منك اعترافاً بالعجز وبأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء الله أبقاها وإن شاء أفناها، وأن ما تيسر لك(١) من عمارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوتك(٢) وقدرتك.اه.

الآية الثانية:

فيها أولاً إخبار عما وقع بين أتباع الرسول ومن (٣) بعدهم من التنازع والتعادي وأن ذلك إنما يكون بمشيئة الله ﷺ، ولو شاء الله عدم الاقتتال لم يقتتلوا إذ لا يجري في ملكه إلا ما شاء سبحانه.

الآبة الثالثة:

وهي قوله: ﴿أُحِلَّتُ لَكُمْ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَمِ ﴾ الإرادة المذكورة فيها دينية شرعية ، أي أبيحت لكم بهيمة الأنعام أي: الإبل والبقر والغنم ، ﴿إِلّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ ﴾ أي: إلا ما يتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال، وقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنتُمُ حُرُمُ ﴾ ، قال بعضهم: هذا منصوب على الحال والمراد بالأنعام ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم، وما يعم الوحشي كالظباء (٤) والبقر والحمر الوحشية ، فاستثنى من الإنسي (٥) ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد حال الإحرام .

وقيل المراد: أحللنا الأنعام إلا ما استثني منها لمن التزم تحريم الصيد وهو حرام لقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَ غَيْرَ بَاغِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٣].

^{= (}ص١٠٦)، و«التعليقات على لمعة الاعتقاد» للشيخ عبد الله بن جبرين (ص٦٠ ـ ٦١)، و«الإيمان بالقضاء والقدر» (٩٨ ـ ٩٩).

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «له».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا بقوته وقدرته».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «من بعد».

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «كالضباء».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الوحشي»، والصحيح المُثبت.



وقوله: ﴿إِنَّ اللهُ يَحَكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ أي: يحكم ما يريد من التحليل والتحريم لا اعتراض عليه في الحكم فله الحكم سبحانه، وهو الحكيم لا حاكم غيره، فكل حكم سوى حكمه فهو باطل مردود، وكل حاكم بغير حكمه وحكم رسوله، فهو طاغوت كافر بالله.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحَكُم بِمَا آَنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وهذا عام شامل فما من قضية إلا والله فيها حكم، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَبِ مِن شَيَّءِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ [المائدة: ٣]، وقال الله الكيتَبَ يَبْيَنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال الله التركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك (١٠).

وقال فيما صح عنه: «ما بعث الله (۲) من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» (۳).

وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»(٤).

ولا شك أن من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله واعتاض عنها بالقوانين الوضعية (ه) أنه كافر كفراً ناقلاً عن الملة الإسلامية، (وكذا من استهزأ بالقرآن، أو طلب تناقضه، أو ادعى أنه مختلف، أو مختلق مقدور على مثله، أو إسقاط لحرمته، أو استخف به، أو جحد شيئاً منه، أو كذب به أو بشيء منه، أو أثبت شيئاً نفاه القرآن، أو نفى ما أثبته القرآن، فقد كفر قال تعالى: ﴿قُل لَينِ ٱجْتَمَعَتِ اللهِ وَالْجِنُ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْل هَذَا الْقُرْمَانِ لَا يَأْتُونَ بِبقَلِه الآية.

⁽۱) أخرجه أحمد (۱۲٦/٤) بإسناد حسن، وهو قطعة من حديث العرباض بن سارية، وهو صحيح بطرقه وشواهده، وتقدم تخريجه مفصلاً في التعليق على (٣/٣٠١ ـ ١٠٦).

⁽٢) في مطبوع «الكواشف»: «ما بُعِث من نبي».

⁽٣) أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول, فالأول (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

⁽٤) أخرجه الطيالسي (٤٧٩)، وأحمد (١٥٣/٥ ـ ١٥٤ و١٦٢)، والبزار (١٤٧)، والطبراني (١٦٤٧)، وانظر: «العلل» للدارقطني (٢٠/٦) وتعليقي على «الإعلام» (١٣٨/٥).

 ⁽٥) مستحلاً ذلك صراحة، أو بالقرائن الظاهرة المعتبرة شرعاً.



وقال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ أَللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْنِلَافًا كَيْبِرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وقال علي: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله)(١)، وكذا(٢) من زعم أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد على كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، أو زعم أن هدى غير محمد أفضل من هديه الشيخ أو أحسن، أو زعم أنه لا يسع الناس في مثل هذه العصور إلا الخروج عن الشريعة، وأنها كافية (٣) في الزمان الأول فقط، وأما في هذه الأزمنة فالشريعة لا تساير الزمن ولا بد من تنظيم قوانين بما يناسب الزمن، فلا شك أن هذا الاعتقاد إذا صدر من إنسان فإنه قد استهان بكتاب الله وسنة رسول الله على وتنقصها، ولا شك في كفره وخروجه من (٤) الدين الإسلامي بالكلية.

وقال ابن القيم:

والله ما خوفي الذنوب فإنها لكنما أخشى انسلاخ القلب من ورضًى بآراء الرجال وخرصها

لعلى سبيل (^) العفو والغفران تحكيم هذا الوحي والقرآن لا كان ذاك بمنسَّةِ المنان

⁽١) ما بين الهلالين غير موجود في «الكواشف الجلية».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الحلية»: «وكذلك».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف»: «وأنها كانت كافية».

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف»: «في الظاهر دون علم».

⁽٦) في مطبوع «الكواشف»: «الباطل»، والمثبت هو الصحيح.

⁽٧) في مطبوع «الكواشف»: «حر في التدين».

⁽A) في مطبوع «نونية ابن القيم»: «طريق».



فبأي (١) وجه آت ربي غدا (٢) إذا أعرضت عن ذا الوحي طول زمان وعنزلته عما أريد لأجله عزلاً حقيقياً بلا كتمان (٣)

الآية الرابعة:

"يقول تعالى: فمن كان أهلاً بإرادة الله وتقديره لقبول دعوة الإسلام ـ الذي هو دين الفطرة والهادي إلى طريق الرشاد وجد لذلك في نفسه انشراحاً واتساعاً بما يشعر به قلبه من السرور، فلا يجد مانعاً من النظر الصحيح فيما ألقي إليه فيتأمله، وتظهر له عجائبه، وتتضح له دلائله فتوجه (٤) إليه إرادته، ويدعو له قلبه، بما يرى من ساطع النور الذي يستضيئ به لبه وباهر البرهان الذي يتملك نفسه.

ولما سئل ﷺ عن هذه الآية قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟

قال: «نور يقذف فيه فينشرح^(٥) له وينفسح» قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت»^(٦).

وقوله: ﴿ وَمَن يُرِدُ أَن يُعِن لَمُ . . ﴾ النح. أي: من فسدت فطرته بالشرك

⁽١) في مطبوع "نونية ابن القيم": "فبأيّ وجه ألتقي إلى أنا...".

⁽٢) قال محمد تقي الدين: هذا البيت مختل الوزن ومعناه واضح (منه).

⁽٣) انظر: «نونية ابن القيم» (٣٣٣، ط. دار ابن الجوزي).

⁽٤) في مطبوع «الكواشف»: «فتتوجه».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف»: «فيشرح له وينفسخ».

⁽٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢١/١٣)، وعبد الرزاق (٢١٧١) في «مصنيفهما»، وابن أبي حاتم (٤/رقم ٧٨٧٣)، وابن جرير (٩١٨) - ٥٤٢)، وسعيد بن منصور (٩١٨) جميعهم في «التفسير»، ووكيع (١٥)، وابن المبارك في (٣١٥) كلاهما في «الزهد»، وابن أبي الدنيا في «الأهواك» (٨٥٠ ـ السلفية)، وأبو الشيخ في «تاريخ أصبهان» (٨٥٠)، وأبو نعيم في «ذكر أخبار أصبهان» (١/ ٣٠٥ و٢/٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٥، ٢٣٧)، والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٤) ـ عن أبي جعفر عبد الله بن المسور به، وعبد الله بن مسور متروك، فإسناد ضعيف جداً ووهم بعضهم فحرفه إلى عبد الله بن مسعود، وانظر لزاماً: «العلل» للدارقطني (٥/ جداً ووهم بعضهم فحرفه إلى عبد الله بن مسعود، وانظر لزاماً: «العلل المتناهية» (٢/٢٠٠)، و«شرح علل الترمذي» (٢/ ٢٧٧ ـ ٤٧٤)، و«العلل المتناهية» (٢/ ٢٠٨)، وقم (١٣٤١)، و«ذكر الموت» لابن أبي الدنيا رقم (١١٦، ١٤٢م)، وورد من مرسل الحسن عند ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» (رقم ١١٣٣ ـ بتحقيقي).



وتدنست نفسه بالآثام والذنوب؛ يجد في صدره ضيقاً أيما ضيق، إذا طلب إليه التأمل فيما يدعى له من دلائل التوحيد، والنظر في الآفاق والأنفس، لما استحوذ على قلبه من باطل التقاليد، والاستكبار عن مخالفة ما ألفه وسار عليه الأكثر من الناس، وتضعف إرادته عن ترك ما هو عليه فتكون إجابته للداعي إلى دين الإسلام والتمسك به ثقيلة ويشعر بالعجز عن احتمالها، ويكون مثل من صعد في الطبقات العليا في جو السماء إذ يشعر بضيق شديد في النفس، وكلما صعد في الجو أكثر شعر بتخلخل(١) الهواء ولم يستطع البقاء، فإن هو قد بقي فيها مات.

وقيل: كأنه من ضيقه وشدته يصعد في السماء، أي يتكلف الصعود إلى السماء الذي لا حيلة فيه.

والخلاصة:

إن هذا مثل ضربه الله لقلب الكافر في شدة ضيقه عن وصول الإيمان إليه بقوله، فمثله في امتناعه من قبول الإيمان وضيقه عن وصوله إليه؛ مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه؛ لأنه ليس في وسعه وطاقته الوصول إليه.

قال شيخ الإسلام: جعل الله القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة (٢)، وذلك أنها إما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافاً وإذعاناً، أو لا تكون يابسة جامدة؛ فالأول هو القاسي وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يكتب فيه الإيمان ولا يرتسم فيه العلم؛ لأن ذلك يستدعي محلاً ليناً قابلاً، والثاني لا يخلو إما أن يكون ثابتاً فيه لا يتزلزل (٣) عنه لقوته مع لينه، أو يكون لينه مع ضعف وانحلال، فالثاني هو الذي فيه المرض والأول هو القوي اللين.

والعلم يدخل قلب كل موفق من غير بواب ولا استئذان ويردّه المحروم من خذلانه لا تشقنا اللهم بالخذلان(٤)»(٥)

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يتخلخل» بالياء والصحيح المثبت.

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «مؤمنةٌ مخبتة».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا يزول عنه».

⁽٤) انظر: «القصيدة النونية» لابن القيم (ص٢٠٢).

⁽٥) انظر: «الكواشف الجلية عن معانى الواسطية» (٥٩ ـ ٦٢).





1-000000000000000000-



إثبات صفة المحبة لله ﷺ

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُدَ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَاتَّبِعُونِ يُحْبِبَكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُرْ ذُنُوبَكُرُ وَاللَّهُ غَفُورٌ نَجِيبُ ﴾ [آل عمران: ٣١]

قال (ك): «الآية (۱) الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب (۲) في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله (۳)، كما ثبت في «الصحيحين» (۱۹) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (۹).

ولهذا قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ آللَهَ فَأَتَّبِعُونِي يُحْيِبَكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحيون الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُجُبُّونَ ٱللَّهَ فَأَتَبِعُونِي يُحِبِبَكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُرُ وَاللّهُ عَنُورٌ نَجِيمٌ ﴾ أي: باتباعكم الرسول ﷺ يحصل لكم هذه (٦٠) من بركة سفارته ».اه.

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذه الآية».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «في دعواه».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «وأحواله».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الصحيح».

⁽٥) أحرجه بهذا اللفظ الإمام مسلم كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٧١٨).

وهو في «صحيح البخاري» (٢٦٩٧) بلفظ: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هذا».



فصل

قال محمد تقي الدين: تقدم ذكر هذه الآية في (القسم الثاني) في (آيات توحيد الاتباع) بتفصيل، والمراد هنا إثبات صفة المحبة لله على فإنه أثبتها لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله على وأصحابه كلهم والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث، فمن نفاها أو تأولها بأن الله يثيبهم فهو مبتدع من الخلوف الذين حذرنا منهم رسول الله على وأمرنا بجهادهم، فقال عليه الصلاة والسلام:

«فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»(1).

وزعمهم (۲) أن في إثبات هذه الصفة وأمثالها تشبيهاً لله بخلقه؛ لأن المحبة ميل القلب إلى لقاء المحبوب والتشوق لوصاله، فقلنا لهم: هذه محبتكم أنتم ومن جهلكم شبهتم محبة الله بمحبتكم، فشبهوا أيضاً علمه بعلمكم، وقدرته بقدرتكم، وإرادته بإرادتكم، وحياته بحياتكم، وسمعه وبصره بسمعكم وبصركم، وانفوا عنه الصفات كلها كما فعل أشياخكم الفلاسفة، وذلكم لازم لكم.

أما نحن فنثبت لله تعالى كل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسول الله على مع نفي تشبيه صفاته تعالى بصفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبه ذواتهم.

فانظروا عقيدة السلف ما أسهلها! وما أحسنها! فنورُها مُشْرِق، وعقيدة الخُلْف _ بسكون اللام _ مظلمة منتنة الرائحة، فالحمد لله الذي عافانا منها!

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَيِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [لبقرة: ٢٢٢].

⁽۱) قطعة من حديث أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم (٥٠) من حديث ابن مسعود رهم الله الإيمان رقم (٥٠)

⁽٢) قال أبو القاسم الأصبهاني في معرض حديثه عن آيات وأحاديث الصفات: "فَإِنَّ مذهبنا فيه ومذهب السلف إثباته وإجراؤه على ظاهره، ونفيُ الكيفية والتشبيه، وقد نفى قومٌ فأبطلوا ما أثبته الله تعالى وتأوّلها قومٌ على خِلافِ الظاهر، فخرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبيه». من "اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٧)، وانظر كتابي: "الردود والتعقبات على ما وقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات» (ص٧٧).



قال (ك): «أي: من الذنب وإن تكرر غشيانه ﴿وَيُحِبُ ٱلْمُعَلَقِينَ ﴾ أي: المتنزهين عن الأقذار والأذى، وهو ما نهوا عنه من إتيان الجائض، أو في غير المأتى». اه (١).

قال محمد تقي الدين: ثبتت محبة الله تعالى للتوابين وللمتطهرين وتأويل الحب هنا: بالثواب تكذيب (٢). وادعاء المجاز باطل لأنه لا توجد قرينة تدل عليه، وقد تكرر وروده في النصوص، فتوبوا إلى ربكم يا أيها النفاة المعطلون، وآمنوا بالله مثلما آمن به رسوله والصحابة والتابعون بلا تأويل (٣) ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/ ٣٠٥).

⁽۲) قال المازري في «المعلم» (۲/ ۳۰۸): «الباري لا يُوصَفُ بالمحبَّةِ المعهودةِ فينا؛ لأنه يتقدَّسُ عن أن يميلَ أو يُمالُ إليه، وليس بذي جنس أو طبع، فيتصف بالشوق الذي تقتضيه الجنسيَّة، والطبيعة البشرية، وإنما معنى محبته سبحانه للخلق: إرادته لثوابهم وتنعيمهم على رأي بعضهم أن المحبَّة راجعةٌ إلى نفس الإثابة والتنعيم لا للإرادة»، وهذا يخالف عقيدة السلف، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٥٤): «إن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَامَوا أَشَدُ حُبًا يَتَوَّهُ، وقوله: ﴿وَيُمُ النَّفَيْنِينَ ﴾، ﴿وَهُ النَّوَيِينَ وَيُحِبُ النَّفَيْنِينَ ﴾، ﴿وَهُ النَّقَ اللهُ يُكِبُ النَّقَ المُوا اللهُ ورسوله أحبَ إليه مما سواهما...» وقد أجمع سلفُ الأمّةِ وأئمتها على إثبات محبة الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما...» وقد أجمع سلفُ الأمّةِ وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصلُ دين الخليل إمام الحنفاء ﴿ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وقال الطوفيُ: «وأول مَن أنكر المحبَّة في الإسلام الجعد بن درهم والتعقبات على ما وقع وقال الطوفيُ: «وأول مَن أنكر المحبَّة في الإسلام الجعد بن درهم المن «فيرها من المسائل الإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل

المهمات» (ص١٤٣ ـ ١٤٥).

(٣) وددت لو أن المصنف استخدم لفظ (التحريف) خير من لفظ (التأويل) فقد قال شيخ الإسلام في «المناظرة في الواسطية» (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ مع «مجموع الفتاوى»): "إني عدلت من لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريتُ في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيتُ ما ذمّه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معانٍ كما بيّنتُه في موضعه من القواعد.

فإن معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من =



وقال تعالى في سورة المائدة في صفة المؤمنين الصادقين:

﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ مَن يَرْتَذَ مِنكُمْ عَن دِينِدِ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ وَ اللَّهُ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ أَذِلَةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ يُجَلِّهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يَحْ ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ إِلَا لَهُ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَا يَحْ ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ إِلَيْهُ } [المائدة: ٥٤]

قال: (ك): "يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة: إنه من تولى عن نصرة دينه وإقامته شريعته؛ فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه، وأشد منعة، وأقوم سبيلاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَنَوَلُوا يَسْتَبُولُ فَوَمًا غَيْرَكُمْ ثُمّ لَا يَكُونُوا أَمْشَلَكُم المحمد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُدْهِبَكُمْ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِومَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزِ ﴿ إِن يَشَأْ يُدْهِبَكُمْ وَيَأْتِ بِعَلْقِ جَدِيدِومَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزِ ﴿ إِن اللهِ اللهِ اللهِ يَعْزِيزِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ يَعْزِيزِ ﴿ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

فصل

قال محمد تقي الدين: قد ذكرت تفسير هذه الآية مطولاً في (القسم الأول) من «سبيل الرشاد»، والمراد هنا إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين في سبيله كما قال تعالى في سورة الصف [3]:

⁼ أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف؛ لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلاً ما هو صحيح منقول عن بعض السلف فلم أنفِ ما تقوم الحجة على صحته، فإذا قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف».

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «صفات».

⁽٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٥٨ _ ٢٦١).



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلَّذِينَ يُقَانِتُونَ فِي سَبِيلِهِ مَفًا كَأَنَّهُم بُنْيَكُنُّ مَرْصُوصٌ ﴿ اللهِ الد قال صاحب «الكواشف» (ص٩٩) ما نصه:

صفة المودة والمحبة

وقوله: ﴿ وَآخِينُونَا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ الْمُحْيِنِينَ ﴾ ، ﴿ وَآفِيطُونًا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ﴿ وَأَفْيطُونًا إِنَّ ٱللَّهَ يَجِبُ ٱلْمُتَقِينَ ﴾ ﴿ وَأَفْيطُونًا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ ٱللَّمَةِ فِي اللَّهَ يَحِبُ ٱلْمُتَقِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ يُحِبُ ٱللَّهَ يَحِبُ ٱلْمُتَقِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ يَعْبُ ٱللَّهُ يَعْبُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ يَعْبُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ يَعْبُ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ يَعْبُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ يَعْبُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْنَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْدًا لَهُ اللَّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّه

في هذه الآيات الكريمات دليل على إثبات صفة المحبة لله، وهي من الصفات الفعلية، وقد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، محبة تليق بجلاله كما يقال ذلك في سائر الصفات، والحب اشتقاقه في الأصل من الملازمة والثبوت من قولهم: أحب البعير فهو محب إذا برك^(۱)، فالمحب ملازم لذكر محبوبه ثابت القلب على حبه مقيم عليه، ولا⁽¹⁾ يروم عنه انتقالاً ولا يبغي عنه تحولاً ولا زوالاً، قد اتخذ له في سويداء قلبه وطناً وجعله له سكناً، والحب بالضم والكسر، والضم أولى.

ومن السنة ما يدل على صفة المحبة ما ورد عن عبد الله بن مسعود يرفعه قال: «ثلاثة يحبهم الله: رجل قام من الليل يتلو كتاب الله...» الحديث (وأه (ت)، وعن أبي ذر قال: قال رسول الله عليه: «ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يبغضهم الله؛ فأما الذين يحبهم الله: فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابته بينه وبينهم، فتخلف رجل من أعيانهم فأعطاه سراً لا يعلم بعظيته إلا الله والذي أعطاه...» (١٤) الحديث رواه (ت)و(ن).

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فلم يثر».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لا».

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٥٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤٨٦)، وإسناده ضعيف، وأخطأ فيه أبو بكر بن عياش، فجعله من مسند (ابن مسعود) والصواب أنه من حديث (أبي ذر)، وهو الحديث الآتي، وانظر للتفصيل: «علل الدارقطني» (٢٤٢/٦)...

⁽٤) أُخرَجه الترمذي (٢٥٦٨)، والنسائي (٣/٢٠٧ ـ ٢٠٨ وه/ ٨٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٨٩)، وأحمد (٥/١٥٣)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٢٩)، وابن خزيمة =



قال الشيخ^(۱): «فأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله يحب ويرضى كما دل على ذلك الكتاب والسنة. ويقولون: إن المحبة والرضى أخص من الإرادة، فيقولون إن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضاه وإن كان داخلاً في مراده كما دخلت سائر المخلوقات. اه.

الآية الأولى:

فسره على الله الله الله الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (٢)، وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إما أن يكون بإيصال النفع الديني والدنيوي، ويدخل فيه (٢) إنفاق العلم بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه البر والخيرات والعبادات، وإما أن يكون بدفع الضرر عنهم حسب استطاعة أو بهما جميعاً ".اه.

الآية الثانية:

القسط: العدل في المعاملات والأحكام مع كل أحد، قريب أو بعيد، عدو أو صديق والعدل في حقوق الله أن تصرف نعمه في طاعته ولا يستعان بها ولا بشيء منها على معصية الله تعالى؛ أي: اعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون، إن الله يحب العادلين في أهليهم وما ولوا، وفي جميع أعمالهم، وفي حكمهم بين الناس، وفي جميع الولايات التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله وعياله في أداء حقوقهم.

عن عبد الله بن عمرو⁽¹⁾ عن النبي على قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما وُلوا»^(٥).

^{= (}۲٤٥٦)، وابن حبان (۳۳۵۰، ٤٧٧١)، والحاكم (١/٤١٦ ـ ٤١٧ و٢/١١٣) وغيرهم، والحديث صحيح.

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «رحمه الله».

⁽٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" رقم (١) من حديث عمر، وهو قطعة من حديث جبريل الطويل.

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «في ذلك».

⁽٤) في الأصل: «ابن عمر» بضم العين! والصواب فتحها، كما في مصادر التخريج.

⁽۵) أخرجه مسلم (۱۸۲۷)، وخرجته بتفصيل في تعليقي على «فضيلة العادلين» رقم (۲۰) =



قال الشيخ (۱): «العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل خال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح قط بحال، والعدل محبوب باتفاق أهل الأرض، مركوز حبه في القلوب (۲) وتحمده، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه، والشرع الذي يجب على حكّام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلاً، بل حكم الله أحسن الأحكام، والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل، لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج». اه.

وقال: «أمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه اشتراك في أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق (٣)، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة». اه.

وقال: «ومعلوم أن الناس تحت أمر الله ورسوله، فليس لأحد أن يضر نفسه وماله ضرراً نهاه الله عنه، ومن دفع ذلك الضرر عنه بما هو أخف منه فقد أحسن إلى نفسه، وفي فطر الناس جميعهم أن من لم يقابل الإحسان بالإحسان فهو معتد، وما عدّه المسلمون ظلماً فهو ظلم». اه.

الآية الثالثة:

«التواب كثير التوبة الذي كلما أذنب تاب ورجع عن المعصية. والطهارة (٤٠): النظافة والنزاهة عن الأقذار، والطهارة تنقسم إلى قسمين: الأولى: حسية، وتكون عن الأحداث والأنجاس. والثانية: معنوية، وتكون عن الذنوب والآثام والمعاصي.

لأبي نعيم، وانظر بهامشه «تخريج السخاوي» عليه، والحمد لله الذي بنعمته تتم
 الصالحات.

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «رحمه الله».

⁽۲) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «تحبه القلوب».

⁽٣) هَكَذَا فَيَ الأصل، وفي معناه خفاء. (منه).

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الطهارة» بدون «و».



والمعنى: إن الله يحب الذين يرجعون إليه تائبين غير مصرين على شيء (۱) من أفعالهم، ويحب كلَّ من نزَّه نفسه عن الأقذار وابتعد عن ارتكاب المحرمات، وللتوبة ثلاثة شروط؛ إذا كانت لا تتعلق بحق آدمي: الأول: الإقلاع عن المعصية. والثاني: الندم على فعلها. والثالث: العزم على أن لا يعود إلى المعصية أبداً. فإن فَقَدَ أحد هذه الشروط (۱) لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة، الثلاثة المذكورة (۳). والرابع: أن يبرأ من حق صاحبه (۱) فإن كانت مالاً أو نحوه رده، وإن كانت حد قذف أو نحوه، مكّنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها إن كان عاقلاً حليماً يغلب على الظن أنه إذا جاء معتذراً متنصلاً من ذنبه تائباً نادماً عفا عنه وسامحه، وإلا فيستغفر له لحديث (۱): «إن (۲) كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول: اللهم اغفر لنا لحديث (۱). وقد حث الله على التوبة وبيّن ما للتائبين في آيات القرآن الكريم، وقد

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «سيء».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أحد الشروط».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «المذكور».

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «صاحبها».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الحديث».

⁽٦) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أن فيه كفارة».

⁽۷) ورد في الباب عن جمع، مثل: أبي سعيد الخدري، أخرجه هناد (۱۱۷۸) _ ومن طريقه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» رقم (۱۷۱) _، وابن أبي الدنيا في «الصمت» رقم (۱۲۳)، وفي «الغيبة والنميمة» رقم (۲۵)، والدينوري في «المجالسة» (رقم ۲۵۶۱ _ بتحقيقي)، وابن حبان في «المجروحين» (۲۸/۲۱)، والطبراني في «الأوسط» (۲۰۸۳)، ورقم (۲۵۸۱)، وإسناده ضعيف جداً، فيه عباد بن كثير.

قال الهيثمي في «المجمع» (٩١/٨ ـ ٩٢): «فيه عباد بن كثير الثقفي، وهو متروك»، وقال ابن أبي حاتم في «العلل» رقم (١٨٥٤): «قلت لأبي: هذا الحديث منكر؟ قال: كما يكون، أسأل الله العافية، يجيء عباد بن كثير البصري بمثل هذا؟!».

وعزاه العراقي في «تخريج الإحياء» (١٤١/٣) لابن مردويه في «التفسير»، وكذلك السيوطي في «الدر المنثور» (٩٧/٦)، وعزاه للبيهقي أيضاً وهو في «شعبه» كما قدَّمناه. وفي الباب عن أنس، أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٩١) _ وهو في «ذم الغيبة والنميمة» (١٩٣) _ ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٨/٣) _، والدينوري في «المجالسة» (رقم ٢٥٤٢ _ بتحقيقي) _ ومن طريقه ابن عربي في «محاضرة الأبرار» =



نظم أركان التوبة الشيخ عثمان بن قائد الحنبلي(١) في ثلاثة أبيات وسماها (شروطاً)، فقال:

ثلاثة عرفت فاحفظ على مهلِ أن لا يعود لما منه جرى وقلِ لا بد من رد(٢) حقه على عجلِ شروط توبتهم إنْ شئتَ عِدَّتها إنساده أبدا إلى كان توبته من ظلم صاحبه

الآية الرابعة:

الاستقامة: ضد الاعوجاج، ومعناها لغةً: الاستواء في جهة الانتصاب، وأما اصطلاحاً، فهي: اتباع الحق والقيام بالعدل ولزوم المنهج المستقيم.

= (٢/٣٧٢ _ ٢٩٤٢) _، وأبو الشيخ في «التوبيخ» (٢١١)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢١٢)، والحارث بن أبي أسامة (٢٠٨٧ _ بغية الباحث)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٦ _ الهندية)، وضعفه، وفيه عنبسة بن عبد الرحمٰن القرشي كذاب. وأخرجه الخطيب (٣٠٣/) من طريق آخر عن أنس، وفيه دينار بن عبد الله كذاب. وأخرجه الخرائطي في «المساوئ» (٢١٤)، والحاكم في «الكنى» (ق١٦١/ب)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٠٧) من طريق آخر عن أنس، بسند تالف، قاله السخاوي في «الفتاوى الحديثية» (١٩٠١).

ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١١٨/٣) أيضاً من حديث سهل بن سعد وجابر بن عبد الله، وقال: «هذه الأحاديث ليس فيها شيء يصح»، وتعقّب في حكمه عليه بالوضع! انظر التفصيل في: «المقاصد الحسنة» (ص٣١٧ ـ ٣١٨)، و«اللّآلئ» (٢/٣٠٣ ـ ٣٠٤)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٩٩)، و«التعقبات على الموضوعات» رقم (٢٠٠) وتعليقي عليه، و«السلسلة الضعيفة» (١٥١٨، ١٥٢٠).

(۱) هو عثمانُ بن أحمدَ بن سَعِيد بن عُثمان بن قائدٍ ـ بالقافِ ـ النَّجدِيُّ مَوْلِداً الدِّمَشقِيُّ رحْلةً القاهِرِيُّ مَسْكناً ومَدْفناً، ولد في بَلَدِ العيينة مِن قُرى نجد ونشأ بها وطلب العلم فيها على يَدِ العلامة الشيخ عَبد الله بن محمد بن ذَهْلان، ثم ارتحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها، ثم بعد ذلك إلى مصر واشتهر في مِصرَ ونواحيها وَقُصِدَ بالأسئلة والاستفتاء سنين، وله كتب منها: «حاشية نفيسة على المنتهى»، و«هداية الرَّاغب شرح عمدة الطالب»، و«اختصر دُرَّة الغوّاص» مع تعقبات يسيرة، و«شرح البسملة»، و«رسالة في الرَّضاع»، و«فجأةُ الخَلَفِ في اعتقاد السلف» وغيرُ ذلك. توفي بمصر مساء يوم الاثنين رابع عشر وفجادى الأولى سنة ١٠٩٧. ترجمته في «السُّحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» تأليف محمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي (٢/ ١٩٧٧ ـ ١٩٩٩)، وبعدها في «الكواشف الجلة»: «رحمه الله».

(٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «رده الحق».



وقوله: ﴿ فَمَا اَسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٧] أي: مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم عليه من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين فاستقيموا لهم. . . إلخ، وقد فعل على ذلك والمسلمون، واستمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلى أن نقضت قريش العهد ومالؤوا حلفاءهم، وهم: بنو بكر على خزاعة أحلاف رسول الله على فقاتلوهم (١) في الحرب أيضاً، فعند ذلك غزاهم رسول الله على في رمضان سنة ثمان، ففتح الله عليه البلد الحرام ومكنه من نواصيهم، ولله الحمد والمنة.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُنَّقِينَ﴾ التقوى: التحرز بطاعة الله عن معصية الله، فهي كلمة جامعة لفعل المأمورات وترك المنهيات، وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال الشاعر(٢):

خَـلٌ الـذُنـوبَ صغيرها وكبيرها فهو التقى واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى لا تحقرنً صغيرةً إنَّ الجبال من الحصى.اهـ

الآبة الخامسة:

الحب والمحبة، ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، قال: وقد (٣) أحبه فهو محب وحبه ـ يحبه بالكسر ـ فهو محبوب، قال الأزهري: محبة العبد لله ولرسوله: طاعته لأمرهما واتباعه لهما، ومحبة الله للعبد: محبة تليق بجلاله وعظمته أثرها رحمته وإحسانه وإعطاؤه، والمعنى: قل يا محمد: إن كنتم تحبون الله حقيقة فاتبعوني فإن ما جئت به من عنده مبين لصفاته وأمره ونهيه، والمحب الصادق حريص على معرفة المحبوب ومعرفة أمره ونهيه، ليتقرب إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه، فإن اتبعتموني يحببكم الله. . إلى، وهذه حجة على من يدعي محبة الله في كل زمان ومكان وأعماله تكذب ما يقول، إذ كيف يجتمع حب مع الجهل بالمحبوب وعدم العناية بأوامره ونواهيه، فهو كما قال الوراق (٤):

⁽١) في طبعة «الكواشف الجلية»: «فقتلوهم معهم».

⁽٢) هو ابن المعتز، والأبيات في «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٥)، «تفسير القرطبي» (١/ ٢٠٣)، «روح المعاني» (١/ ١٠٨)، «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٦٠)، «التذكرة» (١/ ١٩٨) لابن حمدون.

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «وقد».

⁽٤) الأبيات منسوبة لمحمود الوراق في: «التحرير والتنوير» (١٠٥/١)، «جامع العلوم =



تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديعُ لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

ما يؤخذ من الآية:

وَهُو الْغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَل مِنَ العِصْيَانِ لاقاه بالغفرانِ مِلَ قُرابِهَا سبحانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ

فهو سبحانه الذي أظهر الجميل وستر القبيح، والذنوب من جملة القبائح، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾، وفي الحديث: «إن الله يقول: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتُك بقرابها مغفرة»(٢).

ومما يؤخذ من الآية أيضاً:

٨ - الحث على اتباع الرسول ﷺ. ٩ - إن هذه الآية هي الميزان الذي يعرف (٣) به من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع الرسول ﷺ.

قال الشيخ كِثَلَثُهُ: وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله

⁼ والحكم» (١/ ١٨٩)، وقد نسبها للشافعي القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٩).

⁽۱) انظر: «نونية ابن القيم» (ص٢٤٦).

⁽۲) الحديث حسن بمجموع طرقه، وحسنه النووي في «رياض الصالحين» (۱۸۷۸) وقال ابن رجب في «جامع العلوم» (۲/ ۳۹٤): «وإسناده لا بأس به»، وحسنه شيخنا الألباني في «الصحيحة» (۱۲۷، ۱۲۷).

وفي الباب عن أنس عند الترمذي (٣٥٤٠) وعن أبي ذر عند أحمد (٢/ ١٥٤، ١٥٧، ١٥٧، ١٦٧)، والدارمي (٣٢) ٣٢)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٣٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤١، ١٠٤٢).

⁽٣). في مطبوع «الكواشف الجلية»: «التي يُعرف بها».



وإخلاصاً له في الدين، وإذا بَعُد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا كثر بُعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول». اهـ.

قال محمد تقى الدين: لم أنقل تفسيره لآية المائدة لأنه تقدم.

ثم قال:

«تنبيه: أنكرت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم محبة الله، وقالوا: المحبة لا تكون إلا بين متناسبين؛ وبهذه الشبهة الفاسدة ردوا صفة من صفات الله الثابتة له.

قال الإمام أحمد: لا نُزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين، والمناسبة لفظ مجمل، فإنه قد يراد بها التوالد (۱۱) والقرابة، فيقال: هذا نسيب فلان ويناسبه إذا كان بينهم قرابة مستندة للولادة (۲۲) والآدمية، والله ش منزّه عن ذلك، ويراد بها المماثلة، فيقال: هذا يناسب هذا: أي: يماثله والله ش أحد، صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أو (۱۳) يراد بها الموافقة في معنى من المعانى وضدها المخالفة، والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة فإن أولياء الله تعالى يوافقونه فيما يأمر به فيفعلونه وفيما يحبه فيحبونه وفيما نهى عنه فيتركونه وفيما يعطيه فيصيبونه، والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال (۱۱)، نظيف يحب النظافة، محسن يحب المحسنين، مقسط يحب المقسطين، إلى غير ذلك من النظافة، محسن يحب المحسنين، مقسط يحب المقسطين، إلى غير ذلك من الكمال (۵۰)، فإن من يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات الكمال أو لا يحب صفات الكمال، وإذا قدر موجودان أحدهما يحب العلم والصدق والعدل والإحسان ونحو ذلك، والآخر لا فرق عنده بين هذه الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يحب هذا، ولا يبغض هذا الأمور وبين الجهل والكذب والظلم ونحو ذلك لا يحب هذا، ولا يبغض هذا كان الذي يحب تلك الأمور أكمل من هذا". اله.

من «مجموعة الرسائل» لشيخ الإسلام.

⁽۱) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «التولد».

⁽٢) في مطبوع «مجموع الفتاوي»: «إلى الولادة».

⁽٣) في مطبوع «مجموع الفتاوى»: «و».

⁽٤) في مطبوع «مجموع الفتاوى» زيادة: «عليم يحبُ العلم».

⁽٥) في مطبوع «مجموع الفتاوى» زيادة: «كما تقدمت الإشارةُ إليه».

⁽٦) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ١١٤ ـ ١١٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.



الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَنُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿ فَالْغَفُورِ مِن أَبِنية المبالغة، أي كثير المغفرة، وأصل الغفر: الستر، ومنه المغفر، فهو ﴿ يَعْفَر لَمَن تَابَ إِلَيه؛ أي يستر ذنوبه ويتجاوز عن خطاياه.

قال ابن رجب: «المغفرة: محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، ومنه: المغفر؛ لما يقي الرأس من الأذى، لا كما ظنه بعضهم الستر، فالعمامة لا تسمى مغفراً مع سترها، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية»(١). اهـ.

وقوله: ﴿أَلُودُودُ﴾ من الود، وهو خالص الحب وألطفه وأرقه وهو من الحب بمنزلة الرأفة والرحمة، قال الجوهري: «ودِدْتُ الرجل أوَدُّه وُدًا إذا أحببتَه، والثُوتُ الممودة والودود المحب» (٢)، والودود من صفاته (٣) تعالى، أصله: من المودة واختلف فيه على قولين؛ فقيل: هو ودود بمعنى وادِّ، كضروب بمعنى ضارب، وقتول بمعنى قاتل، ونؤوم بمعنى نائم، ويشهد لهذا القول أنّ فعولاً في صفات الله فاعل كغفور بمعنى عافر، وشكور بمعنى شاكر، وصبور بمعنى صابر، وقيل: بل هو بمعنى مودود، وهو: الحبيب، وبذلك فسره (غ) في "صحيحه»، فقال: «الودود: الحبيب»، والأول أظهر الاقترانه بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْفَقُورُ ٱلْوَدُودُ [هود: ٩٠]، وبالرحيم في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وفيه مراس لطيف، وهو أنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الله فالود أصفى الحب وألطفه. اه. من كلام ابن القيم (٢).

وقال رَخْلَلْهُ:

وَهُوَ الودُودُ يحبُّهُم وَيُحبُّهُ أحبابُهُ والفَضْلُ للنَّمَتَّانِ وهُوَ الذي جَعَل المَحبةَ فِي قُلُو بِهِمُ وَجَازَاهُمْ بِحُبُّ ثَانِ

⁽۱) اختيار الملأ الأعلى (ص٤٨) وعنه في "تفسير ابن رجب» (٢٠٢/٢):

⁽٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٤٩) مادة (وَدًّ).

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «صفات أصله» والصحيح المثبت.

⁽٤) «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب تفسير سورة البروج، باب رقم (٤٢٤).

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وفي».

⁽٦) في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٥٥، ط. ابن رجب).



هَذَا هُوَ الإحْسَانُ حَقًّا لَا مُعَا وَضَةً وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ^(١)

والخلاصة:

إنه سبحانه المحب لأهل طاعته من أنبيائه ورسله وملائكته وأوليائه وعباده المؤمنين المحسنين وهو سبحانه محبوبهم ولا تعادل محبة الله عند أصفيائه محبة أخرى، وهذا هو الواجب ويتعين أن تكون المحاب تبعاً لها؛ لأن محبة الله هي روح الأعمال وجميع الأعمال وجميع العبودية الظاهرة والباطنة تبع لها، ومحبة العبد لربه فضل من ربه وإحسان ليست بحول العبد وقوته، فهو الذي أحب عبده فوفقه وجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه جازاه بحب آخر.

قال ابن القيم: (٢)

وحياة قلب المرء (٣) في شيئين من في هذه الدنيا وفي الأُخرى يكو في هذه الإله وحبه من غير إشمن صاحب التعطيل حقاً كامتنا أيحبه من كان ينكر وصفه لا والذي حقًا على العرشِ استوى ثم قال صاحب «الكواشف»:

يرزقهما يحيى مدى الأزمانِ ن الحي ذا الرضوان والإحسانِ راك به وهما فممتنعانِ ع الطائر المقصوص من طيرانِ وعليه وكلامه بقرانِ وعلم الوحي والفرقانِ (٤)

أقسام المحبة:

«أقسام المحبة خمسة: الأول: محبة الله، ولا تكفي وحدها للنجاة من النار والفوز بالجنة، فإن المشركين يحبون الله، والثاني: محبة ما يحب^(ه) الله وهذه المحبة هي التي تدخل في الإسلام وتخرج من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة، الثالث: محبة في الله ولله؛ وهي فرض، كمحبة أوليائه وبغض أعدائه وهي من مكملات محبة الله ومن لوازمها، فالمحبة التامة مستلزمة

⁽۱) انظر: «نونية ابن القيم» (٢٤٥).

⁽٢) في «نونيته» (٢٩٧)، وفيها: «قلب العبد» بدل «قلب المرء».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «قلب في».

⁽٤) «الكواشف الجلية عن معانى الواسطية» (٦٤ ـ ٧٢) بتصرف يسير.

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يحبه الله».



لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ويحب أولياءه (١٠).

فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه؛ كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب.

ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿تَكَرَىٰ كَتِٰبِيَا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَا مُرُواً ﴾ [المائدة: ٨٠].

فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنَّبِيّ وَالنّبِيّ وَمَا أُزْلِكَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة: ٨١]، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء في القلب.

ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي على وما أنزل إليه.

ومثله قوله تعالى: ﴿لَا نَتَخِذُوا اللَّهُودَ وَالنَّصَنَرَىٰ آوَلِيَاتُهُ بَعْضُمُ آوَلِيَاتُهُ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَلَّمُمُ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١]، فإنه أخبر في تلك الآية (٣) أن متوليهم لا ينكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً» (٤) اه.

قال ابن القيم (٥):

حُبَّاً لهُ مَا ذاكَ فِي إِمْكَانِ أينَ المحبَّةُ يَا أَخَا الشَّيَطَانِ بَّةِ مَعْ خُضوعِ القَلْبِ والأَرْكَانِ

أتحبُّ أعداءَ الحبيبِ وتَدَّعي وكذا تُعَادي جَاهِداً أحبابَهُ ليسَ العِبادَةُ غيرَ تَوْحيدِ المَحَـ

⁽١) انظر: «الكواشف الجلية» (ص١١٢). (٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية.

⁽٣) في مطبوع كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام: «الآيات».

⁽٤) انظر: «الإيمان» (١٧ ـ ١٨).

⁽٥) في «الكافية الشافية» (٢٥٨)، والنقل ما زال من «الكواشف الجلية».



والحُبُّ نَفْسُ وِفِاقِهِ فِيَما يُحِ بَّ وَبُغْضُ مَا لَا يَرْتَضِي بِجَنَانِ الرابع: المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وهي المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال، فهذه لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غير الله أشرك الأكبر.

الخامس: المحبة الطبعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة المال والولد ونحو ذلك، فهذه لا تذم إلا إذا شغلت(٢) وألهت عن طاعة الله.

قال الشيخ: حب^(۳) الإنسان للأمور الدنيوية لا يلام العبد عليه ولا يعاقب إلا [إذا]⁽³⁾ دعا إلى معصية الله، أو تضمن ترك واجب. وجامع⁽⁰⁾ المال إذا قام فيه بالواجبات ولم يكتسبه من الحرام لا يعاقب عليه، لكن إخراج الفضل والاقتصار على الكفاية أفضل وأسلم وأفرغ للقلب، وأجمع للهم، وأنفع للدنيا والآخرة⁽¹⁾.اه.

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فقد أشرك».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «أشغلت».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «محبة».

⁽٤) غير موجود في مطبوع «الكواشف الجلية».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وجميع».

⁽٦) انظر: «الكواشف الجلية» (١١٢ ـ ١١٣).





-0000000000000000



إثبات صفة الرحمة لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ يِسْدِ اللَّهِ النَّجْزِ النَّجَيْدِ اللَّهِ اللَّهِ النَّجْزِ النَّهِ اللهِ الله تعالى: ﴿ يُسْدِهِ النَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

وقال تعالى في آخر سورة البقرة معَلّماً عباده كيف يدّعونه: ﴿وَأُغْفِرُ لَنَا وَالْحَمَّنَا } [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً: ﴿ وَإِلَهُ كُرْ إِلَكُ ۗ وَحِدُّ لَا إِلَهُ إِلَا هُوَ ٱلْمَجْهَانُ الرَّحِيمُ اللهِ اللهُ وَالبقرة: ١٦٣].

وقال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَكَمَدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ ٱلرَّحْمَنِ الْحَكَمَدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ الناتحة: ٢، ٣].

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٌ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَنَقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوْةَ وَٱلَّذِينَ هُمْ بِعَايَنِنِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٦].

وقال تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَنهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَتِهِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ تَحِيثُمُ اللَّهِ اللَّهِ [البقرة: ٢١٨].

وقال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ كُفَرُواْ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ وَلِقَآبِهِ ۗ أُولَنَيْكَ يَهِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُولَتِهَكَ لَمُتُمْ عَذَابُ أَلِيتُمْ ۞ الآية [العنكبوت: ٢٣].

إلى غير ذلك من الآيات التي هي برهان قاطع على أن الله تعالى موصوف بالرحمة.

معنى صفتي الرحمٰن الرحيم: قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٢١٠): "في أسماء الله تعالى: ﴿الرَّحَيْنِ الرَّحِيمِ: وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل: ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيم، والرحمٰن خاص لله لا يسمى به غيره، ولا يوصف، والرحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال: رحمٰن.



وفيه: "ثلاث ينتفع (١) بهن العبد في الدنيا، ويدرك بهن في الآخرة ما هو أعظم من ذلك: الرُّحم، والحياء، وعي اللسان الرحم بالضم: الرحمة، يقال: رحم رحماً: ويريد بالنقصان ما يناله المرء بقسوة القلب، ووقاحة الوجه، وبسطة اللسان التي هي أضداد تلك الخصال من الزيادة في الدنيا (٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ﴾.

قال (ك): «أي: فيما بيننا وبين عبادك فلا تظهرهم على مساوينا وأعمالنا القبيحة و ﴿ وَٱرْحَمُناً ﴾: أي: فيما يستقبل، فلا توقعنا بتوفيقك في ذنب آخر.

ولهذا قالوا: إن المذنب محتاج إلى ثلاثة أشياء: أن يعفو الله عنه فيما بينه وبينه، وأن يستره عن عباده فلا يفضحه به بينهم، وأن يعصمه فلا يوقعه في نظيره "^(٣).اه.

وقال القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهُكُمْ لِللَّهُ ۗ وَحِدُّ ۗ الآية: «يخبر تعالى بخطابه كافة الناس عن تفرده بالإهيته، وأنه لا شريك له ولا عديل.

قال الراغب: يجوز أن يكون قوله: ﴿ وَإِلَهُ كُرْ إِلَهُ ۗ وَحِدُ ۗ خطاباً عاماً، والمعنى، الذي تعبدونه إله واحد (٤)، تنبيها أنكم لستم كالكفار، الذين يعبدون أصناماً آلهة والشيطان والهوى وغير ذلك.

إن قيل: ما فائدة الجمع بين ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَعِدُّ ﴾ وبين ﴿لَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ وأحدهما يبنى على الآخر؟

قيل: لما بين بقوله: ﴿وَإِلَاهُكُمْ إِلَهُ وَحِدَّ أَنه المقصود بالعبادة أو المستحق لها _ وكان يجوز أن يتوهم أن يوجد إله غيره ولكن لا يعبد ولا يستحق العبادة أكده بقوله: ﴿لَا إِلَهُ إِلَا هُو﴾ وحق لهذا المعنى أن يكون مؤكداً وتكرر عليه الألفاظ، إذ هو مبدأ مقصود العبادة ومنتهاه. اه.

وقال الرازي: إنما خص على هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين؛ لأن ذكر

⁽١) في مطبوع «النهاية»: «ينقصُ»، وهو الصحيح.

⁽٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢١٠/٢).

۳) انظر: «تفسير ابن كثير» (۲/ ٥٢٨).

⁽٤) وهنا زيادة سقطت من الأصل وهي مثبتة في المطبوع من «تفسير القاسمي»: «أي المستحقُّ منكم العبادة هو إلهٌ واحدٌ لا أكثر، ويجوز أن يكون خطاباً للمؤمنين».



الإلهية الفردانية يفيد القهر والعلو، فعقبهما بذكر هذه المبالغة في (١) الرحمة ترويحاً للقلوب عن هيبة الإلهية وعزة الفردانية، وإشعاراً بأن رحمته سبقت غضبه وأنه ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان»(٢). اه.

قال محمد تقي الدين: تقدم معنى الرحمن الرحيم.

وقال صاحب «لسان العرب»: «الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله. وقد رحمته، وترحمت عليه، وتراحم القوم، رحم بعضهم بعضاً، والرحمة: المعفرة، وقوله تعالى في وصف القرآن: ﴿ هُدُى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥] أي: فصلناه هادياً وذا رحمة، وقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُونً ﴾: أي: هو رحمة لأنه كان سبب إيمانهم، رَحِمَهُ رُحْماً ورُحُماً ورَحْمةً ورَحَمةً ؛

وقال الله وَ الله عليه والله والله

⁽١) من مطبوع «تفسير القاسمي» و«تفسير الرازي»، وسقطت من الأصل.

⁽۲) انظر: «تَفْسير القاسمي» (۴/ ۱۶)، و«تفسير الرازي» (۱٦٠/٤).

⁽٣) في مطبوع «لسان العرب»: «والاسم الرُّحمن».

⁽٤) في «تهذيب اللغة» (٥١/٥).

⁽٥) في مطبوع «لسان العرب»: «رحمتَ» بالتاء المبسوطة.

⁽٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.(٧) في مطبوع «لسان العرب»: «وصنعاً».

⁽A) في مطبوع «لسان العرب»: «مُزوَّجاً».



وتَرَحَّم عليه: دعا له بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة، ورجل مرحوم ومُرَحَّمٌ شُدِّدَ للمبالغة، (والتوكيد فلأنه أخبر عن العرض بما يخبر به عن الجوهر، وهذا تغال بالعرض، وقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَخْنَصُ بِرَحْمَتِهِ، مَن يَصَامَهُ البقرة: (البقرة: عناه يختص بنبوته من يشاء ممن أخبر ﴿ الله مصطفى مختار)(١).

والله الرحمٰن الرحيم: بنيت الصفة الأولى على فعلان لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم فإنما ذكر بعد الرحمٰن؛ لأن الرحمٰن مقصور على الله ﷺ والرحيم قد يكون لغيره.

قال الفارسي: إنما قيل: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فجيء بالرحيم، بعد استغراق الرحمٰن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، كما قال: ﴿أَفُراْ بِاللَّهِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿ العلق: ١]، ثم قال: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ٢] فخص بعد أن عم "(٢). اه.

قال القاسمي في «تفسيره» عند هذه الآية: «وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتَ كُلَّ شَيَّءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، تطلق الرحمة على التعطف والمغفرة والإحسان والجنة، كما قال تعالى: ﴿يُدُخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ [الشورى: ٨]، ولعلها هي المراد هنا، بدليل مقابلتها بـ «العذاب» (٣) قيل: كما قابل الآية التي ذكرها بقوله: ﴿وَالظّلِمِينَ أَعَدُ لَمُمْ عَذَابًا أَلِيًا ﴾ [الإنسان: ٣١] والله أعلم. ﴿فَسَأَحُتُ بُهَا أَي هذه الرحمة ﴿لِلَّذِينَ أَعُرُنُ ﴾ أي: هذه الرحمة ﴿لِلَّذِينَ مُمْ يَايَئِنا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: بكتابنا ورسولنا مصدقون (٤٠٤) أي: بكتابنا ورسولنا يصدقون (٤٠٠). اه.

وقال القاسمي أيضاً في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ عَامَنُوا وَالَّذِينَ مَامَنُوا ﴾ بحرمة الشهر في نفسه وجواز قتال هَاجَرُوا ﴾ الآية [البقرة: ٢١٨]: ﴿ وَالَّذِينَ مَامَنُوا ﴾ بحرمة الشهر في نفسه وجواز قتال المخرجين أهل المسجد الحرام منه، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ تركوا مكة وعشائرها (٥) إذ خرجوا من المسجد الحرام ﴿ وَجَهَهُدُوا فِي سَكِيلِ اللّهِ ﴾ ولو في الشهر الحرام للدفع

⁽١) ما بين الهلالين سقط من مطبوع «لسان العرب».

⁽٢) انتهى النقل من «لسان العرب» (٢١/ ٢٣٠ _ ٢٣١) بتصرف.

⁽٣) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «قبل».

⁽٤) انظر: «تفسير القاسمي» (٧/ ٢٦٣ _ ٢٦٤).

⁽٥) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وعشائرهم».



عن أنفسهم ﴿أُولَلَيْكَ﴾ وإن باشروا القتال في الشهر الحرام ﴿ يَرْجُونَ رَخْمَتَ اللّهِ ﴾ أي: جنته على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم، وإنما ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو؛ للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه (١) ﴿ وَاللّهُ عَفُورٌ ﴾ لهتكهم حرمة الشهر ﴿ رَجِيمٌ ﴾ بما تجاوز عن قتالهم، مع قيام دليل الحرمة فلم يعاقبهم (١). اهـ،

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَايَنتِ ٱللَّهِ وَلِقَآ بِهِ ۗ الآية [العنكبوت: ٢٣]. قال (ك): «أي جحدوها وكفروا بالمعاد ﴿أُولَٰتِيكَ يَبِسُواْ مِن رَّحْمَقِ﴾ أي: لا نصيب لهم فيها ﴿وَأُولَٰتِيكَ لَمُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ أي: موجع (٣) شديد في الدارين (٤٠). اه.

فصل

قال محمد تقي الدين: الرحمة صفة وصف الله بها نفسه، ولفظها مشترك له في كل مقام معنى، والمعنى الذي وصف الله به نفسه خاص بالله تعالى لا يشترك معه أحد فيه، والذين نفوها عن الله تعالى رأوها مفسرة بالرقة والتعطف في حق المخلوق، فشبهوا صفة الخالق بصفة المخلوق ونفوها عن الله تعالى وأولوها بالمغفرة والإثابة، وإنما أتوا من قبل جهلهم وتشبيههم، ولو أثبتوها مع التنزيه عن مشابهة المخلوقين كما أثبتوا العلم والقدرة؛ لكان خيراً لهم.

وقال صاحب «الكواشف» (ص١١٧): «صفة الرحمة والمغفرة. وقوله: ﴿ إِنْ اللَّهِ اللَّهِ الْكَوْنِ الرَّحِينَ كُلُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهِ الْكَوْنِ الرَّحِينَ اللَّهِ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

الآية الأولى:

الباء في ﴿ بِسْ عِلْمُ اللَّهِ ﴾ للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، والتقدير

⁽١) في مطبوع «تفسير القاسمي» زيادة: «لا لأنَّ في فوزهم اشتباهاً».

۲) انظر: «تفسير القاسمي» (۳/ ۲۰۹ ـ ۲۱۰).

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «موجعٌ في الدنيا والآحرة».

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠٠/١٠). (٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الآية»،

⁽٦) في مطبوع «الكواشف الجلية» بزيادة: «﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، ﴿وَرَحْمَنِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٌ﴾، ﴿كُنَّبُ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةً﴾.



أبتدئ، والاسم مشتق من السمو و^(۱)العلو أو من السمة، وهي العلامة، ولفظ الجلالة مشتق من أله، ومعنى كونه مشتقاً أنه دال على صفة هي ألوهية كسائر الأسماء الحسنى، وقوله: ﴿ الرَّحَيْنِ لَرَّحَيْنِ الرَّحَيْنِ فَالَ ابن عباس: الرحمٰن الرحيم السمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر؛ أي: أوسع رحمة. اه.

وهما من أبنية المبالغة، والرحمٰن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، والرحمٰن خاص بالله سبحانه لا يسمى به غيره ولا يوصف، بخلاف الرحيم فيوصف به غيره، فيقال: رجل رحيم، وفائدة الجمع بين الصفتين الرحمٰن (٢) الرحيم: الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة، وخاصة عامة.

قال ابن القيم: "وأسماء ($^{(7)}$) الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي $^{(3)}$ بين العلمية والوصفية، فالرحمٰن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هي $^{(6)}$ صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورد $^{(7)}$ الاسم العلم.

ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى؛ حسن مجيئه مفرداً غير تابع، كمجيء اسم الله كذلك، وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمٰن كاسم الله، فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجئ قط تابعاً (٧) بل متبوعاً، وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها، ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة، فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمٰن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعاً.

وأما الجمع بين الرحمٰن والرحيم ففيه معنى، وهو أحسن من المعنيين اللذين ذكرهما، وهو أن الرحمٰن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمٰن صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فستأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُم بِهِمْ رَمُوثُ

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وهو».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية» بإثبات: «و».

⁽٣) في مطبوع «بدائع الفوائد» بدون: «و».

⁽٤) بعدها في مطبوع «بدائع الفوائد»: «فيها». (٥) بعدها في مطبوع «بدائع الفوائد»: «هو».

⁽٦) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «ورود». (٧) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «لغيره».



رَّحِيدٌ التوبة: ١١٧]، ولم يجئ قط (رحمٰن بهم) فعلم أن رحمٰن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم (١) تنجل لك صورتها» (٢).

وقال ابن القيم:

«تضمنت ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّخَيْلِ الَّذِيكَ ﴾ (٣) إثبات النبوات من جهات عديدة:

الأولى: من (٤) اسم «الله» وهو المألوه المعبود، ولا سبيل إلى معرفة عبوديته (٥) إلا من طريق رسله.

الثانية: من اسمه «الرحمٰن» فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية السعادة (٢)، فمن أعطى هذا الاسم (٧) حقه عرف أنه متضمن إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب، فاقتضاؤه الرحمة لما يحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائه ما يحصل به حياة الأبدان والأشباح (٨) (٩). اهد.

فصيل

قال محمد تقي الدين: قوله: إن اسم الجلالة «الله» مأخوذ من (اله) بزيادة الألف واللام وحذف الهمزة، وهو فعال بمعنى مفعول؛ أي: مألوه؛ لأن أله يأله بمعنى عبد يعبد، وهذا مذهب سيبويه وعندي فيه نظر؛ لأن هذا هو اسم الباري سيحانه في جميع اللغات السامية، كالعبرانية فهو فيها الوهيم والسريانية فهو فيها أولاها، والآشورية فهو فيها ألاهو، فهو مرتجل والله أعلم اه.

⁽١) في مطبوع «بدائع الفوائد»: «لم ينجل».

⁽٢) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٤، ط. دار الكتاب العربي).

⁽٣) في مطبوع «مدارج السالكين» بدون: «بسم الله الرحمٰن الرحيم».

⁽٤) قبلها في «مدارج السالكين»: «أخذها». (٥) في مطبوع «مدارج السالكين»: «عبادته».

⁽٦) في مطبوع «مدارج السالكين»: «كمالهم».

⁽V) في مطبوع «مدارج السالكين»: «اسم الرحمن».

⁽٨) انظر: «مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» (١/٧ ـ ٨، ط. دار الكتاب العربي ـ تحقيق محمد حامد الفقي).

⁽٩) انظر: «الكواشف الجلية» (٧٢ ـ ٧٤).



الآية الثانية:

أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فما من مسلم ولا كافر إلا وهو يتقلب في نعمته. اه.

الآية الثالثة:

يخبر تعالى أنه بالمؤمنين رحيم.

الآية الرابعة:

يخبر تعالى أن رحمته عمَّتْ كلَّ شيء في العالم العلوي والسفلي: البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فلا يخلو مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمته وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخالصة (٢) ليست لكل أحد، ولهذا قال (٣) فيها: ﴿ فَسَأَكُتُهُم لِلَّذِينَ يَنَقُونَ ﴾ أي (٤): الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة.

الآية الخامسة:

في الآية احتجاج، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين مقرراً لهم (٥) وملزماً

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عنها».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «الخالصة».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عنها».

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «أي».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «لهم».



لهم بالتوحيد؟ فإن أجابوك وإلا فقل: إن الله هو الخالق لهذا الكون المالك المتصرف فيه، وقوله: ﴿كُلِبَ...﴾ إلخ هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عن الإقبال عليه، وإخبار منه بأنه رحيم بالعباد، قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ولكنه كتب على نفسه الرحمة ووعد بها فضلاً منه وإحساناً ولم يوجبها عليه أحد.

والكتابة تكون شرعية وتكون كونية (١)، فالكتابة الشرعية الأمرية كقوله تعالى ﴿ كُنِبَ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [السبقسرة: ١٨٣]، ﴿ وَكَنْبَنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة: ٤٥].

والكونية القدرية كقوله: ﴿ كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَ أَنَا وَرُسُلِنَ إِنَ اللّهَ فَوِيً عَزِيرٌ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي النّبَورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكِرِ اَنَ اللّهُ وَرَكَا الدِّكِرِ اَنَ الدَّرْضَ الدَّرْضَ الدَّرْضَ يَرْبُهَا عِبَادِى الصَّكِلِحُونَ ﴿ وَكَ اللّانبياء: ١٠٥]، وقوله: ﴿ وَكَأْتِن مِنْ ءَايَةِ فِي السَّعَوَتِ مَا اللّهَ عَنَا السَّعَوَتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ أَنَهُ مَن وَاللّهُ اللّهُ مَن وَاللّهُ اللّهُ مَن وَلَا اللّهُ مَن وَلَا اللّهُ مَن وَاللّهُ وَيُهِدِيدِ إِلَى عَدَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٤].

والكتابة في قوله: ﴿كُتَبَ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤] كونية قدرية فقد كتب على نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً من غير أن يوجبها عليه أحد كما قيل^(٢):

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعى للديه ضائع الله عن أبُوا فبعدله أو نُعِّمُوا فبفضله وهو الكريم الواسع الواسع المالية المالي

"وإذا كان معقولاً من الإنسان أن يوجب على نفسه ويحرم، ويأمرها وينهاها، مع كونه تحت أمر غيره ونهيه، فالآمر الناهي الذي ليس فوقه آمر ولا ناو كيف يمتنع في حقه أن يحرم على نفسه ويكتب على نفسه، وكتابته على نفسه سبحانه تستلزم إرادته لما كتبه ومحبته له (*) إرادة أن لا يفعله فإن محبته للفعل تقتضي وقوعه منه، وقوعه منه، وهذا غير ما يحبه سبحانه من أفعال عباده ويكرهه، فإن محبته ذلك منهم تستلزم وقوعه، وكراهته منهم لا تمنع وقوعه)،

⁽١) سبق أن ذكرنا في التعليق على (١٨/٦) الفرق بينهما.

⁽۲) انظر: «شرح نونية ابن القيم» (ص٢٤٥).

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية» بزيادة جملة وهي: «ورضاه به وتحريمه على نفسه يستلزم بُغضه لما حرمه وكراهته له و...».

⁽٤) ما بين الهلالين ليس في «الكواشف الجلية».



فرق بين فعله هو سبحانه وبين فعل عباده الذي يقع مع كراهته وبغضه له، ويتخلف مع محبته له ورضاه به، بخلاف فعله هو سبحانه، فهذا نوع وذلك نوع، فتدبر هذا الموضع»(١).

وقال: «واعلم أن الناس في هذا المقام ثلاث طوائف:

فطائفة منعت أن يجب عليه شيء أو يحرم عليه شيء بإيجابه وتحريمه، وهم كثير من مثبتي القدر، الذين ردوا أقوال القدرية النفاة وقابلوهم أعظم مقابلة، نفوا لأجلها الحِكَمَ والأسبابَ والتعليل، وأن يكون العبد فاعلاً أو مختاراً.

الطائفة الثانية: بأزاء هؤلاء أوجبوا على الرب وحرموا أشياء بعقولهم جعلوها شريعة له، يجب عليه مراعاتها من غير أن يوجبها هو على نفسه ولا حرمها، وأوجبوا عليه من جنس ما يجب على العباد، وحرموا عليه من جنس ما يحرم عليهم، ولذلك كانوا مشبهة في الأفعال، والمعتزلة منهم جمعوا بين الباطلين؛ تعطيل صفاته، وجحد نعوت كماله، والتشبيه له بخلقه فيما أوجبوه عليه وحرموه، فشبهوا في أفعاله وعطلوا في صفات (٢) كماله، فجحدوا بعض ما وصف به نفسه من صفات الكمال وسموه توحيداً وشبهوه بخلقه فيما يحسن منهم ويقبح من الأفعال وسموا ذلك عدلاً، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد، فعدلهم إنكار قدرته ومشيئته العامة الشاملة التي لا يخرج شيء من الموجودات ذواتها وصفاتها وأفعالها، وتوحيدهم إلحاد في أسمائه الحسنى وتحريف معانيها عما هي عليه، فكان توحيدهم في الحقيقة تعطيلاً (٣)، وعدلهم شركاً، والمقصود أن هذه الطائفة مشبهة في الأفعال، معطّلة في الصفات.

وهدى الله الأمة الوسط لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فلم يقيسوه بخلقه، ولم يشبهوه بهم في شيء من صفاته ولا أفعاله، ولم ينفوا ما أثبته لنفسه من ذلك، ولم يوجبوا عليه شيئاً ولم يحرموا عليه شيئاً، بل أخبروا عنه بما أخبر عن نفسه، وشهدت قلوبهم ما في ضمن ذلك الإيجاب والتحريم من الحكم والغايات المحمودة التي يستحق عليها كمال الحمد والثناء، فإن العباد لا يحصون ثناء عليه (3) بل هو كما أثنى على نفسه.

⁽١) انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ١٦٣ _ ١٦٤). (٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «صفاته».

⁽٣) في الأصل: "تعليلاً"! والمثبت من "الكواشف الجلية".

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية» بعدها: «أبداً».



وهذا بين _ بحمد الله _ عند أهل العلم والإيمان، مستقر في فطرهم، ثابت في قلوبهم، يشهدون انحراف المنحرفين في الطرفين، وهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، بل هم إلى الله ورسوله متحيزون وإلى محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أين توجهت ركائبه، ويستقرون معه حيث استقرت مضاربه». اه من كلام ابن القيم (۱)، ثم نقل عن شيخ الإسلام (۲) كلاماً حسناً أثبته هنا:

"زعم الجهمية والمعتزلة أن الرحمة ضعف وخور في الطبيعة وتألم على المرحوم، وهذا الزعم باطل من وجوه؛ أما أولاً؛ فلأن الضعف والخور مذموم من الآدميين والرحمة ممدوحة، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْمُومُ الله: الله: الله عباده عن الوهن والحزن، فقال: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحَرَّفُوا وَالتَّمُ الله الله عباده عن الوهن والحزن، فقال: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحَرَّفُوا وَالتَّمُ الله عَلَى الرحمة، وقال الله عباده عن الرحمة إلا من شقي (٣)، وقال: «من لا يَرْحم لا يُرْحَم (٤)، النبي ﷺ: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي (٣)، وقال: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء (١٠)، ومحال أن يقول: لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي، من في السماء (١١)، ومحال أن يقول: لا ينزع الضعف والخور إلا من شقي،

⁽۱) في «بدائع الفوائد» (۲/ ١٦٤). (۲) في «مجموع الفتاوي» (٦/ ١١٧).

⁽٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٧٤)، والترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٢٩٤٦)، وابن أبي شيبة (٨/ ٧٥٧)، وأحمد (٢٠١/١)، والطيالسي (٢٥٢٩)، وأبو يعلى (٢٦٥٦)، وابن حبان (٢٦٤)، والحاكم (٢٤٨/٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٧٧)، والخطيب (٧/ ١٨٣)، والبيهقي (٨/ ١٦١)، والبغوي (٣٤٥٠) من حديث أبي هريرة، وإسناده حسن.

⁽٤) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧)، ومسلم كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة.

⁽٥) أخرجه الترمذي (١٩٢٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحميدي (٤٩٥١)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩٤١)، وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٩)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٧٧٥)، والحاكم (٤/ ١٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٤٤)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٢٦٠/١)، والخطيب (٣/ ٢٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وحسنه ابن حجر في كتاب «الإمتاع» (ص٣٣)، وذكر تصحيح الترمذي، وعلق عليه بقوله: «وكأنه صححه باعتبار المتابعات والشواهد» قال أبو عبيدة: هو كذلك، وأحسنها الحديث السابق.

⁽۲) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وابن أبي شيبة (٨/ ٢٢٥)، وأحمد (7/ ١٦٠)، والحميدي (٩٩١)، والحاكم (7/ ١٥٩)، والبيهقي (7/ ٢٤١)، والخطيب (7/ ٢٠٠)، من حديث عبد الله بن عمرو، وهو صحيح بشواهده، ومضى بعضها، وغيرها =



ولما كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور كما في رحمة الناس ونحو ذلك ظن الغالط أنها كذلك مطلقاً.

وأيضاً فلو قدر أنها في حق المخلوقين مستلزمة لذلك، لم يجب أن تكون في حق الله تعالى مستلزمة لذلك، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم من النقص والحاجة ما يجب تنزيه الله عنه.

وأيضاً فنحن نعلم بالاضطرار أنّا إذا فرضنا موجودَيْن: أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، والآخر قد استوى عنده ما يقتضي (١) جلب منفعة أو دفع مضرة؛ كان الأول أكمل (٢).اه.

تفسير آية يوسف:

قال (ك): "وقوله تعالى: ﴿ فَاللّهُ خَيْرٌ حَفِظاً ﴾ [يوسف: ٦٤] قرأ: بعضهم «حافظاً » (٣) ﴿ وَهُو اَرْحَمُ الرَّحِينَ ﴾ أي: هو أرحم الراحمين بي وسيرحم كِبَري وضعفي ووجدي بولدي، وأرجو من الله أن يرده عليّ، ويجمع شملي به، إنه أرحم الراحمين » (٤). اه.

⁼ كثير، ولابن طولون جزء مطبوع بعنوان «الأربعين في فضل الرحمة والراحمين»، تنظر فيه، والله الموفق لا رب سواه.

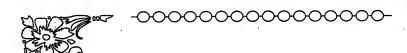
⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «هذا وهذا وليس عنده ما يقتضي...».

⁽٢) انظر: «الكواشف الجلية» (٧٣ ـ ٧٧).

⁽٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وابن محيصن ـ بخلاف عنه ـ والشنبوذي وحماد وخلف وابن مسعود بهذا. (حافظاً) اسم فاعل من (حفظ) وهو منصوب على الحال. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم من رواية أبي بكر ويعقوب وأبو جعفر خير حِفْظاً بدون ألف، وهو منصوب على التمييز، وهو مصدر دال على الفعل. انظر القراءات مع توجيهها في: «التيسير» (١٢٩)، «السبعة» (٣٥٠)، «النشر» (٢٩٦٢)، «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣١)، «إعراب القراءات السبع وعللها» (٢١٤/١)، «البحر المحيط» (٢/٢٥)، «روح المعاني» (١١/١١).

⁽٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/٥٥).







صفة الرضا والغضب والكراهية والسخط

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَالسَّيقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجِدِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ الْمُعُوهُم بِإِحْسَنِ رَّضِي اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَ لَهُمْ جَنَّتِ تَجْدِرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ الْآية [١٠٠].

وقال تعالى في سورة الفتح: ﴿ ﴿ لَهُ لَقَدْ رَضِى اللَّهُ عَنِ اَلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُومِهِمْ فَأَزَلَ السَّكِيمَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿ إِلَى ﴾ الآية [١٨].

قال صاحب «لسان العرب»: «الرضا: مقصور ضد السخط، وفي حديث الدعاء: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١)، وفي رواية(٢): بدأ

⁽١) أخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (٤٨٦) من حديث عائشة.

⁽۲) أخرجها النسائي (۸/ ۲۸۳) وفي «الكبرى» (۷۹۷، ۷۹۷۷)، وعبد الرزاق (۲۸۸۳)، وأبو يعلى (٥٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٨٣)، والدارقطني (١/ ١٤٤)، والبيهقى في «الشعب» (٣٨٣٧).



بالمعافاة ثم بالرضا، قال ابن الأثير^(۱): "إنما ابتدأ بالمعافاة من العقوبة؛ لأنها من صفات الأفعال كالإماتة والإحياء، والرِّضا والسَّخَط من صفات الذات^(۲)، وصفات الأفعال أدنى رُتبةً من صفات الذات، فبدأ بالأدنى مترقياً إلى الأعلى، ثم لما ازداد يقيناً وارتقاء ترك الصفات وقصر نظره على الذات، فقال: "أعوذ بك منك» ثم لما ازداد قُرباً استحيا معه من الاستعاذة على بساط القُرب، فالتجأ إلى الثناء فقال: "لا أحصى ثناء عليك»، ثم علم أن ذلك قُصور، فقال: "أنت كما أثنيت على نفسك»»" "".

فصل

ففي قوله تعالى: ﴿أَن سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ ﴾ إثبات صفة السخط لله تعالى على بعض عباده، ولا يجوز تأويله بالعقاب؛ لأنه عطف عليه قوله: ﴿وَفِي ٱلْمَذَابِ هُمَّ خَلِدُونَ ﴾ ولا يجوز في الكلام الفصيح أن يقال: عاقبهم وعاقبهم أو عذبهم وعذبهم؛ لأن العطف في الغالب يقتضي المغايرة، والنادر لا حكم له.

قال تعالى في سورة القتال: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا آسَخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رَضَّوَنَهُ وَأَخْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (اللَّهَ [٢٨].

ولا يجوز تأويله بأنهم أوجبوا عليه عقابهم، والله تعالى يعبر عن الثواب إذا أراده بحروفه.

في «النهاية» (٢/ ٢٣٢).

⁽٢) كذا في «النهاية» وهو الصواب، وفي الأصل: «القلب»!

⁽٣) انظر: «لسان العرب» (٣٢٣، مادة «رَضِيَ»).



وقال تعالى في المؤمنين من أهل الكتاب الذين كانوا نصاري فسمعوا ما أُنزل إلى الرسول ففاضت أعينهم من الدمع فقالوا: ﴿ وَامَنَا بِمَا أَنَالَتَ وَاتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَأَكْتُبْنَا مَعَ ٱلسَّلَهِدِينَ﴾ [آل عــمــران: ٥٣] ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَيِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّلِحِينَ ﴿ فَأَنْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّنَتِ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِيدِينَ فِيهَا ۚ وَذَالِكَ جَزَآهُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ إِلَّهَا ﴾ [المائدة: ٨٤ ـ ٨٥].

ويعبر عن العذاب بحروفه إذا أراده، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ فَمَن يَكُفُرُ بَقِدُ مِنكُمْ فَإِنِّ أَعَذِبُهُم عَذَابًا لَآ أُعَذِّبُهُ وَ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ الآية [١١٥] ومثل ذلك كثير في القرآن.

وأثبت الله سبحانه صفة الغضب لنفسه، فمن ذلك: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَن يَقْشُلْ مُؤْمِنَ الْمُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّه عَلَيْهِ وَلَمَـنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۞﴾ الآية [٩٣].

ولا يجوز أن يؤول غضب هنا بمعنى عذاب؛ لأنه مخلَّ بالفصاحة والبلاغة، قال صاحب «الكواشف» (ص١٢٢):

«قال الشيخ كَاللهُ (يعني شيخ الإسلام): «وقد ثبت بالسمع اتصاف الباري بالأفعال الاختيارية به، كالاستواء على العرش والقبض والبسط والنزول والخلق والرزق، المتعلقة بنفسه والمتعدية إلى الخلق، والفعل المتعدي واللازم لا بد أن يقوم بالفاعل، ويمتنع عقلاً وشرعاً أن يقوم بالفاعل، ويمتنع عقلاً وشرعاً أن يقوم بغيره في الحالين، وهذه الأفعال الاختيارية تبع لقدرته ومشيئته فما شاء قاله وتكلم به، وما شاء فعله في الحال والماضي والمستقبل، هذا أصل متفق عليه بين السلف وعليه دل الكتاب والسنة».

قال ابن القيم في النونية(١):

أم كَيفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطيتنا هل ثُمَّ شَيءٌ غَيرُ ذَا فيكونُ أفض

أو ما علمت بأنه سبحانه حقاً يُكلِّمُ حِزْبَهُ بِجِنَانِ فيقول جَلَّ جَلالُهُ هَلْ أَنتُمُ وَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو(٢) رِضْوَانِ ما لَم نَنلُهُ قَطّ مِنْ إنسانِ لَ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ الْمَنَّانِ

⁽۱) انظر: «نونية ابن القيم» (٣٨٨).

⁽٢) قال المؤلف: صوابه ذوو رضوان، لكنه يختل الوزن.



فيقول أفضلُ منهُ رِضْوَانِي فَلَا يَغْشَاكُمُ سَخَطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ» وقال صاحب «الكواشف» نقلاً عن ابن القيم (١) (ص١٢٣):

"الرضا ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الرضا بالله، والرضا عن الله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله: فالرضا بالله فرض، والرضا عنه وإن كان من أجل الأمور وأشرفها فلم يطالب به العموم؛ لعجزهم عنه ومشقته عليهم، وأوجبه بعضهم، وأما الرضا بكل مقضي فلا يجب، بل المقضي ينقسم إلى ما يجب الرضا به وهو (٢) الديني، قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِّنُونَ حَقَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بيّنهُم الآية [النساء: ٦٥]، ومقضي كوني قدري، فإن كان فقراً أو مرضاً ونحو ذلك استحب الرضا به ولم يجب، وأوجبه بعضهم، وإن كان كفراً أو معصية حرم الرضا به، فإن الرضا به مخالفة لربه (٣) سبحانه لا يرضى بذلك ولا يحبه قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ ٱلْكُفُرُ ﴾ الآية [الزمر: ٧]، وأما القضاء الذي هو صفة الله وفعله فالرضا به واجب (٤٠). اله.

وقال أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمٰن الصابوني: في «عقيدته» ما نصه:

"وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين (٥)، ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله على من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه (١) عليه بتأويل مُنْكَر ويُجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله تعالى (٧).

وفي «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٦٢) ما نصه:

⁽۱) كلامه في «مدارج السالكين» (۲/ ٤٦٨ ـ ٤٧٩).

⁽٢) بعدها في مطبوع «الكواشف»: «المقضى».

⁽٣) بعدها في مطبوع «الكواشف»: «فإنه». (٤) انظر: «الكواشف الجلية» (٨٠).

⁽٥) بعدها في مطبوع «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «بل».

⁽٦) قوله: «وتضعه عليه» خطأ وهو هكذا في الأصل، والله أعلم بالصواب. (منه).

⁽٧) انظر: «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني (ص٢٨).



«ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات.

قال: ولا يقال: إن الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفى للصفة، وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله وإن كان قد شاءه وأراده، فقد يحب(١) ويرضى ما لا يريده ويكره ويسخط ويغضب لما أراده، ويقال لمن تأول الغضب والرضا بإرادة الإحسان: لِمَ تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: لأن (٢) الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة وذلك لا يليق بالله تعالى، فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب ويقال أيضاً: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده ومفتقر إليه يزداد بوجوده وينقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء؛ فإن جاز هذا جاز هذا وإن امتنع هذا امتنع ذاك، فإن قالوا: الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد وإن كان كل منهما حقيقة، قيل له: فقل: إن الغضب والرضا الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد وإن كان كل منهما حقيقة، فإذا كان كل ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات لم يتعين التأويل بل يجب تركه؛ لأنك تسلم من التناقض وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب، فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام ولا يكون الموجب للصرف ما دل عليه عقله إذا العقول مختلفة فكلِّ يقول: إن عقله دل على خلاف ما يقوله الآخر.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى؛ لامتناع ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به ووجود الباري كما يليق به

⁽١) بعدها في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «عندهم».

⁽۲) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «إن».

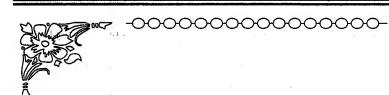


فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمى به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته مثل: الحي والعليم والقدير، أو سمى به بعض صفاته كالغضب والرضا، وسمى به بعض صفات عباده، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أن بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصاً، فيثبت في كل منهما كما يليق به، بل لو قيل: غضب مالك خازن النار وغضب غيره من الملائكة لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية الآدميين؛ لأن الملائكة ليسوا من ذوي الأخلاط الأربعة حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه فغضب الله أولى.

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقال: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه ليس هو في نفسه متصفاً بشيء من ذلك! وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كلاب ومن وافقه فقالوا: لا يوصف الله بشيء يتعلق بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت ولا يغضب في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: "إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله»(۱)».اه.

⁽۱) قطعة من حديث طويل، أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا آَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَرِّمِهِ ﴾ (٣٣٤٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، وما سبق من «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٢٥ ـ ٥٢٧)، و«الكواشف الجلية» (٨٥ ـ ٨٦).





إثبات صفة الفرح والضحك والعَجَب

قال شيخ الإسلام في «العقيدة الواسطية»: «وقوله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته» (١٠) الحديث متفق عليه.

وقوله: «عجب ربُّنا من قنوط عباده وقُرْبِ خيره (٢) ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب» (٣) حديث حسن.

قال صاحب «الكواشف» في شرحه:

«في الأحاديث المذكورة إثبات صفة الفرح، والضحك، والعجب وهي من صفات الأفعال الاختيارية.

الحديث الأول: المفردات:

الفرح لغة: السرور، التوبة: الرجوع من المعصية إلى الطاعة، الراحلة من الإبل: ما كان صالحاً لأن يرحل (٤).

⁽۱) أخرجه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)، ومسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

⁽٢) كذا في الأصل، وفي كثير من كتب التوحيد المطبوعة!.

وفي أصل «الكواشف الجلية»: «غِيره»، ولعله الصواب، وهو بمعنى تغير الحال، فحينئذٍ ضميره لجنس العبد، والمراد تغيّر حاله من القوة إلى الضعف، ومن الحياة إلى الموت، ويحتمل أن يكون المعنى: تغيير الحال وتحويله، وحينئذ الضمير لله، والمعنى: أنه تعالى يعجب من أن العبد يصير آيساً من الخير بأدنى شر وقع عليه مع قرب تغيره تعالى الحال من شر إلى خير، ومن مرض إلى عافية، وهكذا.

⁽٣) أخرجه ابن ماجه (١٨١)، وأحمد (١١/٤)، والطيالسي (١٠٩٢)، وابن أبي عاصم (٥٥٤)، وعبد الله بن أحمد (٢٦٤) كلاهما في «السنة»، والطبراني (١٠٩٨/رقم ٤٦٩)، والدارقطني في «الصفات» (٣٠)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٧٩ ـ ٢٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٧٣) من حديث أبي رَزين، وإسناده ضعيف، فيه وكيع بن حدس مجهول، وقال عنه ابن حجر: «مقبول» أي: إذا توبع، وإلا فليّن.

⁽٤) في مطبوع «الكواشف»: «اللام لام الابتداء».



هذا حديث جليل، فيه بشارة عظيمة ترتاح لها قلوب التائبين، المحسنين ظنهم بربهم، الصادقين في توبتهم، الخالعين ثياب الإصرار على المعاصي البعيدين عن سوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده الطالبين لعفوه الملتجئين إليه في مغفرة ذنوبهم وحصول مطالبهم (۱).

روى هذا الحديث جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة (٢)، والبراء بن عازب (٣)، والنعمان بن بشير (٤)، وأنس (٥)، ولفظ حديث أنس قال: قال رسول الله على: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة متفق عليه (٢)، ولمسلم (٧): «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فكرة فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرائه فأيس من أحدكم كان على راحلته بأرض فكرة أيس من راحلته فبينا (٩) هو كذالك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح». فهذا الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبته له ومودته له، فهذا الكشف والبيان والإيضاح لا مزيد عليه في (١٠) ثبوت هذه الصفة ونفي الإجمال والاحتمال، وفرحه تعالى بتوبة عبده؛ لأن رحمته سبقت غضبه، وكل ما

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «مطلوبهم».

⁽۲) أخرجه مطولاً النسائي في «الكبرى» _ كما في «تحفة الأشراف» (۲۱/۱۱) _ ووقع فيه اضطراب شديد. انظره في: «العلل» (۲۱۹/۷ _ ۲۲۹) للدارقطني، وأسنده بنحوه الدارقطني (۲۷۰/۷)، وابن عساكر في «التوبة» رقم (٥)، والحطاب في «مشيخته» (ص١١٥) رقم (٤)، والديلمي (٦٠٧)، وإسناده ضعيف، ويشهد له حديث ابن مسعود المتقدم تخريجه قريباً، وأخرجه مسلم (٢٦٧٥) مختصراً ضمن حديث، وهو المحفوظ.

⁽٣) أخرجه مسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٦) من حديث البراء بن عازب.

⁽٤) أخرجه مسلم (٢٧٤٥) من حديث النعمان بن بشير.

⁽٥) سيأتي لفظه.

⁽٦) أخرجه البخاري كتاب الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٩) _ وهذا لفظه _، ومسلم كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها (٢٧٤٧) من حديث أنس.

⁽۷) برقم (۷۷٤۷) (۷).

⁽A) كذا في "صحيح مسلم"، وفي الأصل: "وقد"!

⁽٩) كذا في «صحيح مسلم»، وفي الأصل: «فبينما».

⁽١٠) سقطت (في) من مطبوع: «الكواشف الجلية».



كان من صفة الرحمة فهو غالب لما كان من صفة الغضب فإنه سبحانه رحيم ورحمته من لوازم ذاته كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وإحسانه فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك، ليس كذلك غضبه فإنه ليس من لوازم ذاته ولا يكون غضبان دائماً غضباً لا يتصور انفكاكه، ورحمته وسعت كل شيء وغضبه لم يسع كل شيء، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة ولم يكتب على نفسه الغضب، ووسع كل شيء رحمة وعلماً ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً». إهـ.

الحديث الثاني: في هذا الحديث الجليل يخبرنا على كرمه(١) وجوده وأنه متنوع، فهذان الرجلان اللذان قتل أحدهما الآخر، جعل الله لكل منهما(٢) سبباً أوصله الجنة (٣)، فالأول قاتل في سبيل الله فأكرمه الله على يد الرجل الآخر الذي لم يسلم بعد بالشهادة التي هي أعلى المراتب بعد مرتبة الصدِّيقين، وأما الآخر فإن الله جعل باب التوبة مفتوحاً لكل من أراد التوبة بالإسلام (١٤)، فلما تاب محا الله عنه الكفر وأثره (٥) ثم مَنَّ عليه بالشهادة؛ فدخل الجنة كأخيه الذي قتله إ

الحديث الثالث: العجب: لغة استحسان الشيء، القنوط: شدة اليأس وقرب خيره؛ أي تغييره الحال من شدة إلى رخاء، أزلين: الأزَّل؛ بمعنى الشدة والضيق.

المعنى: يخبرنا على أن الله _ جل وعلا _ يعجب من قنوط عباده عند احتباس المطر ويأسهم من نزوله، وقد اقترب وقت الفرج ورحمته لعباده بإنزال الغيث عليهم وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون.

قال الشيخ: «والسبب في أن فرج الله يأتي عند انقطاع الرجاء عن الخلق هو تحقيق توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ومن كمال نعمة الله على عباده المؤمنين أن يمنع حصول مطالبهم بالشرك حتى يصرف قلوبهم إلى التوحيد، وقال ابن عدوان:

ويعجب ربي من قنوط عباده فألق لما بينت سمعك واهتد وفى رقية المرضى مقال(٢) نبينا ألا ارق به مرضاك ياذا التسدد

رواه أبــو داود يــاذا وغــيــره ألا احفظ هداك الله سنة أحمدِ *(٧)

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «كرم الله»، والحديث لم يسبق ذكره عند المصنف.

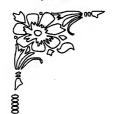
⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «منها». (٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «إلى الجنة».

⁽٤) بعدها في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فما دونه».

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «آثاره». (٦) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فقال».

⁽٧) انظر: «الكواشف الجلية» (١٧١ ـ ١٧٣)..





-0000000000000000



صفة الرجل والقدم

قال تعالى في سورة «ق»: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَمَ هَلِ ٱمْتَكَأْتِ وَتَقُولُ هَلَ مِن مَزِيدِ ۞﴾ [ق: ٣٠].

قال (ك): «يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة: ﴿ هَلِ آمْتَكُأْتِ ﴾ وذلك لأنه تبارك وتعالى وعدها (١) أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين، فهو الله يأمر (٢) بمن يأمر به إليها ويلقى وهي تقول: هل من مزيد؟ أي: هل بقي شيء تزيدنى؟ هذا الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث:

ا ـ قال البخاري عند تفسير هذه الآية بسنده: عن أنس بن مالك عن النبي على قال: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول: قط قط»(٢).

٢ ـ وقال (أحم) بسنده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط وعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر، فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة؟»(٤).

٣ ـ وقال (غ) بسنده: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تحاجت الجنة والنار، فقالت: النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبّرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله ﷺ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي،

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أنه وعدها».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فهو سبحانه يأمر».

⁽٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حديث (٨٤٨).

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٢٣٤)، وعلقه البخاري (٧٣٨٤) ووصله مسلم (٢٨٤) (٣٨) (٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ١٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣١٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٢٥)، والخطيب في «تاريخه» (٥/ ١٢٧).



ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول: قط قط(۱)، فهنالك تمتلئ وينزوي(۲) بعضها إلى بعض ولا يظلم الله (1) من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله (1) ينشئ لها خلقاً آخر؟(1).

٤ ـ روى مسلم في «صحيحه» بسنده: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجّت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فِيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى بينهما فقال للجنة: إنها أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء عن عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها؟»(٥).

٥ ـ وقال (أصم) بسنده: عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله على قال: «افتخرت الجنة والنار، فقالت النار: يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف، وقالت الجنة: أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين، فيقول الله تبارك وتعالى للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، وقال للجنة: أنت رحمتي وسعت كل شيء، ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقي في النار أهلها فتقول: هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ ويلقى فيها وتقول: هل مزيد؟ ويلقى فيها وتقول: هل مزيد؟ حتى يأتيها على فيضع قدمه عليها فتنزوي (٧) وتقول: قدني قدني، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى (٨) أن يبقى فينشئ الله على (٩) لها خلقاً مما يشاء» (١٠).

٦ _ قال الحافظ أبو يعلى في «مسنده» بسنده عن أبيّ بن كعب، قال: إن

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «قط». (٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وَيُزُوى».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: « ﷺ.

⁽٤) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿وَيَقُولُ هَلَ مِن مَّزِيدٍ﴾ (٤٨٥٠). ﴿

⁽٥) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضُعفاء، حديث (٢٨٤٧).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: « ﷺ. (٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فُتزوى».

⁽A) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «سبحانه وتعالى».

⁽١٠) أخرجه أحمد (١٣/٣)، وعبد بن حميد (٩٠٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٩٣، ٩٤ ـ ٥٥، ٩٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٤٥٤)، وابن حبان (٧٤٥٤) وغيرهم، وهو حديث صحيح.



رسول الله على قال: «يُعرِّفني الله (۱) تعالى نفسه يوم القيامة، فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني، ثم يؤذن لي في الكلام، ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم، فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل، حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الأعمال، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، وأنا على الحوض»، قيل: وما الحوض يا رسول الله؟ قال على (والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من ريح (۳) المسك وآنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ ولا يصرف فيروى أبداً» (٤).

قال محمد تقي الدين: هذا الحديث وأمثاله تلقاه السلف الصالح بالقبول ولم يؤولوه ولم يحرفوه، فيقولون: إن لله قدماً مع نفي التشبيه بالمخلوقين، ورجلاً مع نفي التشبيه بالمخلوقين، وقد تقدم الكلام في اليدين والوجه، وجل الله أن يشبه شيئاً من خلقه، أو يشبهه شيء من خلقه، ولو كان ما ذكر في هذه الأحاديث غامضاً يحتاج إلى بيان لبينه رسول الله واصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث، ونحن بهم مقتدون وعلى آثارهم بفضل الله مهتدون. اه.

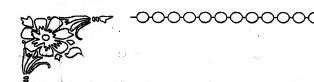
⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: « ريكك ».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: ﴿عَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُ ﴾.

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «ريح».

⁽٤) أخرجه أبو يعلى في «المسند الكبير» - كما في «المطالب العالية» (١٥/ ٥٦١) رقم (٤٦٤) - وابن أبي عاصم في «السنة» (٧١٧) مختصراً، وإسناده ضعيف جداً، فيه عبد الغفار بن القاسم أبو مريم، متروك. ويشهد لبعض معانيه الأحاديث المتقدمة، وانظر كلام المعلق على: «المطالب» (٥١/ ٥٦٢ - ٥٦٤)، وخلص إلى أن الحديث ضعيف جداً، لا يتقوى بالشواهد ومعناه صحيح، إلا قوله: «ولا يصرف فيروى أبداً» قال: «لم أجد له شاهداً صحيحاً، فيبقى على ضعفه»!!





الكلام في الإسلام والإيمان والإحسان

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِنْدَ ٱللّهِ ٱلْإِسْلَامُ وَمَا الْحَتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَلَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْحِلْمُ بَغْمَا بَيْنَهُمُ وَمَا وَمَن يَكُفُر بِاَيْنَ أُوتُوا ٱلْكِتَلَبِ اللّهِ فَإِنْ حَآجُوكَ فَقُلْ مَن يَكُفُر بِايَنتِ ٱللّهِ فَإِن اللّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿ فَا فَإِنْ حَآجُوكَ فَقُلْ مَا لَمُنْتُ وَمَن اتَّبَعَنُ وَقُل لِلّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَلَب وَالْأَمْنِينَ وَاللّهُ لَعَلَيْ أَوْتُوا الْكِتَلَب وَالْأَمْنِينَ وَاللّهُ بَعِيدًا فَإِنْ آسَلَمُهُ وَاللّهُ بَعِيدِينًا فَإِنْ آسَلَمُوا فَقَدِ آهَتَدُوا وَإِن تَوَلّوا فَإِنّهُ عَلَيْكَ ٱلْبَلَغُ وَاللّهُ بَعِيدِيلُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ آهَتِهُ بَعِيدًا اللّهِ [آل عمران: ١٩، ٢٠]

قال (ك): الوقوله تعالى: ﴿إِنَّ البِّينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد على الذي سدَّ جميع الطرق إليه، إلا من جهة محمد على فمن لقي الله بعد بعثه محمد على بدين على غير شريعته فليس بمتقبل، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱلإسلامِ عِندَا فَلَن يُقبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] الآية وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل (١) عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ البِّينَ عِندَ اللهِ الإسلامُ أَنْ البِّينَ عَندَ اللهِ قامت (١) الحجة بإرسال الرسل إليهم وإنزال الكتب عليهم فقال: ﴿وَمَا الْخَتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُولُوا الْكَتَب عليهم فقال: ﴿وَمَا الْخَتَلَفَ ٱلَّذِينَ أَوْلُوا الْكَتَب عليهم فقال: ﴿وَمَا الْخَتَلَفَ ٱلَّذِينَ اللهِ فَي كتابه اللهِ اللهِ عَلى بعضهم البعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بغض بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بغض بعضهم البعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بغض بعضهم البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقاً، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَكُمُن يَؤَيَتِ اللهِ أَي : من جحد ما أنزل الله في كتابه: ﴿فَإِنَ اللهُ سَيْهِ الْفِته كتابه. اللهُ عَلَى مخالفته كتابه. الله من مخالفته كتابه.

⁽۱) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «منه».

⁽٢) بعدها في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «عليهم».



ثم قال تعالى: ﴿ وَان حَابُوك ﴾ أي: جادلوك في التوحيد ﴿ وَفَقُلُ أَسَلَمْتُ وَجَهِى لِلّهِ وَمَنِ اَتَبَعَنِ ﴾ أي: فقد أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ند له ولا ولد له ولا صاحبة له ﴿ وَمَنِ اتَبَعَنِ ﴾ أي: على ديني يقول كمقالتي كما قال تعالى: ﴿ قُلُ هَذِهِ سَبِيلِيّ أَدْعُوّا إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتّبَعَني ﴾ الآية [يوسف: ١٠٨]. ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله محمد ﷺ أن يدعو إلى طريقة دينه (١٠ والدخول في شرعه وما بعثه الله به إلى الكتابيين من المليين (٢) والأميين من المشركين فقال تعالى: ﴿ وَقُلُ لِلّذِينَ أُونُوا الْكِتَبَ وَالْأَمْيِينَ عَلَي اللّهُ وَاللّهُ مَرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من عشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة (٣)، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ بَعِيدٌ مَن يستحق الضلالة وهو يشاء ويضل من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة (٣)، وما ذلك إلا لحكمته ورحمته، وهذا الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة وكما دل عليه وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيمًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَزِّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَزِّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَزِّلَ اللَّهُ وَالْفَرَقَانَ ١٤.

وفي (ن) (غيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه على بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بني آدم: عربهم وعجمهم، كتابيهم وأميهم، امتثالاً لأمر الله له بذلك.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة عن النبي على أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني ومات، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار» رواه (م)(٥).

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «طريقته ودينه».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «الكتابيين مِنَ الملتين».

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "الحجة البالغة".

⁽٤) انظر: "صحيح البخاري" كتاب العلم، باب ما يُذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم العلم العلم البلدان حديث (٦٥)، و"صحيح مسلم" كتاب الجهاد والسير، حديث (٦٥) ٧٤).

⁽٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان (٢٤٠).

وقال ﷺ (بعثت إلى الأحمر والأسود» (١)، وقال: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» (٢).

وقال (أحم) بسنده: عن أنس: «إن غلاماً يهودياً كان يضع للنبي على وضوءَهُ ويناوله نعليه، فمرض؛ فأتاه النبي على فلاحل عليه وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبي على: «يا فلان قل: لا إله إلا الله» فنظر إلى أبيه فسكت أبوه، فأعاد عليه على فنظر إلى أبيه فقال أبوه: أطع أبا القاسم. فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فخرج النبي على وهو يقول: «الحمد لله الذي أخرجه (٣) بي من النار» (١٠). رواه (خ) في «الصحيح» إلى غير ذلك من الآيات والآحاديث» (٥). اه.

وعن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله على ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي على فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله على: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت؛ فعجبنا له، يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، عن الإحسان؟ قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالمة رعاء الشاء بتطاولون في البنيان». ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: «يا عمر العائل»، قلدي من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم

⁽١) قطعة من حديث أخرجه بهذا اللفظ مسلم كتاب المساجد، باب منه (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله، وهو عند البخاري باللفظ الآتي.

⁽٢) قطعة من حديث أخرجه بهذا اللفظ البخاري كتاب الطهارة، باب التيمم (٣٣٥)، وباب قول النبي ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» (٤٣٨) من حديث جابر بن عبد الله.

⁽٣) قال المصنف: (أخرجه) إن صحت هذه اللفظة فمعناها حفظه (منه).

⁽٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٧٥) وهو عند البخاريِّ كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبيُّ فمات هل يُصلَّى عليه؟ حديث (١٣٥٦) من حديث أنس هُلِلهُ.

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣٦ ـ ٣٩).



دينكم». رواه (م)^(۱).

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» في شرح هذا الحديث ما نصه:

«فأما الإسلام، فقد فسره النبي على بأعمال الجوارح الظاهرة من القولِ والعملِ، وأول ذلك: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو عمل اللسان، ثم إقامة (٢) الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من (٣) استطاع إليه سبيلاً، وهي منقسمة إلى عمل بدني: كالصلاة والصوم، وإلى عمل مالي: وهو إيتاء الزكاة، وإلى ما هو مركبٌ منهما: كالحجّ بالنسبة إلى البعيد عن مكة.

وفي رواية ابن حبان (٤) أضاف إلى ذلك: الاعتمارَ والغُسلَ من الجنابة وإتمام الوضوء، وفي هذا تنبيه على أن جميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمى الإسلام.

ثم قال: من أقر بالشهادتين صار مسلماً حكماً، فإذا دخل في الإسلام بذلك ألزم القيام ببقية خصال الإسلام، ومن ترك الشهادتين خرج من الإسلام»(٥).

قال محمد تقى الدين: وللشهادتين شروط لا تنفعان إلا بها:

الأول: معرفة معناهما، الثاني: اعتقاد صحة هذا المعنى، الثالث: العمل بمقتضاهما فمن دعا غير الله أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كإنزال المطر وشفاء المريض وإعادة عقل المجنون بلا علاج وتنوير القلب وشرح الصدر وهداية القلوب وما أشبه ذلك، فهو كافر لا ينفعه النطق بلا إله إلا الله؛

⁽۱) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيانُ الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه (۸).

⁽۲) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إقام».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «لمن».

⁽٤) في "صحيحه" (١٧٣ ـ التعليقات الحسان)، وأخرجها أيضاً: ابن خزيمة (٣/١ ـ ٤)، وأبو نعيم في "المستخرج" (١٠٢/١)، وابن منده في "الإيمان" (١٤٦/١ ـ ١٤٧، ١٤٩) من طريق سليمان التيمي عن يحيي بن يعمر عن ابن عمر عن عمر وهذه الرواية عند مسلم (١/ ٣٠) ولكنه لم يسق لفظها، وهذا مسلك من مسالك التعليل الخفية عنده!

قال ابن حبان عقبه: «تفرد سليمان التيمي بقوله: «تعتمر وتغتسل وتتم الوضوء»».

⁽٥) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٨).



لأنه إما أن يكون جاهلاً بمعناها أو جاحداً له، وكالاهما كفر، ومن خالف رسول الله على عمد فيما جاء به من أمور الدين، قهو جاهل بمعنى محمد رسول الله على أو جاحد لهذه الشهادة.

ثم قال: "ومما يدل على أن جميع الأعمال الظاهرة تفخل في مسمى الإسلام قوله علية: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"(١٠). اهـ.

قال محمد تقي الله بن وبهذا يظهر أن الإسلام ليس متحصراً في الأمور الخمسة المفكورة في حديث جبريل، وإنما اقتصر النبي على عليها؛ لأن أكثر الناس يستطيعونها ولأن النيابة لا تجزئ فيها، فلا يفعلها أحد عن أحد في الجملة بخلاف غيرها كقضاء الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكو، والجهاد في سبيل الله إذا لم يكن فرض عين، وإقامة العدل بين الناس، وأيضاً قإن تلك الخمسة لا تصح إلا بالنية وغيرها يصح ولو بلا نية كقضاء اللين مثلاً، وإلا فكل ما أخبرنا النبي على أنه فرض لا يتم الإسلام إلا به اه.

ثم قال ابن رجب:

"وفي "الصحيحين" (٢) عن عبد الله بن عمرو (٣) أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: "أن تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف" (٤). اه.

قال محمد تقي الدين: فهاتان الفريضتان من خير فرائض الإسلام، وهما إطعام الطعام وقراءة السلام، ولم تذكرا في حديث جبريل. إهـ.

ثم قال ابن رجب:

«وفي الصحيح الحاكم» عن أبي هريرة قال: «إنّ للإسلام صوى (م) ومناراً

⁽۱) جامع العلوم والحكم (۹۹/۱)، والحديث أخرجه البخاري (۱۰، ۱۲۸۶)، ومسلم (۲۰) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه البخاري (۱۱)، ومسلم (۲۲) من حديث أبي موسى، ومسلم (۲۱) من حديث جابر.

⁽٢) أخرجه البخاري (١٢، ٢٨، ٢٣٣٦)، ومسلم (١٠١٣).

⁽٣) الأصل: «ابن عمر» بضم العين، وصوابه فتحها، كما في «جامع المعلوم والحكم»، ومصادر التخريج.

⁽٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٩).

⁽٥) في الأصل: «ضوء»! وهو تحريف. والصُّوى: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي المجهولة، فيستدل بتلك الأعلام على طرقها، واحدتها (صُوَّة)، قاله أبو عبيد.



كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسليمك على بني آدم إذا لقيتهم، وتسليمك على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، فمن انتقض منهن شيئاً فهو سهم من الإسلام تركه (١)، ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره (٢).

وخرج^(۳) ابن مردويه من حديث أبي الدرداء عن النبي على قال: «للإسلام ضياء ونور^(۱) وعلامات كمنار الطريق، فرأسها وجماعها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإتمام^(۵) الوضوء والحكم بكتاب الله وسنة نبيه وطاعة ولاة الأمر وتسليمكم على أنفسكم وتسليمكم على أهليكم إذا دخلتم بيوتكم، وتسليمكم على بني آدم إذا لقيتموهم^(۱)، وفي إسناده ضعف، ولعله موقوف^(۲)، اه.

قال محمد تقي الدين: ولا يضر ضعفه لأنه سيق لتقوية ما قبله.

ثم قال ابن رجب:

"وصح عن حذيفة أنه قال: "الإسلام ثمانية أسهم: الإسلام سهم، والصلاة سهم، والجهاد سهم، وصوم رمضان سهم، ولعل السهم (^^) الثامن

⁽١) كذا الصواب، وفي الأصل: «فهو متهم من الإسلام بتركه»، وهذا تحريف قبيح!

⁽٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١) _ وإطلاق «الصحيح» عليه تساهل غير مرضي ولا سيما من أمثال العلامة ابن رجب _.

وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٨٣)، و«الإيمان» رقم (٣) ـ ومن طريقه ابن بشران في «الأمالي» (٥٢٧)، وعبد الغني المقدسي في «الأمر بالمعروف» رقم (٩) ـ، والطبراني في «مسند الشاميين» (٤٢٩)، وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٠)، والشجري في «أماليه» (١/ ٣٨)، وابن شاهين في «الترغيب» (٤٨٧)، وأبو نعيم (٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨) والحديث صحيح بشواهده، وانظر: «الصحيحة» (٣٣٣).

⁽٣) في الأصل: و «خرجه».

⁽٤) في «جامع العلوم والحكم» بدون: «ونور».

⁽٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وتمامُ».

⁽٦) عزاه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٣٨) للطبراني في «الكبير» بسند لا بأس به في الشواهد، أفاده شيخنا الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣).

⁽٧) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).

⁽A) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وحجُّ البيتِ سهمٌ»! ولعل سبب وجود كلمة (لعل) إملاء المصنف الأثر من حفظه، والله أعلم.



الحج، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وخاب من لا سهم له»، وخرجه البزار (۱) مرفوعاً والموقوف أصح (۲)، ورواه أبو يعلى (۳) عن علي مرفوعاً، والموقوف على حذيفة أصح؛ قاله الدارقطني وغيره (٤). اه.

قال محمد تقي الدين: وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي.

ثم قال ابن رجب:

«وقوله: يعني «الإسلام سهم»، أي: الشهادتان؛ لأنهما علم الإسلام وبهما يصير الإنسان مسلماً. وكذلك ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام أيضاً، كما روي عن النبي عليه أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (٥٠)، وسيأتي في موضعه إن شاء الله .

ويدل على هذا أيضاً ما أخرج (هم) و(ت) و(ن) من حديث العرباض بن سارية عن النبي على قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أحد^(۱) أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: ويحك! لا تفتحه فإنك (^(۱)) إن فتحته تلجه. والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله على، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق (^(۸)) الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم» (^(۹))، زاد (ت): ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ

⁽١) في «البحر الزخار» برقم (٣٣٦)، وأخرجه أيضاً برقم (٣٣٧).

⁽٢) أخرجه الطيالسي (٤١٣) موقوفاً.

⁽٣) في «مسنده» برقم (٥٢٣)، وأخرجه من حديث على أيضاً الطبراني في «الصغير» (٢/ ٤٠ ـ و«الأوسط» (٦٤٥٠).

^{(3) «}جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠١ _ ١٠٢).

⁽٥) سيأتي تخريجه.

⁽٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «أحدٌ».

⁽٧) سقطت من مطبوع «جامع العلوم والحكم».

⁽A) في الأصل: «جوف»! والصواب المثبت.

⁽٩) وهم المصنف في جعل الحديث من مسند (العرباض) وإنما هو من حديث (النواس بن سمعان) كما في مصادر التخريج المذكورة وغيرها، وهذا تخريج موجز له: أخرجه أحمد =



السَّلَدِ وَيَهْدِى مَن يَشَآهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْنَقِيمٍ ﴿ اللهِ اللهِ

وأما الإيمان؛ فقد فسره النبي على في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره» (٢)، وقد ذكر الله في كتابه الإيمان بهذه الأمور (٣) الخمسة في مواضع كقوله تعالى: ﴿ اَلْمَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله: ﴿ وَلَكِنَ مِنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَتِكَةِ وَالْكِنْبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿ اللّهِ مَنْ بَالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلُوةَ وَمِمًا رَزَقَنَهُمُ مَيْفِقُونَ ﴿ البقرة: ٣].

والإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتاب والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به، وغير ذلك من صفات الله (٥) وصفات اليوم الآخر، كالصراط والميزان والجنة والنار، وقد أُدخِلَ

في «المسند» (٤/ ١٨٢ ـ ١٨٣ و ١٨٣)، والترمذي في «السنن» كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده (٥/ ١٨٤٩) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٣)، والطبري في «جامع البيان» (١٨٦ و١٨٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٤٤١ و ٢١٤١)، والرامهرمزي في «الأمثال» رقم (٣)، وأبو الشيخ في «الأمثال» رقم (٢)، وأبو الشيخ في «الأمثال» رقم (٢٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٨، ١٩)، وابن نصر في «السنة» (٥)، والآجري في «الشريعة» (١١) من طريقين عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان به.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي «تحفة الأشراف» (٦١/٩): حسن غريب، وهو اللائق؛ لأن رواته ثقات.

وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في "تفسيره": "وهذا إسناد حسن صحيح"، وقال ابن القيم في "الإعلام" (٢/ ٢٠٨ ـ بتحقيقي) عند هذا الحديث: "فليتأمل العارف قدر هذا المثل، وليتدبره حق تدبره، ويزن به نفسه، وينظر أين هو منه، وبالله التوفيق".

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تعالى».

⁽٢) أخرجه مسلم في أول "صحيحه" (الحديث الأول) منه عن عمر بن الخطاب.

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الأصول».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «وغير ذلك».

⁽٥) في مطبوع (جامع العلوم والحكم): (تعالى).

I the probability of section



في الإيمان: الإيمان (١٠ بالقدر خيره وشره، ولأجل هذه الكلمة روى ابن عمر هذا الحديث محتجاً به على من أنكر القدر وزعم أن الأمر أُنُف، يعني: إنه مستأنف لم يسبق به سابق قدر من الله في ، وقد غلظ عبد الله بن عمر عليهم وتبرأ منهم، وأخبر أنه لا تقبل منهم أعمالهم بدون الإيمان بالقدر.

والإيمان بالقدر على درجتين:

أحدهما: الإيمان بالله (٢) تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

والدرجة الثانية: أن الله خلق أفعال العباد (٤) كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم.

فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة وتنكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم، كمعبد الجهني الذي سئل ابن عمر عن مقالته (٥) وكعمرو بن عبيد (٦) وغيره.

وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن جحدوا (٧) فقد كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأن الله تعالى (٨) قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد كتب ذلك عنده في كتاب حفيظ، فقد كذّب بالقرآن فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا

⁽١) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «وقد أُدخل في هذه الآيات الإيمان...».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «بأن الله».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «ومن هو منهم».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تعالى خلق أفعال عباده».

⁽٥) ثبت ذلك عنه في (الحديث الأول) في "صحيح مسلم".

⁽٦) للدارقطني جزء مفرد فيه، وبيان ضلاله، وفرغت منه قديماً، يسر الله نشره.

⁽٧) في مطبوع "جامع العلوم والحكم": "جحدوه".

⁽٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».



أن الله خلق أفعال العباد^(۱) وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا؛ لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه.

وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء، وأما من أنكر العلم القديم، فنص الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام.

فإن قيل: فقد فرق النبي على في هذا الحديث بين الإسلام والإيمان، وجعل الأعمال كلها من الإسلام لا من الإيمان، والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان.

وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم، وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من (٢) الإيمان إنكاراً شديداً.

وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني والنخعي (٢) والزهري (٤) ويحيى بن أبي (٥) كثير وغيرهم، وقال الثوري: هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: وكان من مضى مِن (٢) السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار:

أما بعد: فإن للإيمان (٧) فرائض وشرائع (٨)، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. ذكره ($\dot{\mathbf{g}}$) (٩) في «صحيحه».

وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عباده».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عن الإيمان».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إبراهيم النخعي».

⁽٤) بعدها في الأصل: «وإبراهيم»! ولا وجود له في مطبوع «جامع العلوم والحكم» لأنه النخعي المتقدم.

⁽٥) سقطت كلمة «أبي» من الأصل.

⁽٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ممن سلف».

⁽٧) كذا في «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «الإيمان».

⁽٨) بعدها في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وحدوداً وسنناً».

⁽٩) تعليقاً في كتاب «الإيمان»، بأب قول النبي ﷺ: «بُني الإسلام على خمس» ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤٩/١١) وغيره.



إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَنتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞﴾ الآية [الأنفال: ٢].

وفي (ق)(١) عن ابن عباس عن النبي على قال لوفد عبد القيس: «آمركم بأربع: الإيمان بالله وحده (٢)، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً (٣) رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم (٤) المخمس».

وفي (ق) (٥) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: قال «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها أماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (ولفظه لمسلم):

وفي «الصحيحين» (1): عن أبي هريرة عن النبي على قال الا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن». فلولا أنَّ ترك هذه الكبائر من مُسَمَّى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها؛ لأن الاسم لا ينتفي إلّا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته. وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل على عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي على بينهما وإدخاله الأعمال

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «وحده».

 ⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «وأن محمداً رسول الله».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «المغنم».

⁽٥) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٥) من حديث أبي هريرة.

⁽٢) أخرجه البخاريُّ كتاب المظالم والغصب، باب النُهبَى بغير إذنِ صَاحبُه (٢٤٧٥)، وكتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا الْمَتَرُ وَالْمَيْرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْثَمُ بِحَسُّ مِنْ عَمَلِ الشَّيكُونِ وَاللّهُ مُعَلِ الشَّيكُونِ وَكَتَابِ الحدود وما يُحذُرُ من الحدود، باب لا يُشربُ الخمر (٢٧٧٢)، وكتاب المحاربين مِن أهل الكفر والرَّدة، باب إثم الزُّناة (٢٨١٠)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفى كماله (٥٧) من حديث أبي هريرة.



في مُسمَّى الإسلامِ دون [مُسمَّى] (١) الإيمان، فإنَّه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قُرِنَ ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض [تلك] (١) المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل ما هو (١) محتاج؛ فإذا قرن أحدهما بالآخر دلَّ أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها. فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي.

وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي⁽³⁾ في «رسالته إلى أهل الجبل»: «قال كثير من أهل السنة والجماعة: إنَّ الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فَرَضَ الله على الإنسان أن يفعل إذا ذكر كلَّ اسم على حدته (٥) مضموماً إلى الآخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين (٦) أريد بإحدهما معنى لم (٧) يرد به الآخر، وإذا ذُكِرَ أحد الاسمين شَمِلَ الكُلَّ وتبعه وعَمَّهُم» (٨). وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه «معالم السنن» (٩) وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده.

ويدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ فسر الإيمان عند ذكره مفرداً في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الإسلام المقرون بالإيمان في حديث جبريل.

وفَسَّر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان»(١٠).اهـ.

قال محمد تقي الدين: وبيان ذلك كما قال المحققون أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

⁽١) و(٢) أثبتها من مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وسقطت من الأصل.

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «كل مَنْ».

⁽٤) في الأصل: «الإسماعلي»! والمثبت هو الصواب.

⁽٥) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم». و«اعتقاد الإسماعيلي» (ص٦٦) وفي الأصل: «حدة»!

⁽٦) و(٧) سقطت من الأصل، وأثبتها من مطبوع «جامع العلوم والحكم» و«اعتقاد الإسماعيلي».

⁽A) انظر: «اعتقاد أئمة الحديث» للإسماعيلي (ص٦٧).

⁽٩) انظر: «معالم السنن» للخطابي (٣١٥/٤، ط. المكتبة العلمية).

⁽١٠) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠١ ـ ١٠٦).



يعني: إذا ذكر الإسلام والإيمان في موضع واحد افترقا في الدلالة، فيدل الإسلام على الأعمال الظاهرة ويدل الإيمان على ما ذكر في حديث جبريل، وهو التصديق، وأما إذا ذكر كل واحد منهما وحده فإنهما يجتمعان.

فالإسلام الصحيح يدل على الأعمال الظاهرة وتصديق القلب، والإيمان كذلك يدل عليهما. وهذا ملخص ما تقدم:

ثم قال ابن رجب: «وفي «المسند» للإمام أحمد عن أنس عن النبي على قال: «الإسلامُ علانية والإيمان في القلب» (١٠). وهذا لأنَّ الأعمال تظهر علانية والتصديق في القلب لا يظهر.

وكان النبي على يقول في دعائه إذا صلَّى على الميت: «اللهم من أحييته منًا فأحيه على الإيمان» (٢) وأن العمل (٢) بالجوارح وإنما يُتمكَّنُ منه في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب، ومن هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم، فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام كما قال على: «ألا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب» (٤). فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمناً؛ فإنه قد يكون الإيمان ضعيفاً فلا يتحقق القلب به تحققاً تاماً مع عمل جوارجه بأعمال الإسلام، فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان الأيمان التأمّان التامة كلما قال تعالى الإسلام، فيكون مسلماً وليس بمؤمن الإيمان التامة كلما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَمْرَابُ ءَامَنًا قُلُ لَمْ تُوْمِنُواْ وَلَكِنَ قُولُواْ السَّمَاكِ الآية

⁽۱) أخرجه أحمد (۳/ ۱۳۵)، وأبو يعلى (۲۹۲۳)، والبزار (۲۰ ـ زوائله) في "مسانيدهم"، وابن أبي شيبة في "الإيمان" (۲)، والعقيلي (۳/ ۲۵۰)، وابن عدي (٥/ ١٨٥٠)، وابن حبان (۱/ ۱۱۱) جميعهم في "الضعفاء"، والخطيب في "الموضح" (۲/ ۲٤۹)، ومدار إسناده على على بن مسعلة، وهو ضعيف.

⁽۲) أخرجه أحمد (۲/ ۳۲۸)، وأبو داود (۳۲۰۱)، والترمذي (۱۰۲۶)، والنسائي في «عمل الميوم والليلة» (۱۰۸، ۱۰۸۱)، وابن ماجه (۱٤۹۸)، وأبو يعلى (۲۰۱، ۲۰۱۰)، وابن ماجه حبان (۲۰۷۰)، والطبراني في «الدعاء» (۱۱۷۶ ـ ۱۱۷۷)، والطحاوي في «المشكل» (۲۰۷۱)، والحاكم (۲۰۸۱)، والبيهقي (۶/ ۲۱)، والحديث صحيح بطرقه وشواهده.

⁽٣) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «الأعمال»!

⁽٤) أخرجه البخاري (٥٧، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير، والمذاكور قطعة منه.



[الحجرات: ١٤]، فلم (١) يكونوا منافقين بالكلية على أصح التفسيرين وهو قول ابن عباس وغيره، بل كان إيمانهم ضعيفاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولُهُ لَا يَلِتَكُم مِن أَعْمَلِكُم شَيّعًا ﴾ الآية [الحجرات: ١٤]، يعني لا ينقُصُكم من أجورها، فدل على أن معهم من الإيمان ما يقبل (٢) به أعمالهم.

وكذلك قول النبي على لسعد بن أبي وقاص لما قال له: لم لا تعط فلاناً وهو مؤمن، فقال النبي على: «أو مسلم»(٣) يشير إلى أنه لم يتحقق(٤) مقام الإيمان، فإنما(٥) هو في مقام الإسلام الظاهر.

ولا ريب أنه متى ضعف الإيمان الباطن، لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضاً، لكن اسم الإيمان ينفى عن من ترك شيئاً من واجباته، كما في قوله الله الله الذاني حين يزني وهو مؤمن (٧)». اه.

فصل

قال محمد تقي الدين: وافق الحافظ ابنَ رجب الحافظُ ابنُ القيم في أن أولئك المذكورين في آخر سورة الحجرات وهم الأعراب كان عندهم شيء من الإيمان (٨)، وهذا أحد القولين لأهل السنة، والقول الثاني: أنهم كانوا منافقين لا حظ لهم في

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ولم».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «تُقبل».

⁽٣) أخرجه البخاري (٢٧، ١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠) من حديث سعد بن أبي وقاص.

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «يُحقَّق».

⁽٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وإنما».

⁽٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: ﴿ ﷺ .

⁽۷) أخرجه البخاري (۲٤٧٥، ۲٤٧٥، ۲۷۷۲، ۲۸۱۰)، ومسلم (۵۷) من حديث أبي هريرة ﷺ، وما سبق مأخوذ من «جامع العلوم والحكم» (۱۰۸/۱ ـ ۱۱۱).

 ⁽٨) قرر ذلك في «مدارج السالكين» (٣/ ٩١) وفصّله من وجوه في «بدائع الفوائد» (٤/ ١٧)،
 وهذا نص كلامه رحمه الله تعالى فيه على تفسير الآية:

[«]نفياً للإيمان المطلق لا مطلق الإيمان لوجوه منها:

أنه أمرهم أو أذن لهم أن يقولوا أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك.

ومنها: أن هؤلاء الجفاة الذين نادوا رسول الله على من وراء الحجرات، ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم، وجفاء لا نفاقاً وكفراً.

ومنها: أنه قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِينَنُ فِي قُلُوبِكُمٌّ ﴾ ولم ينف دخول الإسلام في قلوبهم، =



الإيمان، وهو الذي رجعه (غ)(١)، وإليه أميل؛ لأن الله تعالى نفى عنهم الإيمان بقوله، ﴿وَلَمَّا يَدَّخُلِ ٱلْإِيمَان فِي قَلُوبِكُمٌّ ﴾ فلا يجوز أن يقال: بل دخل الإيمان في قلوبهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولُمُ . . ﴾ إلخ [الحجرات: ١٤]، فليس فيه دليل على أنهم كانوا مؤمنين؛ لأن طاعة الله ورسوله لا تقبل إلا بعد دخول الإيمان في القلوب، وهو مطابقة اللسان للقلب، وهؤلاء لم تكن قلوبهم مطابقة لألسنتهم وحديث سعد يؤيد هذا الترجيح، فإنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله ما لك عن فلان والله إني لأراه مؤمناً، فقال له النبي ﷺ: «أو مسلماً»، فأعاد عليه هذا القول ثلاث مرات، فأجابه فيهن بالجواب نفسه ثم قال له: "إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه" (١٠)، الحديث.

فقول النبي ﷺ: «أو مسلماً»، معناه والله أعلم: لعل هذا الرجل الذي حلفت أنه مؤمن ليس كما ظننت وإنما هو مسلم، فظهر بذلك أن من لم يدخل الإيمان في قلبه مسلم فيما يرى الناس وليس بمؤمن، والله أعلم». اه.

ثم قال ابن رجب:

«وقد اختلف أهل السنة: هل يسمَّى مؤمناً ناقص الإيمان أو يقال: ليس بمؤمن لكنه مسلم؟ على قولين: وهما روايتان عن أحمد (٣) وأما اسم الإسلام فلا

⁼ ولو كانوا منافقين لنفي عنهم الإسلام كما نفي الإيمان.

ومنها: أن الله تعالى قال: ﴿ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَمُ لَا يَلِتَكُمُ مِن أَعْسَلِكُمْ شَيْئًا﴾ [الحجرات: 13]. أي: لا ينقصكم والمنافق لا طاعة له.

ومنها: أنه قال: ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنَّ أَسْلَمُوا قُل لَا تَمُنُوا عَلَى إِسْلَمَكُم ﴿ [الحجرات: 10]. فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمنوا على رسول الله على ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً؛ لقال لم تسلموا بل أنتم كاذبون كما كذبهم في قولهم: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: 1]؛ لما لم تطابق شهادتهم اعتقادهم.

ومنها: أنه قال: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾ ولو كانوا منافقين لما من عليهم.

ومنها أنه قال: ﴿أَنَّ هَدَكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ ولا ينافي هذا قوله: ﴿قُلْ لَمْ ثُوْمِنُوا﴾ فإنه نفي الإيمان المطلق ومن عليهم بهدايتهم إلى الإسلام هو متضمن لمطلق الإيمان».

⁽۱) كذا في الأصل بخاء! وصوابه جيم، إذ المذكور هو الذي قرره ابن جرير في "تفسيره" (۲۸/۲۱)، ولا يوجد في "صحيح البخاري" ما يدل على مذهبه عند الآية المذكورة في (كتاب التفسير)، ووجدته رأياً للزجاج في "معاني القرآن وإعرابه" (۱/۲۰۸).

⁽٢) سبق تخريجه قريباً.

⁽٣) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (١١٠٠/١).



ينتفي بانتفاء بعض واجباته أو انتهاك بعض محرماته، وإنما ينفى بالإتيان بما ينافيه بالكلية، ولا يعرف في شيء من السنة الصحيحة نفي الإسلام عن من ترك شيئاً من واجباته، وإن كان قد ورد من واجباته كما ينفي الإيمان عن من ترك شيئاً من واجباته، وإن كان قد ورد إطلاق الكفر على فعل بعض المحرمات وإطلاق النفاق أيضاً، وقد اختلف العلماء: هل يسمّى مرتكب الكبائر كافراً كفراً أصغر (۱) أو منافقاً النفاق الأصغر، ولا أعلم أن أحداً منهم أجاز إطلاق نفي اسم الإسلام عنه إلا أنه روى عن ابن مسعود أنه قال: «ما تارك الزكاة بمسلم» (۲). ويحتمل أنه كان يراه كافراً بذلك خارجاً عن (۳) الإسلام.

وكذلك روي عن عمر فيمن تمكن من الحج ولم يحج، أنهم ليسوا بمسلمين (١٤)، والظاهر أنه كان يعتقد كفرهم، ولهذا أراد أن يضرب عليهم الجزية بقوله: لم يدخلوا في الإسلام بعد (٥٥)، فهم مستمرون على كتابيتهم، وإذا تبين أن اسم الإسلام لا ينتفي إلا بوجود ما ينافيه ويخرج عن الملة بالكلية، فاسم الإسلام إذا أطلق أو اقترن به المدح دخل فيه الإيمان كله من التصديق وغيره.

⁽١) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «صغيراً»!

⁽۲) أخرجه ابن أبي شيبة (۳/ ۱۱٤) بسند ضعيف عن ابن مسعود قال: «ما مانع الزكاة بمسلم».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «من».

⁽٤) أخرج أبو بكر الإسماعيلي _ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢٨/٣)، و«مسند الفاروق» (١/ ٢٥٢)، و«مسند الفاروق» (١/ ٢٩٥) _ عن عمر قال: «من أطاق الحج ولم يحجّ، فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً».

قال ابن كثير في «مسند الفاروق» (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) ـ وعزاه فيه للأوزاعي ـ: «هذا إسناد صحيح» وصححه في «التفسير» أيضاً.

⁽٥) أخرج سعيد بن منصور في "السنن"، وابن أبي شيبة _ كما في "الدر المنثور" (٢/ ١٠٠) عن عمر قال: "لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا إلى كل من كان عنده جدة ولم يحجّ، فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين»، وصححه السيوطي، وأورد ابن كثير إسناد سعيد في "التفسير" (١٢٨/٣) وهو من طريق الحسن عن عمر، وهو منقطع، وأورده في "مسند الفاروق» (٢/ ٢٩٣) من طريق قتادة قال: ذُكر لنا عن عمر... وسرده. وقال: "ورواه سعيد في "سننه"، وهذا منقطع بين قتادة وعمر"، وفي مطبوع "جامع العلوم والحكم": "يقول" بدل "بقوله".



وأخرج (١) (١) من حديث عقبة (٣) بن مالك أن النبي على بعث سرية فأغارت على قوم، فقال رجل منهم: إنّي مسلم فقتله رجل من السرية، فنُمي الحديث إلى رسول الله على فقال فيه قولاً شديداً، فقال الرجل: إنما قالها تعوذاً من القتل، فقال النبي على الله أبى عَلي أن أقتل مؤمناً ثلاث مرات. فلولا أن الإسلام المطلق يدخل فيه الإيمان والتصديق بالأصول الخمسة لم يصر من قال: أنا مسلم، مؤمناً بمجرد هذا القول، وقد أخبر الله تعالى عن ملكة سبأ أنها دخلت في الإسلام بهذه الكلمة وقالت: ﴿ رَبِّ إِنّي ظَلَمْتُ نَشِي وَأَسَلَمْتُ مَعَ شَلَيْمَنَ لِي النمل: ٤٤]، وأخبر عن يوسف على أنه دعا بأن يموت (٥) على الإسلام (١) وهذا كله يدل على أن الإسلام المطلق يدخل فيه ما يدخل في الإيمان من التصديق.

وفي «سنن ابن ماجه» (٧) عن عَديِّ بن حاتم قال: قال (٨) رسول الله ﷺ؛ «يا عديُّ، أسلم تسلم» قلت: وما الإسلام؟ قال: «أن (٩) تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتؤمن بالأقادر كلها خيرها وشرها (١٠) وحلوها ومرها».

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «خَرَّج».

⁽۲) في السَّير من «السنن الكبرى» _ كما في «التحفة» (۷/ ٣٤٢ _ ٣٤٣) _ ورواه أيضاً أحمد (٢) في السَّير من «السنن الكبرى» _ كما في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٤٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم ٩٨٠ و٩٨١)، وأبو يَعْلى (٢٨ / ٢١)، والحاكم (١/ ١٩)، والبيهقي (٨/ ٢٢)، وإسناده صحيح، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٧)، وقال: «رجائه كلهم ثقات».

⁽٣) في الأصل: «عبيد» والصواب المثبت، وهو كذلك في «جامع العلوم والحكم» ومصادر التخريج.

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فغارت».

⁽٥) في مطبوع الجامع العلوم والحكم»: «دعا بالموت».

⁽٦) وذلك في قوله: ﴿ وَوَفَيْنِ مُسْلِمًا وَٱلْحِقْنِي بِٱلصَّنْلِحِينَ﴾.

⁽٧) برقم (٨٧). وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٥)، والطبراني (١٧/رقم ١٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٨/١)، وإسناده ضعيف جداً، فيه عبد الأعلى بن أبي المساور متروك ولقوله: «أسلم تسلم» طريق أخرى حسنه أخرجها أحمد (٢٥٧/٤)، والحاكم (٥١٨/٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٥٤٣) وأصله عند البخاوي (٣٥٩٥).

⁽A) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «قال لي».

⁽٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «أن».

⁽١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «و».



فهذا نص في أن الإيمان بالقدر من الإسلام، ثُمَّ أن (١) الشهادتين من خصال الإسلام بغير نزاع، والحق أن التصديق القائم بالقلوب يتفاضل (٢)، وهذا هو الصحيح، وهو أصح الروايتين عن أبي عبد الله أحمد (٣) بن حنبل، فإن إيمان الصّدِيقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب (١)، ليس كإيمان غيرهم فلا يبلغ (٥) هذه الدرجة من (٢) لو شكك لدخله الشك، ولهذا جعل النبي على مرتبة الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه وهذا لا يحصل لعموم المؤمنين، ومن هنا جاء في الحديث (١): «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره (١).

وسئل ابن عمر: هل كانت الصحابة يضحكون؟ فقال: «نعم، وإن الإيمان في قلوبهم أمثال الجبال» (١٠٠ . فأين هذا ممن لا إيمان في قلبه ما يزن ذرة ولا شعيرة (١١١) كالذين يخرجون من أهل التوحيد من النار» (١٢).

فصل

ثم قال ابن رجب:

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «والحقّ».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «لمتفاضل».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عن أحمد».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ولا الارتياب».

⁽٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ممن لم يبلغ».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «بحيث».

⁽٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «قال بعضهم».

⁽٨) ليس هذا بحديث، وإنما هو من قول أبي بكر بن عياش، ولذا فقد أحسن ابن رجب لما عزاه لبعضهم خلافاً للمصنف الذي جعله حديثاً!

انظر للتفصيل: «السلسلة الضعيفة» (٩٦٢) لشيخنا الألباني.

⁽٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «والإيمان» دون «إن».

⁽١٠) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٦٧١، ٢٠٩٧٦) ولفظه: «أعظم من الجبال»، وانظر: «عمدة القاري» للعيني (٢٠/٧٠)، و«تفسير القرطبي» (٨/١٩٧).

⁽١١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فأين هذا ممن الإيمانُ في قلبه يزنُ ذرَّةً أو شعيرةً»، والفرق بين العبارتين كبير، فتأمل!

⁽١٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ١١١ ـ ١١٤).



"قد تقدم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان أيضاً، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسماها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة، فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى (۱)، والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله كالله وخوف الله سراً وعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمجمد الله من واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، والحب (۱۳) في الله والبغض في الله، والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية والاستبشار المؤمنين لرسول الله على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق ومعبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران، ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم، والحزن بما يحزنهم.

ولنذكر بعض النصوص الواردة بذلك، فأما ما ورد في دخوله في اسم الإسلام ففي «مسند (ع)» و(ن) عن معاوية بن حيدة قال: قلت: يا رسول الله بالذي بعثك بالحق ما الذي بعثك الله به (٤)؟ قال: «الإسلام» قلت: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله تعالى (٥) وأن توجّه وجهك إلى الله (٢) وأن تصلي (٧) الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة» وفي رواية (٨): قلت: وما آية الإسلام؟ (٩) فقال:

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: « كلله ».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «والمحبةُ».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الذي بعثك به».

⁽٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

⁽٦) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، ومصادر التخريج، وفي الأصل: «وجهك لله».

⁽٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وتصلي» بدون «أن».

⁽A) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «له».

⁽٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «قال».



«أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخلّيت (١) وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكل (٢) المسلم على المسلم حرام (٣) .

وفي «السنن» عن جبير بن مطعم عن النبي على أنه قال في خطبته بالخَيفِ من مِنى: «ثلاث لا يُغِلُّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم» (3)، فأخبر أن هذه الثلاث الخصال تنفي الغل عن قلب المسلم. وفي «الصحيحين» (٥) عن أبي موسى

⁽١) هكذا في الأصل وفيه نظر (منه) قال أبو عبيدة: لا نظر فيها، فلاتخلَّيتُ من (التخلِّي). أراد التبعَّد من الشرك وعقد القلب على الإيمان، أي: تركت جميع ما يعبد من دون الله، وحدت عن الميل إليه فارغاً.

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وكلُّ مسلم على مسلم حرام».

⁽٣) أخرجه أحمد (٥/٣ و٤ و٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٠١)، وأبو داود (٢١٤٦)، والنسائي (٥/٤ و٨٦ ـ ٨٣) وفي «الكبرى» (١١٤٦٩)، وابن ماجه (٢٣٤، ٢٥٣٦)، وعبد الرزاق (٢٠١١٥)، وابن أبي شيبة (١١٤٢/١٤)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠١ ـ ٤٠٤)، وابن عدي (٢/٥٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٩٦٩/١٩ ـ ٩٦٩، ١٠٣٤ ـ ١٠٣٦)، وفي «الأوسط» (٨٣٩٨)، وابن حبان (١٦٠)، والبيهقي (٧/ ٣٠٥)، وإسناده حسن.

⁽٤) أخرجه ابن ماجه (٢٣١، ٣٠٥٦)، وأحمد (٢/١، ٨)، والدارمي (٢/١٠)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠/١)، والطحاوي في «المسكل» (١٦٠١، ٢٠١)، والطحاوي في «المسكل» (١٦٠١، ٢٠٢)، والطبراني (١٥٤١، ١٥٤١)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/١ ـ ٥)، والحاكم (٢/١٨)، وأبو يوسف في «الخراج» (٩ ـ ١٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٢١)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٦٠٤)، وإسناده ضعيف. ولم يخرجه من أصحاب «السنن» إلا ابن ماجه، فإطلاق ابن رجب ومتابعة المصنف في العزو لها جميعاً قصور لا يخفى، ونفيه عنها جميعاً كما قال المعلقان على «جامع العلوم والحكم» خطأ، ونص عبارتيهما: «قول المصنف» وفي «السنن» يوهم أنه في «السنن الأربعة» أو أحدها، وليس هو في شيء منها»!

ويغني عنه، ما أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠، داوه)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، وفي «الزهد» (ص٣٣)، والدارمي (٢٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٤)، وفي «الزهد» (١٦٣)، والطحاوي في «المشكل» (١٦٠٠)، وابن حبان (٢٧، ٦٨)، والطبراني (٤٨٩، ٤٨٩١)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٣٦، ١٧٣٧) من حديث زيد بن ثابت، وإسناده صحيح.

⁽٥) أخرجه البخاريُّ كتاب الإيمان، باب أيُّ الإسلام أفضل؟ (١١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأيُّ أموره أفضل؟ (٤٢) من حديث أبي موسى الأشعري.



عن النبي ﷺ أنه سئل: أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من السائه ويله»، وفي "صحيح مسلم» (١): عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قاله: «المسلم أخو المسلم فلا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه».

⁽۱) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظُلم المسلم وخلله واحتقاره ودمه وهرضه وماله (۲۵۲٤) من حديث أبي هريرة.

⁽٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ويمحمد على من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ويمحمد على رسولاً فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي والكبائر (٣٤) من حديث العباس بن عبد المطلب.

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وبالرضا».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والمحكم»: «يقتضى».

⁽٥) أخرجه البخاريُّ كتاب الإيمان، باب حَلاوة الإيمان (١٦)، وباب مَن كره أن يعودَ في الكفر كما يكره أن يلقى في النَّار من الإيمان (٢١)، وكتاب الأدب، باب الحبُّ في الله (٢١)، وكتاب الإكراه، باب من اختار الفَّرب والقتلَ والهوانَ على الكُفر (٦٩٤١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان خِصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان (٤٣) من حليث أنس.

وانظر لسائر الروايات الآتية عند المصنف: «مسند أحمد» (٣/ ١٠٣، ١١٣، ١٧٧)، و«جامع الترمذي» (٢٦٢٤)، و«المجتبى» للنسائي (٨/ ٩٤، ٩٦، ٩٧)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٣٣).



قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار». وفي رواية: «وجد بهن حلاوة (۱) الإيمان»، وفي بعض الروايات: «طعم الإيمان وحلاوته». وفي «الصحيحين» (۲): عن أنس عن النبي على قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولمده ووالده والناس أجمعين»، وفي رواية: «من أهله وماله والناس أجمعين».

وفي «مسند» (هم) (٣) عن أبي رزين العُقيلي قال: قلت: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحترق في النار أحبُ إليك من أن تشرك بالله شيئاً، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حبُ الإيمان في قلبك، كما دخل حبُ الماء للظمآن في اليوم القائظ» قلت: يا رسول الله، كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال: «ما من أمتي _ أو قال: هذه الأمة _ عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله (٤) جازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أنه لا يغفرها (١) الله إلا وهو مؤمن».

وفي «المسند»^(٦) وغيره عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «من سرته حسناته، وساءته سيئاته؛ فهو مؤمن».

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «طعم».

⁽٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول هي من الإيمان (١٥)، ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله هي أكثر من الأهل والولد والوالد رقم (٤٤) من حديث أنس.

⁽٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١ _ ١٢). قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١/ ٥٤): "فيه سليمان بن موسى، وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وضعفه آخرون".

قلت: سليمان بن موسى هو الأشدق، لم يدرك أحداً من الصحابة، نقله الترمذي في «العلل» (٣١٣/١) عن البخاري، ففات الهيثمي إعلاله بالأعلى وهو الانقطاع.

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: 《影》.

⁽٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «لا يغفر إلا هو».

⁽٦) أخرجه أحمد (١٨/١ و٢٦)، والترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٥)، وابن المبارك في «مسنده» (٢٤١) ـ ومن طريقه الطحاوي (٤/١٥٠)، وابن حبان (٢٥٥)، والحاكم (١١٣/١)، والبيهقي (٧/٩١) ـ، وأبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (١٣٣)، =



وفي «مسند بقي بن مخلد» (١) عن رجل سمع رسول الله على قال المسمع الإيمان إذا أسأت أو ظلمت عبدك أو أمتك أو واحداً من الناس صمت أو تصدّقت، وإذا أحسنت استبشرت»، وفي «المسند» (٢) للإمام أحمد عن أبي سعيد عن النبي على قال: «المؤمنون في الله على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في (٣) سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله على».

وفيه أيضاً عن عمرو بن عَبَسة (٤) قال: قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «طيب الكلام، وإطعام الطعام» فقلت: ما الإيمان؟ قال: «الصبر والسماحة»، قلت: أيّ الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده»، قلت: أيّ الإيمان أفضل؟ قال: «خلق حسن» (٥)

وقد فسر الحسن البصري الصبر والسماحة، فقال: هو الصبر عن محارم الله والسماحة بأداء فرائض الله (٢٠).

وفي (ت)(٧) وغيره عن عائشة عن النبي على قال: «أكملُ المؤمنين إيماناً

(٢/ ٢٥٠٠)، وابن حبان (٤١٧٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٩١، =

⁼ وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٨، ٨٩٧)، والبزار (٦٦٦)، وإسناده صحيح.

⁽١) هذا المسند على جلالته يُعَدُّ في جملة ما فُقِد من تراثنا العظيم، وانظر لزاماً كلامي عليه في كتابنا: «معجم المصنفات الواردة في «فتح الباري»» رقم (١١٩٢).

⁽٢) أخرجه أحمد (٨/٣) وإسناده ضعيف، فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، ودرًاج أبنو السَّمح ضعيفٌ في روايته عن أبي الهيثم، وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢/١).

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «في سبيل الله».

⁽٤) في الأصل: «عنبسة»! والمثبت من مصادر التخريج.

⁽٥) أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٥)، وعبد بن حميد (٣٠٠)، وابن ماجه (٢٧٩٤)، وفيه شهر بن حوشب ضعيف، وهو لم يسمع عمرو بن عبسة، فإسناده ضعيف ومنقطع.

⁽۷) برقم (۲۲۲۲) من طريق أبي قِلابة عن هائشة، وقال الترمذي: «ولا نعرفُ لأبي قِلابة سماعاً عن عائشة»، ورواه أيضاً أحمد (۲/۷۱ و۹۹)، وابن أبي شيبة (۸/ ۱۰۵)، والنسائي في «الكبرى» (۹۱۵٤)، والحاكم (۱/۳۰)، وصححه، وردّه الذهبي بقوله: «فيه انقطاع». والحديث صحيح بشواهده، فقد ورد من حديث أبي هريرة، كما قال المصنف، وأخرجه ابن أبي شيبة (۸/ ۱۵ و ۱۱/۲۱)، وأبو داود (۲۲۸۲)، والترمذي (۱۱۲۲)، وأحمد



أحسنهم خلقاً»، وخرجه أبو داود وغيره من حديث أبي هريرة، وخرج البزار في «مسنده» من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري^(۱) عن النبي على قال: «ثلاث مَنْ فعلهُنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمانِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ وحدهَ بأنه لا إله إلا هو^(۲)، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام...» فذكر^(۳) الحديث، وفي آخره: فقال رجل: فما أنَّ الله معه حيث ما رجل: فما أنَّ الله معه حيث ما كان» (ه).

وخرج أبو داود أول الحديث دون آخره.

وخرج الطبراني (٢٠) من حديث عبادة بن الصامت عن النبي على قال: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثُ ما(٧) كنت»(٨).

وفي (ن)(٩) عن عبد الله بن عمر عن النبي على قال: «الحياء شعبة (١٠) من

⁼ ۱۲٤٤)، والحاكم (٣/١)، والبغوي (٣٤١، ٣٤٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧، ٧٩٨)، وأبو نعيم (٢٤٨/٩)، وإسناده حسن.

وفي الباب عن أبي سعيد وعمرو بن عبسة ـ وتقدم حديثه ـ وأنس.

⁽١) في الأصل: «العامري»! والصواب المثبت، كما في مصادر التخريج وكتب الرجال.

⁽٢) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إلا الله».

⁽٣) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وذكر».

 ⁽٤) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وما».
 وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: بدون «ما».

⁽٥) أخرجه البخاريُّ في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣١ ـ ٣١)، وابن سعد (٧/ ٤٢١)، والبغوي في «معجم الصحابة» (٨/ ٣١٥٠) وقم (٩٧٣) أيضاً، والطبراني في «الصغير» (٥٥٥)، وروى أوله أبو داود (١٥٨٢) ورجاله ثقات، والحديث حسن لغيره.

⁽٦) في الأصل: «الخطابي» والمثبت من «جامع العلوم والحكم» ومصادر التخريج، وهو الصحيح.

⁽٧) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «ما».

⁽٨) في «الكبير»، و «الأوسط» رقم (٨٧٩٦)، وقال: «وقد تفرد به عثمان بن كثير» وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٠): «ولم أرّ مَن ذكره بثقةٍ ولا جَرح».

⁽٩) أخرجه البخاريُّ كتاب الإيمان، باب الحياءُ مِنَ الإيمان (٢٤)، وكتاب الأدب، باب الحياء (٢١٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان عدد شُعب الإيمان وأفضلها وأدناها (٣٦ و٣٧) من حديث عبد الله بن عمر.

⁽١٠) سقطت من مطبوع «جامع العلوم والحكم».

. .



الإيمان وخرج (هم، ج) من حديث العرباض بن سارية عن النبي على الله المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد](١) ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَمْلِكُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَمْلِكُوا بَيْنَ لَكُوبَكُونَ الحجرات: ١٠](٢).

وفي (ق) عن النعمان بن بشير عن النبي على قال: «مثلُ المؤمنينَ في توادَّهم (٣) وقراحمهم كمثل الجسد الواحد (١) إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»(٦).

وفي رواية لـ (م)(۱): «المؤمنون كرجل واحد»، وفي رواية (۱) أيضاً: «المسلمون كرجل واحد، إذا (۱) اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله» (۱).

وفي (ن) عن أبي موسى عن النبي على قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»(١١)، وشبك بين أصابعه.

(١) سقطت من الأصل، وأثبتها من أجامع العلوم والحكم، والمصنف ينقل منه.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٦/٤) _ ومن طريقه الحاكم (٩٦/١) _، وابن ماجه (٤٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص٤٨٦)، وقد أنكر طائفةٌ من الحفاظ هذه الزيادة، أي: «إنما المؤمن كالجملِ الأنفِ، حيثما قِيدَ، انقاد» في آخر الحديث، وقالوا: هي مدرجة فيه وليست منه.

قاله أحمد بن صالح المصري وغيره وقد خَرَّجه الحاكم، وقال في حَلَيْه؛ «وكان أسد بن وداعة يزيد في هذا الحديث: «فإن المؤمن كالجمل الأنِف، حَيْما قِيدٌ انقاد».

ووردت من مرسل مكحول عند البيهقي في «الشعب» (٨١٢٨) وعن ابن عمو بإسناد ضعيف، عند العقيلي (٨٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٨١٢٩)، قال البيهقي: «الأول مع إرساله أصح».

(٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وتعاطفهم».

(٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «مثلُ».

(٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «الواحد».

(٦) أخرجه البخاري كتاب الأدب، بابُ رحمةِ النَّاسِ والبهائم (٢٠١١)، ومسلم كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

(٧) برقم (٢٥٨٦) بإسناد آخر.

(A) في مطبوع الجامع العلوم والحكم»: (له».

(٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «إن».

(١٠) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) بإسناد آخر.

(١١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد السوق رقم (٤٨١)، ومسلم كتاب =



وفي «مسند (حم)» عن سهل بن سعد عن النبي على قال: «المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»(۱)، وفي «سنن أبي داود»(۲) عن النبي على قال: «المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته، ويحوطه من ورائه»(۳).

وفي «الصحيحين» عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٤).

وفي «صحيح (غ)» عن أبي شريح الكعبيّ عن النبي عليه قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قالوا: من ذلك يا رسول الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه» (٥).

وخرج الحاكم من حديث ابن عباس عن النبي على قال: «ليس المؤمنُ الذين يشبَعُ وجارُه جائعٌ»(٢٠).

وخَرَّج الإمام أحمد والترمذيُّ من حديث سهل بن معاذ الجهني (٧) عن النبي على قال: «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فذلك (٨) المؤمن»(٩).

⁼ البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

⁽۱) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، وابن المبارك في «الزهد» (٦٩٣)، وابن أبي شيبة (٢٥٣/١٣)، والطبرانيُّ في «الكبير» (٥٧٤٣)، و«الأوسط» (٤٦٩٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٦)، والحديث صحيح لغيره.

⁽٢) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم» زيادة: «عن أبي هريرة».

⁽٣) أخرجه أبو داود (٤٩١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٨، ٢٣٩)، والقضاعي (٢)، وحسنه العراقي في «تخريج أحاديث الأحياء» (٢/ ١٨٢).

⁽٤) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه (١٣)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خِصال الإيمان أن يُحبَّ لأخيه المسلم ما يُحبُّ لنفسه من الخير (٤٥) من حديث أنس بزيادة: (أو قال: لجاره...).

⁽٥) أخرجه البخاريُّ كتاب الأدب، بابُ إثمِ مَن لا يأمنُ جارهُ بواثقَهُ (٦٠١٦) من حديث أبي شُريح ﷺ.

⁽٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٦٧/٤)، وصححه ووافقه الذهبيُّ.

⁽V) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» زيادة: «عن أبيه»، والصحيح إثباتها.

⁽٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «فذلك المؤمن».

⁽٩) رواه أحمد (٣/٤٤٠)، والترمذي، (٢٥٢١)، وأبو يعلى (١٤٨٥، ١٥٠٠)، والحاكم =



وروى(١) (صم): «وأنكح لله فقد استكمل إيمانه»(٢)، وفي رواية للإمام (صم) أنه سئل النبي على عن أفضل الإيمان؟ فقال: «أن تُحبّ لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله» فقال: وماذا يا رسول الله؟ قال: «وأن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك»، وفي رواية له: «وأن تقول خيراً أو تصمت»(٤)، وفي هذا الحديث: أن كثرة ذكر الله من أفضل الإيمان.

وخرج أيضاً من حديث عمرو بن الجموح أنه سمع النبي على يقول: «لا يستحق العبد صريح الإيمان (٥) حتى يُحِبَّ لله ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية (٢) من الله تعالى (٧). وخرج أيضاً من حديث البراء بن عازب عن النبي على قال: «إن أوثق عُرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله (٨). وقال ابن عباس: «من أحب في الله» وأبغض في الله ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإنْ كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة

^{= (}٢/ ١٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٥)، وإسناده حسن.

ا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «زاد».

⁽٢) أخرجه أحمد (٣/٤٤٠)، وسبق تخريجه قريباً.

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «و».

⁽٤) أخرجه أحمد (٧٤٧/٥) بإسناد ضعيف، لضعف رشدين بن سعد وزبان بن فائد، وهو من مسند (معاذ بن جبل)! وهذا خطأ، وصوابه أنه من حديث (معاذ بن أنس الجهني)، وهو بالسند نفسه من (مسنده) عند الطبراني (٢٠/رقم ٢٢٦)، وسبق تخريجه، والحديث صحيح لغيره.

⁽٥) كذا في الأصل تبعاً لـ«جامع العلوم والحكم»! وفي مطبوع «المسند»: «لا يحقُّ العبدُ حقّ صريح الإيمان».

⁽٦) كذا في الأصل تبعاً لـ«جامع العلوم والحكم»! وفي مطبوع «المسند»: «الولاء».

⁽٧) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٨٩/١): «وفيه رشدين بن سعد، وهو منقطع، ضعيف».

قلت: نعم أبو منصور مولى الأنصار لم يلق عمرو بن الجموح، نقله ابن حجر في «التعجيل» عن البخاري.

وفي إسناده علَّة ثالثة أهملها الهيشمي، وهي ضعف عبد الله بن الوليد وهو التُّجيبي.

⁽٨) أخرجه أحمد (٢٨٦/٤)، وابن أبي شيبة (١١/١١ و٢٢٩/١٣)، وفي «الإيمان» (١١٠)، والطيالسي (٧٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٢٣) ومداره على ليث بن أبي سُليم وهو ضعيف، والحديث حسن بشواهده.



الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً»(١). خرجه (ع) ومحمد بن نصر المروزي.

فصل

وأما الإحسان؛ فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع، تارة مقروناً بالإيمان، وتارة مقروناً بالإسلام، وتارة مقروناً بالتقوى أو بالعمل الصالح(٢).

فالمقرون بالإيمان كقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَشَ عَلَ الَّذِينَ ،َامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ ثُمَّ اَتَّقُوا وَ اَمَنُوا ثُمَّ اللَّمِينِينَ ﴿ وَهُ اللَّمُ اللَّهُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّمُ اللَّهُ اللَّمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّمُ اللَّهُ اللللِهُ الللللِهُ اللللِّهُ الللِّهُ الللَّهُ اللللِهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُ اللَّه

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ إِنَّا لَا نُفِيعِهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﷺ وَجَهَمُمُ وَجَهَمُ وَخَهَمُ وَجَهَمُ وَجَهَمُ وَجَهَمُ وَالبقرة: ١١٢].

وقىولىه تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَا إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اَسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اَسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ الْوَقْقَى ﴾ الآية [لقمان: ٢٢].

والمقرون بالتقوى كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد ثبت في «صحيح (م)» (٣) تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى (٤) في الجنة، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأنَّ الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة.

وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الله الكفار في الآخرة ﴿كُلَّ إِنَّهُمْ عَن رَبِّهُمْ يَوْمَهِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿ المطففين: ١٥]، وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم؛ حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجِبوا عن رؤيته في الآخرة.

⁽۱) أخرجه محمد بن نصر المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٣٩٦)، والطبراني (١١٥٣٧)، والبغوي (٣٩٦)، والحديث حسن.

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «الصالح».

⁽٣) برقم (١٨١) وفي مطبوع «جامع العلوم والحكم»: بعدها «عن النبي ﷺ».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: « كلك ».

 $\omega = \omega_{\rm tot} + \omega_{\rm tot} +$



وقوله (۱) على تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأفك تراه» بشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى (۲) على هذه الصفة، وهو استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة: «أن تخشى الله كأنك تراه» ويؤجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها، وقد وضّى النبي على جماعة من الصلحابة (۱) بهذه الوصية، كما روى إبراهيم الهَجَري (۱) عن أبي الأحوص من أبي فر قال: وصاني (۱) خليلي على أن أدة فإن لم أكن أداه فإنه يواني (۱).

ورُوي عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله على ببعض جسلي فقال: «اعبد الله كأنك تراه» وخرجه النسائي (٧) ويروى من حديث زيد بن أوقام موفوعاً وموقوفاً: «كن كأنك ترى الله فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٨).

وخرج الطبراني (٩) من حديث أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله حدثني بحديث واجعله موجزاً، فقال: «صل صلاة مودع فإنك إن كنت لا تراد فإنه يراك»، وفي حديث حارثة المشهور ـ وقد روي من وجوه مرسلة، وروي متصلاً والمرسل أصح ـ أن النبي على قال (١٠): «يا حارثة كيف أصبحت؟» قال: أصبحت

⁽١) في مطبوع «أجامع العلوم والحكم»: «فقوله».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «أصحابه».

⁽٤) في الأصل: «الآجري»! والمثبت من مطبوع «جامع العلوم والحكم» وكتب الرجال.

ه) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «أوصاني».

⁽٦) أخرجه أبو نعيم في «أوبعي الصوفية» رقم (١٢) من طريق عمرو بن مُجمع هن أبي الأحوص به، وإسناده ضعيف جداً، فيه إبراهيم الهجري، والأسوأ منه حالاً عمرو بن مجمع، قال عنه ابن عدي (٥/ ١٧٨٢): «عامة ما يرويه لا يتابع عليه إما إسناداً وإما متناً».

⁽٧) في الرقاق من االكبرى، كما في التحقة، (٥/ ٤٨١)، وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في الحلية، (٧) (١/ ١١٥) وإستاده صحيح.

⁽٨) أخرجه أبو نعيم في «أربعي الصوفية» رقم (١٤)، وفي «الحلية» (٨/ ٢٠٢)، وانظر: «أسد الغابة» (١٠١/٨) لاحتمال التحريف فيه،

⁽٩) في «الأوسط» (٤٤٢٧)، وهو من حديث ابن عمر لا من حديث أنس، وقال المهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٩): «وفيه من لم أعرفهم»، فإسناده عظلم، ولكن الحديث حسن بشواهده. انظر: «الساسلة الصحيحة» (٤٠١، ١٩١٤).

⁽١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» زيادة: «له».



مؤمناً حقاً، قال: «انظر ما تقول، فإن لكل قول حقيقة»، قال: يا رسول الله! عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر أهل الجنة في الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعاوون فيها، قال: «أبصرت فالزم، عبدٌ نَوَّرَ الله الإيمان في قليه» (١). اه.

وروي (٢) من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ وصَّى رجلاً فقال له: «استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك» (٣).

ويروى من وجه آخر مرسلاً: «استحى من ربك» (٤).

ويروى عن معاذ أن النبي ﷺ وصَّاه لما بعثه إلى اليمن فقال: «استحي من الله كما تستحي من رجل ذي هيبة (٥) من أهلك» (٦).

⁽۱) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (١١٥)، والبزار (٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦)، والسلمي في «أربعينه» رقم (١٠)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (١٠٥٩)، و«الزهد» (٩٧١)، وأبو نعيم في «أربعي الصوفية» رقم (٤٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/٥٧)، وقال: «فيه ابن لهيعة، وفيه مَن يحتاج إلى الكشف عنه»، وقال السخاوي في «تخريج الأربعين السلمية» (ص٦٩): «هذا العديث لا يثبت موصولاً»، وانظر في تقرير ضعفه: «الإصابة» (١/٥٩٥).

⁽٢) في مطبوع "جامع العلوم والحكم": "ويروى".

⁽٣) أُخرجه ابن عدي (٢/ ٥٦٠) و(٤/ ١٤١٠) من حديث أبي أمامة، وإسناده ضعيف، وانظر: «مجمع الزوائد» (٦/ ١٤٨٠).

ويغني عنه: ما أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٦)، وأبو عروبة في «الطبقات» (ص٥٥ ـ المنتخب)، والسلمي في «آداب الصحبة» رقم (٢٥)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» رقم (٢١٦/٢٧٨)، والطبراني الأخلاق» رقم (٤١٩)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» رقم (٤١٦/٢١٨)، والطبراني (٥٥٣٩) من طريق أبي الخير مرثد أنه سمع سعيد بن يزيد الأنصاري أن رجلاً قال: يا رسول الله: أوصني. قال: «أوصيك أن تستحي من الله كل كما تستحي رجلاً من صالحي قومك» وجود شيخنا الألباني سنده في «الصحيحة» (٤٤١)، وعزاه ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ١٠٠٣) للحسن بن سفيان وأبي خيثمة، وزاد ابن الأثير في «أسد لغابة» (٢/ ١٤٠) عزوه لابن منده وأبي نعيم ـ وهو في «معرفة الصحابة» له (٣/ ١٣٠٠) رقم (٤٠١) . وحقق ابن الأثير عدم صحة صحبة سعيد بن يزيد.

⁽٤) مضى في الذي قبله، ولا وجود في مطبوع «جامع العلوم والحكم» لقوله: «استحي من ربك».

⁽٥) في الأصل: «هبة»!

⁽٦) أخرجه البزار (١٩٧٢ ـ زوائده)، ومحمد بن نصر المروزي في «الصلاة» (٨٢٥)، وإسناده ضعيف، فيه ابن لهيعة. انظر: «مجمع الزوائد» (٨٣/٨).



ووصى أبو الدرداء رجلاً فقال: «اعبد الله كأنك تراه»(۱)، وخطب عروة بن الزبير إلى ابن عمر ابنته وهما في الطّوافِ فلم يجبه، ثم لقيه بعد ذلك فاعتذر إليه وقال: «كنا في الطواف نتخايلُ الله بين أعيننا» خرجه أبو نعيم(٢) وغيره.

قوله على: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قيل: إنه تعليل للأول، فإن العبد إذا أُمِرَ بمراقبة الله تعالى (٢) في العبادة واستحضار قربه من عبده حتى كأن العبد يراه، فإنه قد يشق ذلك عليه فليستعن على ذلك بإيمانه بأن الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره، ولا يخفى عليه شيء من أمره، فإذا تحقق (٥) هذا المقام؛ سهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني، وهو: دوام التحقيق (٦) بالبصيرة إلى قرب الله من عبده ومعيته حتى كأنه يراه. وقيل: بل هو إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله تعالى (٧)، كأنه يراه فليعبد الله على أن الله يراه ويطلع عليه فليستحي من نظره إليه، كما قال بعض العارفين: "اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك"، وقال بعضهم: "خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي من الله (٨) على قدر قربه منك"، وقال (٩) بعض العارفين من السلف: "من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو مخلص"، فالإشارة (١٠) إلى المقامين اللذين تقدم ذكرهما:

أحدهما: مقام الإخلاص، وهو: أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله (١١) تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل.

⁽۱) أخرجه أبو نعيم (١/٢١٢). (٢) في «الحلية» (٢/٩٠١).

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فيستعينُ».

⁽٥) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «حقَّق».

⁽٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «التحديق»، وهو الصحيح.

⁽٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

⁽A) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «منه».

⁽٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «وقالت بعض العارفات».

⁽١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «فأشارت».

⁽١١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».



والثاني: مقام المشاهدة، وهو: أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى (۱) بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل بين ويتفاوت أهل هذه المقامات (۲) فيه بحسب قوة نفوذ البصائر، وقد فسر طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى (۳): ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الروم: ۲۷] بهذا المعنى، ومثله (٤) قوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ ٱلسَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَيشَكُوم فِيها مِصَبَاح النور: ٣٥]، والمراد: مثل نوره في قلب المؤمن، كذا قاله أبي بن كعب وغيره من السلف (٥).

وقد سبق حديث: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت» (٢). وحديث: ما تزكية المرء نفسه؟ قال: «أن يعلم أن الله معه حيث كان» (٧).

وخرج الطبراني (^) من حديث أبي أمامة عن النبي على قال: «ثلاثة في ظل الله تعالى يوم القيامة (٩) يوم لا ظل إلّا ظلّه: رجل حيث توجه علم أن الله معه» وذكر الحديث (١٠).

وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع متعددة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُّرُ لَكُتُمُّ ﴾ [البقرة: أَيْنَ مَا كُشُتُمُ ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبُ ﴾ [البقرة:

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «تعالى».

⁽Y) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «المقام».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «議》.

⁽٤) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «ومثل».

⁽٥) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٩٧). (٦) مضى تخريجه.

⁽٧) مضى تخريجه.

⁽۸) أخرجه الطبراني (۷۹۳۰)، والديلمي (۲۵۲۹)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (۱۰/ ۲۷۹): «وفيه بشر بن نمير وهو متروك»، وكذا قال عنه الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» رقم (۱۲۵) وقال أحمد والبخاري: «منكر الحديث». انظر: «علل أحمد» (۲۰۰/۱)، و«التاريخ الكبير» (۲/۱/۱۸)، فإسناده ضعيف جداً، وقال السيوطي في «تمهيد الفرش» (ص۸۹ ـ بتحقيقي): «هذا حديث غريب» قال: «وبشر متروك»، قال: «والخصلة الأولى منه ـ وهي موطن الشاهد ـ وقعت مقترنة بغالب خصال الظلال السبعة في الأثر».

⁽٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم» بدون: «يوم القيامة».

⁽١٠) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/٦١٦ ـ ١٣٢).

١٨٦]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن خَوَى ثَلَنَةٍ إِلَّا هُو رَامِعُهُمْ وَلَا خَسَةٍ إِلَّا هُو سَادِسُهُمْ وَلَا خَسَةٍ إِلَّا هُو سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَالِكَ وَلَا آذَنَى مِن ذَالِكَ وَلَا آذَنَى مِن ذَالِكَ وَلَا آذَنَى مِن خَلُولُ اللّهِ وَمَا نَتُلُوا مِنْهُ مِن قُرَمَانِ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلّا كُنَا عَلَيْمُ شَهُودًا إِذَ وَوله: ﴿وَمَن أَوْرَبُ إِلَيْهِ مِن جَبِلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَمَن أَوْرَبُ إِلَيْهِ مِن جَبِلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُو مَعَهُم ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقد وردت الأحاديث وقوله: ﴿وَلا يَسْتَخْفُونَ مِن اللّهِ وَهُو مَعَهُم ﴾ [النساء: ١٠٨]، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالندب (١) إلى استحضار هذا القرب في حال العبادات، كقوله ﷺ: ﴿إِن الله قِبَلَ وجهه إذا صلى (١٠)، وقوله: ﴿إِن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت (١٠)، وقوله للذين رفعوا أصواتهم بالذكر: ﴿إِنكم لا تدعون سميعاً قريباً (٥).

وفي رواية: «وهو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»^(۱)، وفي رواية: «هو أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد»^(۷)، وقوله: «يقول الله ﷺ: أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه»^(۸).

وقوله: «يقول الله على: أنا مع ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني (٩)، فإن

⁽١) في الأصل: «الندب» والتصويب من مطبوع «جامع العلوم والحكم»:

⁽٢) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب حكّ البزاق باليد من المسجد (٤٠٥)، ومسلم كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد (٥٥١) من حديث أنس.

⁽٣) أخرجه البخاري كتاب الصلاة، باب حكّ البزاق باليد من المسجد (٢٠١)، ومسلم كتاب المسجد، باب النهى عن البصاق في المسجد (٥٤٧) من حديث ابن عمر.

⁽٤) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٢٨٦٣) من حديث الحارث الأشعري.

⁽٥) أخرجه بهذا اللفظ البخاري كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير (٢٩٩٢)، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٢٠٥٥)، وكتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة (٢٣٨٤)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري، وخرجته بتفصيل في تعليقي على «المجالسة» (٢٣٦٨).

⁽٦) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٤٠٢/٤)، ومسلم (٢٧٠٤) (٢١).

⁽٧) في رواية لأحمد (٤١٩/٤): "إن الذي تنادون دون رؤوس رواحلكم"، وهي رواية البيهقي في «الشعب» (٦٦٦)، و«الأسماء والصفات» (٩٢٨).

⁽٨) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٤٣٦)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٨١٥)، والحاكم (١/ ٤٩٦) من حديث أبي هريرة، وهو صحيح.

⁽٩) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «ذكرني».



ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة»(١).

ومن فهم شيئاً (۲) من هذه النصوص تشبيهاً أو حلولاً أو اتحاداً؛ فإنما أُتي من جهله وسوء فهمه عن الله ﷺ وعن رسوله (۳)، والله رسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

قال محمد تقي الدين: ثم تكلم الحافظ ابن رجب فيما يجده أهل المشاهدة والمراقبة الذين بوأهم الله درجة الإحسان في عبادة ربهم ومناجاته وحبه والتبتل إليه من لذة الأنس به ما لا يستطيع اللسان ولا القلم أن يبينه حق التبيين ولو أطال القول فيه، وإنما يدرك بالذوق لا حرمنا الله من ذلك؛ وحاصله أن من استأنس بالله استوحش من غيره، ومن لم يستأنس بالله، لم يزل في وحشة دائمة ولو سيقت له الدنيا بحذافيرها.

والأمارات ـ بفتح الهمزة ـ العلامات، ووقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله ولكن له علامات تسمى: العلامات الصغرى وعلامات أخرى تسمى العلامات الكبرى، والمراد بالأمارات هنا العلامات الصغرى، ومعنى: «أن تلد الأمة ربتها». وفي رواية أبي هريرة (ئ): «ربها» مختلف فيه فقال أكثر الشراح: معناه أن يكثر السبي والتسري بالسبايا، فتلد المرأة لسيدها أولاداً يكونون سادتها تبعاً لأبيهم، وهذا الشرح لا يعجبني وليس بصحيح لأنه كان واقعاً في زمان النبي وفي زمان النبي وأن أن الأم كيفما كانت فهي في الإسلام سيدة لأولادها، قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا وَإِنْ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]. فيجب على كل ولد أن يتخذ أمه سيدة له، وإن كانت قبل ذلك أمة مملوكة ولا يمكن أن تكون له عليها سيادة أبداً، والذي

⁽۱) أخرجه البخاري كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿ وَيُعَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمُ ﴾ (٧٤٠٥)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «من شيء».

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «عن الله ورسوله».

⁽٤) يريد حديث جبريل الطويل، فقد رواه جمع من الصحابة، منهم: أبو هريرة، أخرج روايته البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩) وغيرهما، وهو المعني في كل ما يأتي من قول المصنف: «في حديث أبي هريرة»، فليكن ذلك على بالك.

أختاره: أن معنى ذلك: أن يكثر العقوق في آخر الزمان، حين يضعف تمسك الناس بالإسلام، ويعم الجهل والفسق ويكثر عقوق الأولاد لآبائهم وأمهاتهم، حتى أن الأم تضطر أن تعامل أولادها حين يكبرون ويستغنون عنها وتفتقر هي لهم معاملة الأمة لسادتها، وذلك مشاهد في هذا الزمان، فإن المحافظين على التمسك بالدين يكرمون آباءهم وأمهاتهم ويعظمونهم، وضعفاء الدين والمعرضون يحتقرون آباءهم وأمهاتهم، خصوصاً إذا كانوا شيوعيين لا يرون لوالديهم عليهم فضلاً، آباءهم والذي تحقق عندي، وبحثت في «فتح الباري شرح البخاري» للحافظ ابن حجر، فوجدت رأيه يطابق رأيي تماماً، فإنه قال بعدما ذكر ثلاثة آراء في شرح اللفظين المذكورين وطعن فيها ما نصه:

"الرابع: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربها مجازاً لذلك، أو المراد بالرب المربي فيكون حقيقة، وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه. ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور، بحيث يصير المربى مربياً والسافل عالياً، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى: "أن تصير الحفاة ملوك الأرض" (١٠). اه.

ثم قال ابن رجب: «والعلامة الثانية: «أن ترى الحفاة العراة العالة» والمراد بالعالة الفقراء كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآبِلاً فَأَغَّنَ ﴿ الضحى: ٨]، وقوله: «رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» هكذا في حديث عمر، والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم وتكثر أموالهم حتى يتباهون (٢) بطول البنيان وزخرفته وإتقانه.

وفي حديث أبي هريرة ذكر ثلاث علامات، منها: أن تكون الحفاة العراة رؤساء (٣) الناس، ومنها: أن يتطاول رعاة (٤) البهم في البنيان، وروى هذا الحديث عبد الله بن عطاء عن عبد الله بن بريدة فقال فيه: «وأن ترى الصم البكم

⁽١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١٦٣/١).

⁽٢) كذا في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، وفي الأصل: «يتباهوا»!

⁽٣) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «رؤوس».

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «رعاءً».

العُمي الحفاة رعاء الشاة (۱) يتطاولون في البنيان ملوك الناس، قال: فقام (۲) رجل فانطلق فقلنا: يا رسول الله من هؤلاء الذين نعت؟ قال: «هم العُريب» (۳)، وكذا روى هذا (٤) الحديث هذه اللفظة الأخيرة علي بن زيد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر (٥)، وأما اللفظ الأول فهو في «الصحيحين» (٦) من حديث أبي هريرة بمعناه (٧) وقوله: «الصم (٨) العمي» إشارة إلى جهلهم وعدم علمهم وفهمهم، وفي هذا المعنى أحاديث متعددة.

فخرج (مم) و(ت) من حديث حذيفة عن النبي على قال: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع» (٩)، «المراد باللكع اللئيم» (١٠). وخرج (مم) والطبراني من حديث أنس عن النبي على قال: «بين يدي الساعة سنون خدّاعة (١١)، يتهم فيها الأمين، ويؤتمن فيها المتهم، وينطق فيها الرويبضة قال: «السفيه ينطق في أمر العامة» وفي رواية: «الفاسق يتكلم في أمر العامة» (١٢).

⁽١) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الشاء».

⁽٢) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الرجُلُ».

⁽٣) أخرجه من طريق عبد الله بن عطاء عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر به: المروزي في «الصلاة» (٣٦٧) _ وعنده: «العرب» بدل «العُريْب» _، والطرسوسي في «مسند عبد الله بن عمر» (ص٢٢ _ ٢٢).

⁽٤) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: بدون «هٰذا الحديث».

⁽٥) أخرجه من طريق علي بن زيد _ وهو ابن جدعان، ضعيف _ به: أحمد (١٠٧/٢)، والمروزي في «الشريعة» (١٠٩).

⁽٦) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الصحيح»، وسبق تخريج حديث أبي هريرة.

⁽٧) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «بمعناها».

⁽٨) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»: «الصم البكم العمي».

⁽٩) أخرجه أحمد (٣٨٩/٥)، والترمذي (٢٢٠٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٩٢)، والبغوي (٤١٥٤) من حديث حذيفة، وهو حديث حسن بشواهده.

⁽١٠) في مطبوع «جامع العلوم والحكم»، سقطت الزيادة التي تفسر اللكع في الحديث وهي: «المراد باللكم اللئيم».

⁽١١) في الأصل: "ستون خدعة"، وهو تحريف، وصوابه المثبت!

⁽۱۲) أخرجه أحمد (۳/ ۲۲۰)، والطبراني في «الأوسط» (۳۲۸۲)، وأبو يعلى (۳۷۱٥)، والبزار (۳۲۸۳ ـ زوائده)، والطحاوي في «المشكل» (٤٦٥، ٤٦٦) وهو حسن، وحسنه ابن حجر في «الفتح» (۱۲/ ۸۶).







مباحث في الإيمان

المبحث الأول: ما هو الإيمان؟

قال شارح «الطحاوية»(۱): «اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً، فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكر (۲) الطحاوي (۳): أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصل (ئ)، وإلى هذا وهب أبو منصور الماتريدي (٥) ويروى عن أبي حنيفة (٢)». اه.

«الإيمان عند السَّلف عبارة عن ثلاثة أشياء: اعتقاد وقول وعمل. وقد مر الكلامُ يعني في كتابه ـ على الأوَّلين، أي: التصديق والإقرار، بقي العمل: هل هو جزء للإيمان أم لا؟.

قالمذاهبُ فيه أربعة، قال الخوارج والمعتزلة: إنَّ الأعمال أجزاء للإيمان، فالتارك للعمل خارج عن الإيمان، وأدخلوه في الكفر، والمعتزلة لين المنزلتين. الكفر، والمعتزلة لم يُدخلوه في الكفر، بل قالوا: بالمنزلة بين المنزلتين.

والثالث: مذهب المرجئة، فقالوا: لا حاجة إلى العمل، ومدار النجاة هو التصديق فقط، فصار الأولون والمرجئة على طرفي نقيض.

والرابع: مذهبُ أهل السنَّة والجماعة، وهم بينَ بينَ، فقالوا: إنَّ الأعمال أيضاً لا بُدّ منها، لكن تاركها مُفسَّقٌ، لا مُكفَّر، فلم يُشَدِّدوا فيها كالخوارج والتمعتزلة، ولم يُهوِّنوا أمرها كالمرجئة.

⁽۱) (ص۳۷۳).

⁽٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «ذكره».

⁽٣) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «كَغَلَمْهُ».

⁽٤) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «بأصلى».

⁽٥) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «كَثَلَمْهُ».

⁽٦) قال الكشميري في «فيض الباري» (١/ ٥٣ ـ ٥٥):



المبحث الثاني: في زيادة الإيمان ونقصانه

قال شارح «الطحاوية» (ص٣٨٤): «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً، ومنها: قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِم ءَايَنتُهُ زَادَتَهُمْ إِيمَانًا ﴾ الآية [٢]، ﴿ وَيَزِيدُ اللّهُ الّذِينَ اَهْتَدَوْا هُدُى ﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿ وَيَزِيدُ اللّهُ اللّهِينَةَ فِي قُلُوبِ الشّعِينَةَ فِي قُلُوبِ الشّعِينَةَ إِيمَننَا مَعَ إِيمَننِم ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ النّينَ قَالَ لَهُمُ النّاسُ إِنّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَننَا وَقَالُواْ حَسّبُنَا اللّهُ وَيَعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ اللهِ عمران: ١٧٣].

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها: إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَأَخْشُوهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين؛ زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم من الحديبية ليزدادوا طمأنينة ويقيناً.

ويـؤيـد ذلـك قـولـه: ﴿ هُمُ لِلْكُفْرِ يَوْمَبِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾ [آل عـمـران:

ثم هؤلاء _ أي أهل السنّة والجماعة _ افترقوا فرقتين، فأكثر المحدثين إلى أن الإيمان مركب من الأعمال، وإمامنا الأعظم _ رحمه الله تعالى _ وأكثر الفقهاء والمتكلمين إلى أن الأعمال غير داخلة في الإيمان، مع اتفاقهم جميعاً على أن فاقد التصديق كافر، وفاقد العمل فاسق، فلم يبق الخلاف إلَّا في التعبير، فإنّ السلف وإن جعلوا الأعمال أجزاء، لكن لا بحيث ينعدِمُ الكلُ بانعدامها، بل يبقى الإيمان مع انتفائها.

وإمامنا أبو حنيفة وإن لم يجعل الأعمال جزءاً، لكنه اهتم بها، وحرَّض عليها، وجعلها أسباباً ساريةً في نماء الإيمان، فلم يهدرها هدر المرجئة، إلّا أنّ تعبير المحدثين القائلين بجزئية الأعمال، لمّا كان أبعد من المرجئة المنكرين جزئية الأعمال، بخلاف تعبير إمامنا الأعظم ـ رحمه الله تعالى ـ فإنه كان أقرب إليهم من حيث نفي جزئية الأعمال: رُمي الحنفية بالإرجاء، وهذا كما ترى جورٌ علينا، فالله المستعان.

ولو كان الاشتراك مع المرجئة بوجه من الوجوه التعبيرية كافياً لنسبة الإرجاء إلينا، لزم نسبة الاعتزال إليهم، أي: إلى المحدثين، فإنهم، أي المعتزلة، قائلون بجزئية الأعمال أيضاً كالمحدثين، ولكن حاشاهم من الاعتزال، وعفا الله عمن تعصب ونسب إلينا الإرجاء، فإن الدين كلّه نصح، لا مراماة ومنابزة بالألقاب! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى. قال أبو عبيدة: لذا لا بد في مسألة (الأعمال هل هي شرط صحة أم كمال؟) من التفصيل، ورحم الله ابن تيمية القائل في «مجموع الفتاوى» (١٦٤/٧) في غير هذا المقام: «فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل». وفي مطبوع اشرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «من الشرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «من المناه الله المقام المناه المقام المناه المناه المناه المناه المناه المناه الله المناه الم



١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنِلَتَ سُورَةً فَيِنَهُم مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتُهُ هَلَاهِم إِيمَنَاً فَأَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتُهُم إِيمَنَا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضُ فَزَادَتُهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَلِغُرُونَ ۞ [التوبة: ١٢٥، ١٢٤].

وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» عند هذه الآية بسنده عن أبي هريرة قال: «جاء وفد ثقيف إلى رسول الله على فقالوا: يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «لا، الإيمان مكمل في القلب، زيادته كفر، ونقصانه شرك»(۱).

فقد سئل شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير (٢) عن هذا الحديث؟ فأجاب: بأن الإسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يعرفون في شيء من كتب التاريخ المشهور، وأما أبو مطيع، فهو: الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي (٣)، ضعفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعمرو (٤) بن علي الفلاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم محمد بن حبان البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم، وأما أبو المهزم - الراوي عن أبي هريرة، وقد تصحَّف على الكتّاب - واسمه: يزيد بن سفيان (٥)، فقد ضعفه أيضاً غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم سبعين حديثاً.

وقد وصف النبي على النساء بنقصان العقل والدين (٢٠)، وقال على: «لا يؤمن

⁽۱) أخرجه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (۲/ ۸۳، ط. دار الكتب العلمية)، وخرجته مفصلاً مبيّناً وضعه رفعاً في تعليقي على «التعقبات على الموضوعات» رقم (٣٦)، وانظر: «حديث السراج» رقم (٨٢٠).

⁽٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «كَالله)».

⁽٣) انظر لضعفه: «الميزان» (٢/ ٣٣٩)، «الجرح والتعديل» (٣/ ١٢١)، «المجروحين» (١/ ٢٥٠)، «الضعفاء والمتروكين» (١/ ٢٢٧)، «المغني» (١/ ١٨٣).

⁽٤) في الأصل: «عمر»! والصواب المثبت.

⁽٥) انظر ترجمته وبيان ضعفه في: «التاريخ الكبير» (٨/ ٣٣٩)، «الجرح والتعديل» (٩/ ٢٦٩)، «التهذيب» (٢/ ٣٦٥)، «الميزان» (٤/ ٢٤٤).

⁽٦) يشير إلى قوله ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن» أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢، ١٩٥١، ١٩٥٨)، ومسلم (٢٩، ٨٠) من حديث أبى سعيد.



أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "(١)، والمراد نفي الكمال، ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان (٢)، وحديث الشفاعة (٣)، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى ذرة من إيمان، فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السموات والأرض سواء؟ وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان.

وكلام الصحابة (٤) في هذا المعنى كثير أيضاً، منه: قول أبي الدرداء (٥): «من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟» (٢).

وكان عمر (٧) يقول لأصحابه: «هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله تخلي الله الله وكان ابن مسعود (٩) يقول في دعائه: «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً» (١٠٠).

وكان معاذ بن جبل (١١١) يقول لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة» (١٢٠).

⁽۱) مضى تخريجه، وهو في «الصحيحين».

٣) مضى تخريجه وهو في «الصحيحين»، وللذهبي جزء مفرد مطبوع في أحاديث الشفاعة.

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «﴿ وَإِنَّهُمْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

 ⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «رَفِيْهُنه».

⁽٦) أخرجه أحمد في «الإيمان»، (ق٨٠١/أ) وابن بطة في «الإبانة» (١١٢٦)، وابن ماجه (٧٥)، واللالكائي في «السنة» (١٧٠٩) مختصراً، واللفظ المذكور عند أحمد (ق٨٠١)، ومن طريقه اللالكائي في «السنة» (١٧١١) وابن بطة في «الإبانة الكبرى (رقم ١١٤٠) وفي إسناده مبهم.

⁽V) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «﴿ ﴿ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّالِي اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

⁽٨) أخرجه أحمد في «الإيمان» (ق٨٠/أ) وابن أبي شيبة في «الإيمان» (ص٣٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١٧٠٠)، والبيهقي في «الشعب»، (٣٧) واللالكائي في «السنة» (١٧٠٠)، وإسناده منقطع، ذر بن عبد الله المرحبي لم يسمع عمر.

⁽٩) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «ضَيْطُنه».

⁽۱۰) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (۷۹۷)، وأبوه الإمام أحمد في «الإيمان (ق١٠٨/ أ)، وابن بطة في «الإبانة» (١١٣٢)، والآجري في «الشريعة» (رقم ٢١٨)، وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (١٨/١).

⁽١١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «﴿ وَكُلُّهُمْ ﴾.

⁽۱۲) علقه البخاري في «صحيحه»: كتاب الإيمان: الباب الأول، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٦٤ و٧/ ١٢١)، وأحمد في «الإيمان» (ق/ ١٠٨أ)، وابنه عبد الله في =



ومثله عن عبد الله بن رواحة(١).

وصح عن عمار بن ياسر (٢) أنه قال: «ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان: إنصافٌ من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم». ذكره (غ) في «صحيحه» (٣) وفي هذا المقدار كفاية وبالله التوفيق» (٤). اه.

المبحث الثالث: في بيان أن الإيمان لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق

قال شارح «الطحاوية»: صفحة (٤٠٨) «والكتاب والسنة مملوآن بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بيّن معناه الكتاب والسنة.

فمن الكتاب، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُومُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾

[&]quot;السنة" (٧٩٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١١٣٥)، واللالكائي في «السنة» (١٧٠٦، ١٧٠٧)، وصححه ابن حجر في «الفتح»: (١/ ٢٠)، وشيخنا الألباني في تعليقه على «الإيمان» لابن أبي شيبة (١٧٢)، و«الإيمان» لأبي عبيد (رقم ٢٠)، وعزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٥١)، لابن الجوزي في «صفوة الصفوة».

⁽۱) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (رقم ١١٦)، وأحمد في «الإيمان» (ق١١٨أ)، والخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» وحسن إسناده العجلوني في «كشف الخفاء» (١/١٥)، وحسن إسناده العجلوني في «كشف الخفاء» (١/١٥)، وبعده في مطبوع «شرح الطحاوية»: « المنافقة المن

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «﴿ رَبُّ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّ الللّل

⁽٣) أورده البخاريُّ في كتاب الإيمان معلقاً مجزوماً موقوفاً على عمار هُوهُ، باب إفشاء السَّلَامِ من الإسلام، ووصله موقوفاً بإسناد صحيح: أحمد في «الإيمان» (ق١٠٩)، ووكيع في «الزهد» (٢٤١)، وابن أبي شيبة (٤٨/١)، وفي «الإيمان» (٣١)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (١٩٤ ـ ١٩٦ ـ عمر)، وابن حبان في «روضة العقلاء» (ص٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٨٦)، واللالكائي في «السنة» (١٧١٣)، وابن حجر في «التغليق» (٣٦/٢) ـ وصححه ـ، و«مجالس الأذكار» رقم (٢٣٦).

وروي مرفوعاً، ولم يثبت. انظر: «مصنف عبد الرزاق» (٣٨٦/١٠)، و«معجم ابن الأعرابي» (١٤٢)، و«مسند البزار» (١/ ٢٥ ـ زوائده)، و«السنة» للإلكائي (١٦٩٨)، و«علل ابن أبي حاتم» (١٤٥/١)، و«فتح الباري» (١/ ٨٣)، ولابن ناصر الدين «جزء» من «أماليه» مفرد في هذا الأثر، وهو مطبوع بعنوان «الإتحاف بحديث فضل الإنصاف».

⁽٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٣٨٤ ـ ٣٨٧) بتصرف.



[الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ الله المحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَّا مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ شَلْيِمَا ﴿فَلَى الله الناهِ ١٥]، فنفيُ الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، ولم يكن قد أتى بالإيمان الواجب، الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب (١١). اهد.

فصل

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «كتاب الإيمان» (ص١٧٠) ما نصه:

"فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر، وبلفظ التقوى، وبلفظ الدين كما تقدم، فإن النبي على بيّن أن "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" أن فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك لفظ التقوى، وكذلك الدين أو دين الإسلام، وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل (٢) الله هذه الآية: ﴿ لَيْسَ الْبِرَ أَن تُولُوا وُجُوهَكُم ﴾ [البقرة: سالوا عن الإيمان، وفسر بالتقوى، وفسر بالعمل الذي يقرب إلى الله، والجميع حق.

وقد روي مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه فسر البر بالإيمان:

قال محمد بن نصر بسنده عن القاسم قال: جاء رجل إلى أبي ذر، فسأله عن الإيمان، فقرأ: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ . . ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى آخر الآية، فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقرأ عليه الذي قرأتُ عليك، فقال له الذي قلتَ لي؟! فلما أبى أن يرضى، قال له: ﴿إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها (٥٠).

⁽۱) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٠٨ ـ ٤٠٩). (٢) مضى تخريجه.

 ⁽٣) ثبت ذلك في "صحيح البخاري" (١٨٠٣، ١٨٠٣) وغيره عن البراء، وانظر: "الموافقات"
 (١/ ٤٤ ـ ٤٥) وتعليقي عليه.

⁽٤) في مطبوع «كتاب الإيمان» زيادة: «البرُّ».

⁽٥) أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٤٠٨)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (٣٠١).



ثم قال شيخ الإسلام (ص١٧٨): "والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محباً لله ورسوله، مريداً لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله، فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته، دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه.

ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، ويكرم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين عاية الإهانة، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن، قالوا: وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار؛ لأن هذه الأقوال أماراة على الكفر، ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود، وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به، وبخلاف ما شهد به الشهود.

فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذّب في الآخرة، قالوا: فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه، فالكفر عندهم شيء واحد، وهو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو؟

وهذا قول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان، فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة، وقد كفّر السلفُ ـ كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم ـ من يقول بهذا القول، وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن، وإنما كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم، لا لكونه كذب خبراً، وكذلك فرعون وقومه.

⁼ وإسناده ضعيف، القاسم لم يسمع من أبي ذر، والراوي عنه المسعودي واختلط قبل موته.

وعزاه في «الدر المنثور» (١/ ٤١١) لإسحاق بن راهويه في «مسنده» ـ و(مسند أبي ذر) مفقود من القطعة المتبقية منه، ونشر جلها ـ، وابن مردويه ولبعضه شاهد. انظر (ص٧٧ هامش ٦)، وانظر: «كتاب الإيمان» (١٤٣ ـ ١٤٤) بتصرف.



قال تعالى فيهم: ﴿ وَجَعَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْفَنَتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوّاً ﴾ الآية [النمل: ١٤].

وقال موسى ﷺ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـُوَلُآهِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآبِرَ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَالَيْنَا مُوسَىٰ يَشْعَ ءَايَنتِ بَيِّنَتِ فَشَـُلْ بَنِيَ إِسْرَقِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالُ لَهُ فِـرْعَوْنُ إِنِّ لَأَظُنُكَ يَـمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَــُوُلَآهِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَــوَتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآبِرَ وَإِنِي لَأَظُنُكَ يَـنِوْعَوْتُ مَشْـبُورًا ﴿ الْإِسراء: ١٠١، ١٠١].

فموسى وهو الصادق المصدوق يقول: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَـُـوُلاّهِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَابِرَ﴾.

فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات، وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً؛ لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَآبِفَةً مِّنْهُمْ يُذَيِّحُ أَبْنَاءَهُمُّ وَيَسْتَحِيء نِسَآءَهُمُّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَمَدُواْ بِهَا وَاسْتَنْفَنَهُمْ أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوّاً ﴾ [النمل: ١٤] وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِنَبَ يَعْرِفُونَهُ كُمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وكذلك من المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَ ٱلظَّالِمِينَ الظَّالِمِينَ الظَّالِمِينَ النَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فهؤلاء غلطوا في أصلين:

أحدهما: [ظنهم] (١) أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، فليس (٢) معه عمل، وحال وحركة وإرادة ومحبة، وخشية في القلب، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً، فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية أحوالاً ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله، فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه، فهو من الإيمان المستحب، فالأول لا بدّ لكل مؤمن منه؛ ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين، ومن فعله وفعل الثاني كان من المقربين السابقين، وذلك مثل حب الله ورسوله، بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، بل أن

⁽١) من مطبوع "كتاب الإيمان"، وسقط من الأصل.

⁽٢) في مطبوع «كتاب الإيمان»: «ليس».



يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله أحب إليه من أهله وماله، ومثله (١): خشية الله وحده دون رجاء المخلوقين، والتوكل على الله وحده دون رجاء المخلوقين، والتوكل على الله وحده دون المخلوقين، والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى: ﴿ هَنَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿ مَنَ خَشِي الرَّحْنَنَ بِالْفَيْسِ وَجَاتَة بِقَلْبٍ مَّيْبٍ ﴿ وَالْمَوَالَاةَ لله والمعاداتِ لله. والبغض في الله والموالاة لله والمعادات لله.

والثاني: ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار؛ فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق.

وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع، وما أجمع عليه طوائف بني آدم السليمي الفطرة وجماهير النظار، فإن الإنسان قد يعرف أن اليحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك؛ لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه.

وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرئاسة، وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض، كأموال ورئاسة وصداقة أقوام وغير ذلك، فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم، فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون، مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق.

ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح (٢) في صدق الرسل، وإنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم، كقولهم لنوح: ﴿أَنُوْمِنُ لَكَ وَٱتَّبِعَكَ ٱلأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

ومعلوم أن اتباع الأرذلين له لا يقدح في صدقه، لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي على إبعاد الضعفاء، كسعد بن أبي وقاص وابن مسعود وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وبلال... ونحوهم.

وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل صفة، فأنزل الله تبارك

⁽١) في مطبوع «كتاب الإيمان»: «مثل».

⁽٢) في الأصل: «تقدم» والتصويب من كتاب «الإيمان».



وتعالى (١): ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاوْةِ وَالْمَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَةً مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءِ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّللِمِينَ ﴾ حِسَابِهِم مِن شَيْءِ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّللِمِينَ ﴾ وَحَلَابِهِم مِن شَيْءِ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّللِمِينَ ﴾ وَحَلَابُكُ فَتَنَا بَعْضَهُم بِبَعْضِ لِيَقُولُوا أَهَمَةُلاَءِ مَنَ اللّهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ وَكَالِكَ فَتَنَا بَعْضَهُم بِبَعْضِ لِيَقُولُوا أَهَمَةُلاَءِ مَنَ اللّهُ عَلَيْهِم مِنْ بَيْنِنَا أَلْيَسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ وَكُنْ إِلَيْنَ اللّهُ مِاللّهُ مِلْكُونِينَ ﴿ وَهِ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِلْكُونِينَ اللّهِ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مَا مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهِ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مُنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللّهُ مِنْ اللللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الللّهُ مِنْ الللللّهُ مِنْ اللّهُ مُو

ومثل قول فرعون: ﴿أَنُوْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِيدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧] وقول فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِكَ فِينَا وَلِيدًا وَلِيثَتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَكَ الَّتِى فَعَلْتَكَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَيْمِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥، ١٩].

ومشل قول مشركي العرب: ﴿إِن نَتَيْعِ اَلْمُدَىٰ مَعَكَ نُنَخَطَفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [القصص: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنَا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرُقًا مِن لَدُنّا ﴾ ومثل قول قوم شعيب له: ﴿أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ اَن نَقْعَلَ فِي أَمْوَلِنَا مَا نَشَرُونًا ﴾ [هود: ٨٧]. ومثل قول عامة المشركين: ﴿إِنّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمّلِةٍ وَإِنّا عَلَى ءَاثَرُهِم مُّهُتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٣].

وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح في صدق الرسل، بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهواءهم وعاداتهم (٢)، فلذلك لم يتبعوهم، وهؤلاء كلهم كفار، بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي على ويحبون علو كلمته، وليس عندهم حسد له، وكانوا يعلمون صدقه، ولكن كانوا يعلمون أن في متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس، فكيف يقال: إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله؟»(٣). اه.

قال شارح «الطحاوية» في تلخيص أقوال الناس في الإيمان ما نصه (ص٣١٢):

"وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان: إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم (٤)، كما

⁽۱) أخرجه مسلم (۲٤۱۳) (۲۵، ٤٦) وغيره، كما بيّنتُه مفصلاً في تحقيقي لـ«رجحان الكفة» (ص٢٠٩) للسخاوي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽٢) كذا في مطبوع «كتاب الإيمان»، وفي الأصل: «وعادتهم».

⁽٣) انظر: «كتاب الإيمان» (١٥٠ _ ١٥٤).

⁽٤) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «رحمهم الله».



تقدم، أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه (۱) أو باللسان وحده، كما تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي (۲)، وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أهل السنة اختلاف صوري (٣)، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب أو جزءاً من الإيمان،

ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صورياً، وهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق! بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام! كيف وهو بناءً على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم ـ مهما كان فاسقاً فاجراً ـ أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، بل يقول: أنا مؤمن حقاً! والله ولله يقول: فإنما المؤونون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهُم وَايَنتُهُم وَايَنتُه وَمَن الله وَعِلْقُونَ وَمِمّا وَرَفّاهُم وَايَنتُهُم وَايَنتُه وَمَن المُعْرَون المُعمل والموا والموا المنافعية والموالم والله والموا والموالم والموا المنافعية والموالم الكتاب! وأعرف شخصاً من شيوخ الحنفية خطب ابنته والمن شيوخ الشافعية، فأبي قائلاً : . . . لولا أنك شافعي! فهل بعد هذا مجال للشك في أن الخلاف حقيقي؟ ومن شاء التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب شيخ على أن الخلاف حقيقي؟ ومن شاء التوسع في هذه المسألة فليرجع إلى كتاب شيخ على أن الخلاف حقيقي؟

⁽١) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «رحمه الله».

⁽٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «رحمهم الله».

⁽٣) كذا قال شارح "الطحاوية"! وتعقبه شيخنا الألباني في تعليقه على "الطحاوية" (ص٢٦ ـ ٣ ـ فقرة ٢٦)، فقال: "ليس الخلاف بين المذهبين اختلافاً صورياً كما ذهب إليه الشارح ـ رحمه الله تعالى ـ، بحجة أنهم جميعاً اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان، وأنه في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. فإن هذا الاتفاق وإن كان صحيحاً، فإن الحنفية لو كانوا غير مخالفين للجماهير مخالفة حقيقة في إنكارهم أن العمل من الإيمان، لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص وأن زيادته بالطاعة، ونقصه بالمعصية، مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك، وقد ذكر الشارح طائفة طيبة منها (ص٣٨٥ ـ ٣٨٧) [٣٤٢ ـ ٣٤٤]، ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان، وتكلفوا في تأويلها تكلفا ظاهراً، بل باطلاً، ذكر الشارح (ص٣٨٥) [٣٤٢] نموذجاً منها، بل حكى عن أبي المعين النسفي أنه طعن في صحة حديث "الإيمان بضع وسبعون شعبة.." مع احتجاج كل أثمة الحديث به، ومنهم البخاري ومسلم في "صحيحيهما"! وهو مخرج في "الصحيحة" أثمة الحديث به، ومنهم البخاري ومسلم في "صحيحيهما"! وهو مخرج في "الصحيحة"



مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ـ نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى "(١).اه.

وقال قبل ذلك في تفصيل قول الكرامية:

«وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد»(٢). اه.

قال محمد تقي الدين: وكذلك قول أبي منصور الماتريدي: إن الإيمان هو التصديق وحده، وهو رواية عن أبي حنيفة كما في «شرح الطحاوية»، فيكون لأبي حنيفة قولان:

أولهما: أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب (٣).

والثاني: مثل قول الماتريدي.

والثالث: ما رجع إليه، وهو موافق لسائر أئمة أهل السنة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

قال شارح «الطحاوية» _ وهو حنفي (٤) غير متعصب _ (ص٣٣٣):

"وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: "أي الإسلام أفضل..." إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان (٥)، فسكت أبو حنيفة، قال (٢) بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا

⁼ الإسلام ابن تيمية: «الإيمان» فإنه خير ما ألف في هذا الموضوع» انتهى كلامه.

⁽۱) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٧٤). (٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٧٣).

⁽٣) هذا هو المشهور عن أبي حنيفة كَلَفَهُ، وهو المذكور في «الفقه الأكبر» (ص٣٠٤)، وكتابه «الوصية» (ص٢ ـ مع «شرحها»)، و«رسالته إلى عثمان البتي» (ص٥٣) ونقله عنه جمع، انظر _ مثلاً _: «الفصل» (٢/ ١١١)، «التمهيد» (٢٣٨/٩)، وانظر المسألة مفصلة مدللة في كتاب صديقنا الدكتور محمد الخميس: «أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة» (ص٣٥٤ ـ ٣٨٨).

⁽٤) وهو ابن أبي العز الحنفي، ونشر حديثاً كتاب «منهج الإمام ابن أبي العز الحنفي وآراؤه في العقيدة من خلال شرحه للطحاوية» عن دار ابن الجوزي.

⁽٥) سبق في هذا المعنى أحاديث كثيرة. انظر (ص٨٦)، وهناك تخريجها.

⁽٦) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «فقال».



حنيفة؟ قال: بم أجيبه وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

ثم قال شارح: «الطحاوية»: «مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول - أي الرجل -: أنا مؤمن إن شاء الله، والناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا أصح الأقوال.

الأول: أما من يوجبه فلهم مأخذان: أحدهما: أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الوفاة (١) وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به.

قالوا: والإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم.

وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد، وليس هذا قول السلف ولا كان يقول بهذا من يستثني من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلُ إِن كُنتُمُ تُجِبُونَ اللهَ قَالَيَهُ وَاللهُ عَمران: ٣١]. فأخبر أنهم يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط لا يتأخر (٢) عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

ثم صار إلى هذا القول طائفة غلوا فيه، حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول.

ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله! هذا حبل إن شاء الله، فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه. يقولون: نعم، لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره.

المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه

⁽١) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «الموافاة».

⁽٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «والمشروط يتأخر»!.



أنه من الأبرار المتقين القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين، وهذا مع تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدَّفُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ اللهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال وقال على المقابر: «وأنا إن شاء الله بكم لاحقون»(١). وقال أيضا: «إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»(١). ونظائر هذا.

• وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أني مؤمن، كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم (الشّكَاكة)، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدَّفُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول فلا شك فيه، وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم؛ لأنه علم أن بعضكم يموت، وفي كلا الجوابين نظر، فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل فلا شك فيه أيضاً.

فكان قول: ﴿إِن شَآءَ اللهُ ﴾ هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على شيء أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحنث الحالف في مثل هذه اليمين لأنه يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل، وفي كون هذا المعنى مراداً من النص نظر، فإنه ما سيق الكلام إلا أن يكون مراداً من إشارة النص»(٣). اهـ.

⁽١) أخرجه مسلم كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٩٧٤) من حديث عائشة.

⁽٢) سبق تخريجه.

⁽٣) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٩٥ ـ ٣٩٧).





-0000000000000000



بقية أركان الإيمان

وقال على الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله النبي على عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»(٢).

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه موجود لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم (٣) عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له فمصانعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ.

⁽۱) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة» وقد سقطت من مطبوع «سبيل الرشاد».

⁽٢) سبق تخريجه.

⁽٣) كذا في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»، وفي الأصل: «العلم».



وليس عندهم بمفعول ولا مخلوق ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته!

فهذا إيمانهم بالله، وأما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفونه بالكلام فلا يكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإدراك وسرعته؛ لينال من العلم أعظم ما^(۱) يناله غيره، وقوة النفس؛ ليؤثر بها في هيولي العالم، يقلب صورة إلى صورة! وقوة التخييل^(۱)؛ ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم وليس في الخارج ذات منفصلة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء وترى وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان، وأما اليوم الآخر فهم أشد الناس تكذيباً وإنكاراً له في الأعيان.

وعندهم أن هذا العالم لا يخرب^(۳)، ولا تنشق السموات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم ويبعثون إلى جنة ونار، كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهمها^(١) أتباع الرسل، فهذا إيمان هذه الطائفة الذليلة الحقيرة ﴿ إِللَّهِ وَمُلَيِّكِيهِ وَرُسُلِهِ وَالْيُومِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النساء: ١٣٦] وهذه هي أصول الدين الخمسة.

ثم قال شارح «الطحاوية»: «وأصول أهل السنة والجماعة تابعة لما جاء به الرسول، وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة _ لما تضمنتا هذا الأصل _: لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي «الصحيحين» (٥) عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، عن النبي علي الله كفتاه».

⁽١) كذا في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»، وفي الأصل: «مما».

⁽٢) كذا في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»، وفي الأصل: «التخيل».

⁽٣) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «لا يحرب»، والصحيح المثبت.

⁽٤) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية»: «يفهمُ».

⁽٥) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب منه (٤٠٠٨)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين مِن آخر البقرة (٨٠٧) من حديث أبي مسعود البدري.



وفي "صحيح (م)" عن ابن عباس قال: "بينما جبرائيل قاعد عند النبي الله سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل مئه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك:

فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهمًا إلا أوتيته».

وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة _ يعني هذه الخمسة _ والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار، وهذا حق، والأدلة عليه ثابتة محكمة قطعية، وقد تقدمت الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

وأما الملائكة، فهم الموكّلون بالسموات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿ فَالْمُدَرِّرَتِ أَثْرًا ﴿ الآية [٥] من سورة النازعات، ﴿ فَالْمُتَمِّنَتِ أَمَّا ﴿ إِلَى الآية [٤] من سورة الذاريات، وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل. وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة، ووكل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القير لحفظ ما يعمله وإحصائه وكتابته، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بالسؤال في القير ملائكة، ووكل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكل بالشمس والقمر ملائكة، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكل بالجنة وعمارتها وغرسها وعمل آلاتها ملائكة، فالملائكة أعظم جنود الله.

ومنهم: ﴿ وَالْمُرْسَلَتِ عُرْهَا ۞ فَالْعَصِفَتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّشِرَتِ نَشْرًا ۞ فَالْفَرِقَتِ فَرَقًا ۞ فَالنَّشِطَتِ وَمُقًا ۞ وَالنَّرِعَتِ فَرَقًا ۞ وَالنَّشِطَتِ اللَّهُ وَالنَّرِعَتِ فَرَقًا ۞ وَالنَّشِطَتِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالنَّرِعَتِ مَوَّا اللَّهُ وَالنَّيْعَتِ سَبْعًا ۞ فَالنَّيْعَتِ سَبْقًا ۞ [النازعات: ١ - ٤]، ومنهم: ﴿ وَالصَّلْفَتِ صَفًا ۞ فَالتَّيْمِرِتِ زَحْرًا ۞ فَالنَّلِيَتِ ذِكْرًا ۞ من سورة [الصافات: ١ - ٤]، ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات، التي مفردها، «فرقة» و الطائفة» و الجماعة» ومنهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب.

⁽١) أخرجه مسلم كتابُ صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحثُّ على قراءة الآيتين مِن آخر البقرة (٨٠٦) من حديث ابن عباس.



ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة فجبرائيل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر (۱) من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد أطّت السموات بهم، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد لله، ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه (۲)، والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ ءَامَنَ بِأَللَّهِ وَمَلَتَهِكَيهِ وَكُنُّهِ ، وَرُسُلِهِ ، ۗ الآية [٢٨٥] من سورة

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الأمر».

⁽٢) في مطبوع «شرح العقيدة الطحاوية» زيادة: «آخر ما عليهم».

and a



فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان»(١).

⁽۱) انظر: «شرح الطحاوية» (۳۳۲ ـ ۳۳۷).





-00000000000000



الإيمان بالكرام الكاتبين

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٣٨):

«وقوله(١٠): «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين».

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَنفِظِينَ ۞ كِرَامًا كَنبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۞ الانفطار الآيات [١٠ إلى ١٢]

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُنَلَقَى الْمُتَلَقِبَانِ عَنِ الْيَعِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ فَعِيدٌ ﴿ مَا يَلْفِطُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبُ عَيدٌ ﴿ مَا اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽١) المراد: قول صاحب العقيدة «الطحاوية»، وهكذا ما سيأتي لاحقاً.

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الصحيح».

 ⁽٣) أخرجه البخاريُّ كتاب مواقيت الصلاة، بابُ فضل صلاةِ العصر (٥٥٥)، ومسلم كتاب
 المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر (٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

⁽٤) أخرجه البزار في «مسنده» (٣١٧ ـ زوائده)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تفسير المن كثير» (٤/ ٤٨٢) ـ، والسراج في «حديثه» رقم (٨٣٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ١٤٦) من حديث ابن عباس، ومداره على حفص بن سليمان المكتب، وهو متروك، فإسناده ضعيف جداً.

انظر تفصيل ذلك: «السلسلة الضعيفة» (٣٢٤٣)، و«الإرواء» (١٠٢١) (٦٤).

E then takes



التفسير: «اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد (١) من أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، حافظان وكاتبان، وقال عكرمة عن ابن عباس (٢)، ﴿ يَعَفَظُونَهُ مِن أَمَّمِ اللَّهِ الآية [١١] من سورة الرعد قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلّوا عنه (٣).

الإيمان بملك الموت

قال شارح «الطحاوية» (ص٠٤٤): «قوله: «[ونؤمن] بملك الموت، الموكّل بقبض أرواح العالمين».

(ش) قال تعالى: ﴿ فَلْ يَنُوفَنَكُم مَلُكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وَكُلُ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَلُكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وَكُلُ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ وَقُولُهُ ﴿ اللّهِ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وقضائه وقدرة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدرة الرحمة أو ملائكة العذاب ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدرة وحكمه وأمره، قصحَّتْ إضافة التوفِّي إلى كلِّ بحسبه (٢٠). اهد

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٤٧): قوله: «وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بدون: «من».

⁽٢) أخرج أثر ابن عباس: عبد الرزاق (٣٣٢/١)، وابن أبي حاتم (٧/رقم ١٢١٩٦)، وابن جرير (٤٥٨/١٣) في «تفاسيرهم» من طريق إسرائيل عن سماك عن عكرمة به، ورواية سماك عن عكرمة مضطربة، وعزاه في «الدر المنثور» (٤٧/٤) إلى الفريابي وابن المنذر.

⁽٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٣٨ _ ٤٣٩). ...

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» بدون: «بين»...

⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» بدون: «و».

⁽٦) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٤٠ ـ ٤٤١).



رسول الله على وعن الصحابة (١)، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران».

(ش) قال تعالى: ﴿ فَوَقَلَهُ اللّهُ سَيَّعَاتِ مَا مَكَرُواً وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوّهُ الْعَلَابِ ﴿ اللّهَ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ ا

وعن البراء بن عازب (٣) قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي على من فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر». ثلاث مرات، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت عليه (١) الملائكة كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان». قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السفاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في فلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني: على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فيفتح له؛ فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي تليها الله، فيقول الله رهنية اكتبوا كتاب عبدي في عليبن، وأعيدوه إلى الأرض، فيها الله، فيقول الله قلك: اكتبوا كتاب عبدي في عليبن، وأعيدوه إلى الأرض،

⁽١) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «في).

⁽٢) في الأصل: (٤٥ ـ ٤٦ ـ الذاريات)!

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «إليه».

فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى _ فقال قتادة: فتعاد روحه في جسده _ فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولون له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي؛ فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر(۱۱)، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: البصر(۱۱)، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

قال: "وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده فينتزعها كما يُنزع السَّفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له"(٢)، ثم قرأ رسول الله على المن سورة منها أَوْبُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَقَى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَرِّ الْجِيَالِيُّ الآية [٤٠] من سورة الأعراف.

"فيقول الله عَلى: "اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُنْرِكُ بِاللّهِ فَكَأَنّمَا خَرّ مِن السّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطّيْرُ أَوْ تَهْدِي بِهِ الرّبِحُ فِي مَكَانِ سَحِيقٍ الآية [٣١] من سورة الحج، "فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء:

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «بصره».

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» بزيادة: «فلا يُفتح له».



أن كذب، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الربح، فيقول: أبشر الذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»(١). رواه الإمام أحمد وأبو داود، وروى النسائي وابن ماجه أوله، ورواه الحاكم وأبو عوانة الإسفرايني في «صحيحيهما» وابن حبان.اه.

وعن ابن عباس أن النبي على مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم يبسا».اه. رواه (ن)(٢).

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله على ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا. فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام: أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً. الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه. الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة. الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل [أنواع](٣) تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً»(٤).

⁽١) سبق تخريجه مطولاً.

⁽٢) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر (٣٦١)، ومسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢) من حديث ابن عباس.

⁽٣) من مطبوع «شرح الطحاوية»، وسقط من الأصل.

⁽٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٤٧ ـ ٤٥١) بتصرف.







قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ فُولُوٓا مَامَكَا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ اللّهِ عَا أُنزِلَ إِلَىٰ اللّهِ عَا أُنزِلَ إِلَىٰ وَمَا أُونِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُونِ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُونِ النّبِيُونَ مِن رَبِّهِمْ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخَنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ وَمَا أُونِ النّبِيُونَ مَا مَامَوُا بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُم بِهِ عَقَدِ اهْتَدَوا قَإِن نَوْلُوا فَإِنّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ مَن اللّهِ مَا اللّهُ وَمَن أَحْسَنُ مِن النّبَالِمِ اللّهِ وَمَن أَحْسَنُ مِن اللّهِ مِسْبَعَةُ اللّهِ وَمَن أَحْسَنُ مِن اللّهِ مِسْبَعَةً وَمَن اللهِ عَلَيْدُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ مَا اللّهِ مِسْبَعَةً وَمَن اللّهِ عَلَيْدُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ مَا اللّهِ مِسْبَعَةً وَمَن الْمُ عَلَيْدُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ مَا اللّهُ عَلَيْدُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ اللللللللّهُ الل

قال (ك): «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد على مفصلاً وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نَوْيَنُ بِبَعْضِ وَنَحَمُّرُ بِبَعْضِ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ اللّهِ سَبِيلًا أُولَيَكُ مُمُ الكَفِرُونَ حَقًا ﴾ الآية [النساء: ١٥٠، ١٥١] _ وقال (غ) بسنده عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية (١٥ فقال رسول الله عليه: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»، «﴿وَلُوا عَامَنَا بِاللّهِ فَقَالَ رسول الله عليه: «لا تصدقوا أهل الكتاب والمناهم عن ابن عباس قال: كان وَمَا رَبِي وَمَا رَبُونَ مَا اللّهُ عَالَيْهُ وَمَا اللّهِ عَلَيْهُ وَمَا رَبُ وَمَا رَوى (م، د، ن) (٣)، بسندهم عن ابن عباس قال: كان

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «لأهل الإسلام».

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير سورة البقرة، باب ﴿ فُولُوا مَامَكَا بِاللَّهِ وَمَا أَنزِلَ إِلَيْنَا﴾ (٢) من حديث أبي هريرة.

⁽٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما وبيان ما يُستحب أن يُقرأ فيهما (٧٢٧)، وأبو داود في الصلاة، باب تخفيفها _ يعني ركعتي الفجر _ (١٢٥٩)، والنسائي في الافتتاح (٦/ ١٥٥) من حديث ابن عباس.



رسول الله ﷺ: أكثر ما يصلى الركعتين اللتين قبل الفجر بـ ﴿ مَامَنَكَا بِٱللَّهِ وَمَمَّا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية والأخرى: بـ ﴿ ءَامَنَا بِٱللَّهِ وَٱشْهَكَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

وقال أبو العالية والربيع وقتادة: الأسباط، بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً، ولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط، وقال: وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل، وقال الزمخشري في «الكشاف»(۱): «الأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثنى عشر»، وقد نقله الرازي(۲) عنه وقرره ولم يعارضه، وقال (ف)(۳): «الأسباط قبائل بني(٤) إسرائيل». وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط لهنا شعوب بني إسرائيل، وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال موسى لهم: ﴿أَذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْلِياآةً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ الآية [المائدة: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمُ أَثَنَقَ عَشْرَةً أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠] قال القرطبي (٥): وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع فهم جماعة، وقيل: أصله من السبط وهو التتابع فهم جماعة، وقيل: أصله من السبط على الشبط بالتحريك وهو: الشجر، أي: في الكثرة بمنزلة الشجرة الواحدة سَبطة، قال (٢) الزجاج: ويبين لك هذا وذكر سنده عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: إدريس (٧) ونوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام، قال القرطبي: والسبط: الجماعة والقبيلة والراجعون (٨) إلى أصل واحد، وقال قتادة: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا (٩) ويصدقوا بكتبه كلها وبرسله، وقال سليمان بن حبيب: إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل ولا نعمل بما فيهما، وقال ابن أبي حاتم بسنده عن معقل (١٠) بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل

⁽۱) انظره (۱/ ۱۹۵). (۲) انظر: «تفسیره» (۶/ ۷۵).

⁽٣) انظر «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب سورة الأعراف.

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «في بني». (٥) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ١٤١).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال».

⁽٧) لا ذكر له في مطبوع «تفسير ابن كثير» و«تفسير القرطبي»، وفيهما بدل منه «ولوط»، وأورد القرطبي إسناد الأثر، وهو من طريق سماك عن عكرمة، وروايته مضطربة.

⁽A) في مطبوع "تفسير ابن كثير" و"تفسير القرطبي" بدون: «و».

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يؤمنوا به».

⁽١٠) في الأصل: «معقد»!



وليسعكم القرآن»(١).

﴿ فَإِنْ ءَامَوُا ﴾ يعني: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿ فَقَلَا المَّنَدُوا ﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿ وَإِن تُوَلَّوا ﴾ أي: عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿ فَإِنَّا هُمْ فِي شِقَاقٌ نَبَكُنِكُمُ الله ﴾ أي أي فسينصرك عليهم ويظفرك بهم ﴿ وَهُو السّيعِ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) قال: ابن أبي حاتم عن نافع بن أبي نعيم قال: أرسل إلي بعض الخلفاء مصحف عثمان ليصلحه قال زياد: قلت (٢) فنه: إن الناس ليقولون أن مصحفه كان في حجره (٤) حين قتل فوقع الدم على: وقد قَدُم (٥). وقوله: ﴿ مِنبَعَةُ اللّهِ ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: دين الله، وكذا وعبد الله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي (٢)، وانتصاب ﴿ مِنبَعَةُ وَعِد مَا الله على الإغراء كقوله: ﴿ وَطَرَتَ اللهِ ﴾ [الروم: ٣٠] أي: الزموا ذلك عليكموه، وقال بعضهم: بدلاً من قوله: ﴿ وَطَرَتَ اللهِ ﴾ كقوله: وعد الله، وقد ورد في عمصدر مؤكد انتصب عن قوله ﴿ وَامَنَا بِاللّهِ ﴾ كقوله: وعد الله، وقد ورد في حديث رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه (٧) من رواية أشعث بن إسحاق عن

⁽۱) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (۱/ ٤٠٠) رقم (۱۳۱۲)، وإسناده ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي حميد متفق على ضعفه وَيروي عن أبي المليح عجائب. انظر: «الميزان» (۳/ ۵)، و«التهذيب» (۷/ ۹).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال». (۳) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فقلت» المجادة

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير» و«تفسير ابن أبي حاتم»، وفي الأصل: «حجرته»!

⁽٥) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥) رقم (١٣١٢)، والمثبت من «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «وقد تقدم»!!

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «والسدي نحو ذلك»، وانظر تخريج هذه الآثار في: «تفسير ابن جرير» (١/٥٧٠، ٥٧١)، و«المجالسة» للدينوري (١٤٦٤، ١٤٦٥) عن قتادة وابن كثير ـ بتحقيقي)، و«العجاب» لابن حجر (٢/٣٨٣)، و«الدر المنثور» (٢/٣٤٠)، ولعلي القاري رسالة مفردة فرغت من تحقيقها قديماً بعنوان «صنعة الله في صبغة الله».

⁽۷) أخرجه ابن أبي حاتم «تفسيره» (۱۳۲۳) (۱/۳۰۳) ومن طريقه أبو الشيخ في «العظمة» برقم (۱۳۸) (۱/۲۵).

وعزاه ابن حجر في «العجاب» (١/ ٣٨٤) لابن مردويه، وهو عند الضياء في «المختارة» =



سعيد بن جبير عن ابن عباس أن نبي الله موسى على قال: إن بني إسرائيل قالوا: يا رسول الله هل يصبغ ربك؟ فقال: اتقوا الله، فناداه ربه: يا موسى سألوك: هل يصبغ ربك؟ فقل: نعم. أنا أصبغ الألوان الأحمر والأبيض والأسود والألوان كلها من صبغي، وأنزل الله على نبيه على نبيه على ألله ومن ومن ومن أحسن من من صبغي، وأنزل الله على نبيه على ألله وهو في رواية ابن أبي حاتم موقوف. وهو أشبه إن صح إسناده والله أعلم (۱). اه.

قال صاحب «الكواشف» (ص٣٧):

«الإيمان بكتب الله هو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق وصدق، ولا يعلم عددها إلا الله، وأنه يجب الإيمان بها جملة إلا ما سمى منها، وهي: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وموسى.

قال الله تعالى: ﴿ زَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيُّهِ وَأَزَلَ ٱلتَوْرَلَةَ وَٱلإِنجِيلَ عَن قَبْلُ هُدَى لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وقال: ﴿ وَمَانَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: الله عندا فَهُ مُنكَ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] وقال: ﴿ وَمَانَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ وقال: ﴿ وَمَالَ فَهُ مُنكَ فَلُ اللهِ عَلَى اللهُ حُنهُ اللهِ عَلَى اللهُ حُنهُ اللهِ عَلَى اللهُ حُنهُ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ وَالْعَلَى: ١٨، ١٩].

فيجب الإيمان بها على التفصيل والبقية إجمالاً، ويجب مع الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله الإيمان بأن الله تكلم به حقيقة كما تكلم بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله، وأنه المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل والتحريف، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحَنُ نَزَّلْنَا ٱلدِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَنِظُونَ ۞ [الحجر: ٩] وقال: ﴿لَا عَنْ خَلْفِةً مَنْ مَرْيَعٍ جَمِيدٍ ۞ [فصلت: ٤٢].

ومنزلة القرآن من الكتب المتقدمة كما ذكر الله فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا اللَّهِ عَلَيْهُ ﴿ وَأَنزَلْنَا اللَّهِ اللَّهِ عَلَيْهُ ﴾ [المائدة: ٤٨] وَلَكِ الْكِتَبُ وَمُهَيّّمِنًا عَلَيْهُ ﴾ [المائدة: ٤٨] وقال: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْصِيلَ

^{= (}۱۱۰/۱۰۰) رقم (۱۰۷)، **وإسناده حسن**، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص۳۸).

⁽ملاحظة) في مصادر التخريج بين (أشعث) و(ابن جبير): "جعفر بن أبي المغيرة" وسقط من "تفسير ابن كثير" ولذا لم يرد له ذكر عندنا.

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۰۳/۲ ـ ۱۰۵).



ٱلْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ مِن رَّبِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿ إِيونَسَ: ٣٧] وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَعَ وَلَكِتُ لَا رَبَّ فِيهِ مِن رَّبِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ وَلَكِ نَ تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَكَذَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

قال المفسرون: مهيمناً مؤتمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب ومصدقاً لها، يعني: يصدق ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل، فما شهد له بالصدق فهو المقبول وما شهد له بالرد فهو المردود، وله يخضع كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه، قال الله تعالى: ﴿ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَنذَكَّرُوكَ ﴿ اللَّهِينَ ءَالْيَنَهُمُ ٱلْكِنَبَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿ وَلِذَا يُنْكِى عَلَيْهِمْ قَالُوٓا مَامَنَا بِهِ عِلَهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّيِّناً إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ، مُسْلِمِينَ ﴿ الْفُصَصِ: ٥١ - ٥٣]، ويجب على كل أحد اتباعه ظاهراً وباطناً والتمسك به والقيام بحقه، قَالَ الله تَعَالَى (١): ﴿ وَهَلَذَا كِلْنَابُ أَنْزَلْنَهُ مُبَارَكُ فَأَتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْخَمُونَ ﴿ اللَّهِ مُا اللَّهِ تَعَالَى اللهِ تَعَالَى اللهِ تَعَالَى اللهِ تَعَالَى اللهِ تَعَالَى اللهِ تَعَالَى اللهُ تَعَالَى اللهُ تَعْلَى اللهُ تَعْلَى اللهُ تَعْلَى اللهُ تَعْلَى اللهُ تَعْلَى اللهُ عَلَى اللهُ تَعْلَى اللهُ تُعْلَى اللهُ تُعْمُ اللهُ تُعْلَى اللهُ تَعْلَى اللهُ تَعْلِي اللهُ اللهُ اللهُ تَعْلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ تَعْلَى اللهُ اللّهُ اللّ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى (٢): ﴿ أَتَبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن زَّبِّكُو ﴾ [الأعراف: ٣]، وأوصى النبي ﷺ بكتاب الله فقال: «خذوا بكتاب الله وتمسكوا أيه» (٣٠) وفي حديث على مرفوعاً: «إنها ستكون فتن» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله»(٤) وذكر الحديث، ومعنى التمسك به والقيام بحقه يحفظه، وتلاوته، والقيام به آناء الليل والنهار، وتدبر آياته، وإحلال حلاله (٥)، وتحريم حرامه، والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، والوقوف عند حدوده، والذب عنه؛ لتحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها، والدعوة إليه على بصيرة . . .

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «تعالى».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «تعالى».

⁽٣) أخرجه الدارمي (٣٣٥٩)، وأحمد (٣٦٦ ـ ٣٦٦)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ﷺ (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم.

⁽٤) أخرجه الدارميّ (٣٣٧٤)، وابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠) برقم (١٠٠٥٦)، والترمذي في «ثواب القرآن» (٢٩٠٨)، باب ما جاء في فضل القرآن، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩٣٥، ١٩٣٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٨١)، وهو صحيح عنه موقوفاً. انظر تعليقي على: «الموافقات» (١٨٥١ ـ ١٨٥) للشاطبي.

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «حلاله».



وفي «جواب أهل العلم والإيمان»(١):

"السلف متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، وهو أعلى منها درجة، فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً وبين الأدلة والبراهين على ذلك، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبين ما حُرّف منها وبُدِّل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبيَّن أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت (٢) به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما قبله من الكتب من وجوه متعددة (٣)، فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرّف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات، وكذلك معنى الشهادة والحكم يتضمن إثبات ما أثبته الله من صدق ومحكم، وإبطال ما أبطله من كذب ومنسوخ (١٤)، ثم إنه معجز في نفسه لا يقدر الخلائق أن يأتوا بمثله.

ففيه دعوة الرسول وهداية (٥) الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته، وفيه ما جاء به الرسول، وفيه أيضاً من ضرب الأمثال وبيان الآيات على تفضيل ما جاء به الرسول، ما لو جمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن.

ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون من أصناف العلماء في أصناف العلوم والفنون لم يجد عندهم إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم (٢) تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر ولا كتاب آخر، فضلاً عن أن تحتاج شيئاً لا يستقل بنفسه عن (٧) غيره سواء كان من علوم النقل أو علوم العقل، ولله الحمد».

⁽١) انظر: «جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمٰن من أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَــُدُ ۚ ۞﴾ تعدل ثلث القرآن» (ص٦٥ ـ ٦٦) بتصرف واختصار.

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «جاء». (٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «متعدد».

⁽٤) بعدها في «جواب أهل العلم والإيمان»: «وليس الإنجيل مع التوراة ولا الزبور بهذه المثابة، بل هي متبعة لشريعة التوراة إلا يسيراً نسخه الله بالإنجيل، بخلاف القرآن...».

⁽٥) تحرفت في مطبوع «جواب العلم»: «وهو آية»!

⁽٦) في مطبوع «الكواشف الجلية» بدون: «لم».

⁽V) في مطبوع «الكواشف الجلية» و «جواب أهل العلم» بدون: «عن».



وقال: "ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل أو الحس إلا وفي القرآن بيان معناه، فإن القرآن جعله الله شفاء لما في الصدور وبياناً للناس، فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك لكن، قد تخفى آثار الرسالة في بعض الأمكنة والأزمنة حتى لا يعرفوا ما جاء به الرسول، أما أن لا يعرفوا اللفظ^(۱) ولا يعرفوا معناه فحينئذ يصيرون في جاهلية بسبب عدم نور النبوة، ومن هنا^(۲) يقع الشرك وتفريق الدين شيعاً كالفتن التي تحدث بالسيف، فالفتن القولية والفعلية من الجاهلية؛ بسبب خفاء النور عنهم، فإذا انقطع عنهم^(۳) نور النبوة وقعوا في ظلمة البدع وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم»⁽³⁾.

(m)

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية» زيادة وهي: «وإما أن يعرفوا اللفظ»، وقد سقطت من المطبوع.

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «ههنا».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن الناس».

⁽٤) انظر: «الكواشف الجلية» (٢٧ ـ ٢٩).





-00000000000000



الإيمان بالأنبياء والرسل

قال تعالى في سورة الحج الآية [٥٢]: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولِ وَلَا نَبِي إِلَا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ اللَّهُ عَلَيْمٌ عَلَيمٌ اللَّهُ عَلَيْمٌ الللَّهُ عَلَيْمٌ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمٌ اللَّهُ عَلَيْمٌ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ الللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ الللَّهُ عَلَيْمُ الللَّهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ الللَّهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللَّهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ الللْهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللللْهُ عَلَيْمُ اللْهُ عَلَيْمُ الللللْهُ الللّهُ عَلَيْمُ الللللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ الللّهُ عَلَيْمُ الللللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ عَلَيْمُ اللللّهُ عَلَيْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الل

قال القاسمي: «﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَنُ فِيَ أَمْنِيَّتِهِ ﴾ أي: بما يصد عنها، ويصرف المدعوين عن إجابتها ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَنُ ﴾ أي: يبطله ويمحقه ﴿ ثُعَّ الله عُيْمُكُ فِي السَّيْطَانُ ﴾ أي ينفعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُ فِي الله عُلِيمُ ﴾ أي ينفعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُ فِي الله ويمحه الأَرْضُ ﴾ [الرعد: ١٧] ﴿ وَالله عَلِيمُ ﴾ يعلم الإلقاآت الشيطانية، وطريق نسخها من وجه وجيه ﴿ حَكِيمُ ﴾ يحكم آياته بحكمته (١٠). اه.

قال شارح «الطحاوية» (ص١٠٥) ما نصه:

"وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، أن أمره أن يبلغ غيره، السماء، أن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، ومن (٢) لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي (٣)، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً". اه.

وقال صاحب «الكواشف» (ص٤٠) ما نصه:

«الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق

⁽١) انظر: «تفسير القاسمي» (٢١/ ٣٧). (٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وإن».

⁽٣) هذا التفريق غير مرضيّ، والمحققون من العلماء على خلافه، وثبت في "صحيح مسلم" (١٨٤٤) بسنده إلى عبد الله بن عمرو رفعه إلى النبي ﷺ قال: "إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدُلُّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم...".

فدل هذا الحديث بمنطوقه أن الواجب على النبي الدلالة والتبليغ، وأحسن الفروق - عند المحققين - أن النبي بعث للدعوة إلى شريعة رسول قبله؛ ولذا كان علماء هذه الأمة بمثابة أنبياء بنى إسرائيل.

⁽٤) انظر: «شرح الطحاوية» (١٦٧).



في معاشهم ومعادهم، اقتضت حكمة اللطيف الخبير أن لا يهمل خلقة، بل أوسل اليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، فيجب الإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل، والإيمان جملة بأن لله رسلاً غيرهم وأنبياء لا يحصي عددهم إلا الله، ولا يعلم أسماءهم إلا هو جل وعلا.

قَــالَ الله تــعــالـــى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْبَنَهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤] وعدد المذكورين في القرآن خمسة وعشرون، وهم:

آدم - ونوح - وإدريس - وصالح - وإبراهيم - وهود - ولوط - ويونس - وإسماعيل - وإسحاق - ويعقوب - ويوسف - وأيوب - وشعيب - وموسى - وهارون - واليسع - وذو الكفل - وداود - وزكريا - وسليمان - وإلياس - ويحيى - وعيسى - ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

وموضوع الرسالة التبشير والإنذار (١٦ قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئُلُولِينَ وَمُنذِرِينَ لِئُلُولِينَ وَمُنذِرِينَ لِئُلُولُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِّ﴾ [النساء: ١٦٥].

والحكمة في ذلك دعوة أممهم إلى عبادة الله وحده قال تعالى: ﴿وَلَقَدُ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَلَجْنَابُوا الطَّاعُونَ ﴾ [النحل: ٣٦]

وأفضل المرسلين أولو العزم وهم المذكورون في سورة الشورى، قال تعالى: ﴿ فَرَيْمَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِدِ، نُوحًا وَالَّذِى آوَحَيْمَ الْكُلُ وَمَا وَصَيْنَا بِدِ، الْمَالِينِ وَعُوسَىٰ وَعِيسَى الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِدِ، نُوحًا وَالْذِى آفَخَيْمًا إِلَيْكُ وَمَا وَصَيْنَا بِدِهِ إِلْرَهِمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْمَ ﴾ [الاحزاب: ٧] وأفضل أولياء الله أنبياؤه (٢)، وأفضل أنبيائه المرسلون، وأفضل المرسلين أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد على خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا (٣) وصاحب لواء الحمد، والحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة الذي بعثه الله بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع القيامة، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خَلْقاً وأولهم بعثاً، ومن حين

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «والتنذير».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «هم أنبياؤه».

⁽٣) بعده في مطبوع «الكواشف الجلية»: «وخطيبهم إذا وفدوا، صاحبُ المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون».



بعثه الله جعله الفاروق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون ولياً (١) إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه ظاهراً وباطناً، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو (٢) لا يتبعه فليس من أوليائه، بل من خالفه كان من أعدائه وأولياء الشيطان.

الواجب علينا للرسل^(٣)، والأشياء التي تجوز عليهم، والأدلة على صدقهم، وما أيديهم الله به: يجب علينا تصديقهم وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمروا به، وبيّنوه بياناً واضحاً شافياً كافياً، لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه.

قال تعالى (''): ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهُ ﴿ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿ مَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُندِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمُلَتَهِكِيهِ وَكُنُهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِقُ بَرَّكُ أَمَانَ اللَّهِ مَا أَنْ اللَّهُ اللَّهِ مَا أَنْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْمُولِمُ الللللْمُ الللْمُولِمُ اللللْمُولِمُ الللللْمُولِمُولِمُ اللللْمُولِمُ الللللْمُولُولُولُولُولُولَّالِمُ الللّهُ الللّهُ الللللْمُولِمُولُولُولُولُولُولُولُولُولِ

ويجب علينا الإيمان بأنهم معصومون من الكبائر، وأما الصغائر فقد تقع منهم، والكتاب والسنة يدلان على ذلك، ولكن لا يقرون عليها بل يوفَّقون للتوبة منها» (٥٠).

فصل

قال محمد تقي الدين الهلالي: عندي عشرة من التفاسير، وقد اختلفت أقوال المفسرين فبعضهم برأ الأنبياء من الذنوب وتأول ما ورد فيهم من نسبة الذنب إليهم من القرآن، وبعضهم يفهم منه نسبة الذنب إليهم من القرآن، وبعضهم يفهم منه نسبة الذنب إليهم هنا.

قال (ك) في قوله تعالى: ﴿ وَهَلَ أَتَنَكَ نَبُوُّا ٱلْخَصْمِ ﴾ في قصة داود وأوريا المنقولة من التوراة ما نصه:

«قد ذكر المفسرون لههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «ولياً لله».

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «لم».

⁽٣) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «نحو الرسل».

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «قال الله تعالى».

⁽٥) انظر: «الكواشف الجلية» (٢٩ ـ ٣٠).



عن المعصوم حديث يجب اتباعه (١)، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا

(۱) أشار المصنف كِنَّلَهُ لقِصَةِ داود ﷺ، وهي قِصَة مشهورةٌ جداً في كتب التفسير وغيرها، وحاصلها: أنَّ داود ﷺ عشق امرأةً لرجل اسمه أوريا بن حنين، فاحتال بالوجوه الكثيرةِ للحصول عليها، حتى بلغ به الحال أن قتل زوجها، فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعةٍ شبيهةٍ بواقعته، فعرف مرادهما، فاعترف بذنهه، ثمّ اشتغل بعد ذلك بالتوبة.

ويروى هذا التفسير مرفوعاً للنبي ﷺ، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٦/٦ ـ ٣٤٣ ـ ٣٤٧ رقم ٣١٨٨٥ ـ علمية) من حديث علي بن زيد، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس مرفوعاً، وهذا لا يصع من جهة علي بن زيد وهو ابن جدعان، ضعيف، ثم هو منكر. وأخرجه ابن قدامة في «التوابين» (ص٣١) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة مرفوعاً، وهو منقطع، فيحيى لم يسمع من أبي هريرة، ولذلك ضعفه ابن الجوزي في «زاد المسير»، وابن كثير، وغيرهما.

وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٢٨/١٠)، وابن جرير (٢٣/ ١٥٠ _ ١٥١)، والحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" _ كما في "تفسير القرطبي" (١٥٠/٥)، و«الدر المنثور» (٥/ ٣٠٠) _ من حديث أنس رفي مرفوعاً، وفيه يزيد الرقاشي وابن لهيعة، وقد ضعفه ابن كثير في "تفسيره" (٤/٤٪)، والسيوطي في "الإكليل" (ص٢٢١)، وشيخنا الألباني في "السلسلة الضعيفة" رقم (٣١٣).

ويروى الخبر عن ابن عباس رفيه، وغيره من السّلف موقوفاً؛ أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٦٢ _ ١٦٣)، وابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٧/ ٩٠ _ ٩١) رقم (٣٤٢٣) _ ومن طريقه الجصّاص في «أحكام القرآن» (٥/ ٢٥٤) _، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٨٠ _ ٥٨٥)، والطبريُّ في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٠ _ ٥٧٥) رقم (٢٩٨٥٢، ٣٩٨٥٣، ٥٠٠ والطبريُّ في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٨٠ _ ٤٨٤)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٨/١ _ ١٩٨) رقم (١٩، ٢٠، ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٨ _ ٣٢٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٨١ «مختصره») _ وهو في «الجزء المفقود من ترجمة داود ﷺ، انظر منه (١٠/ ١٠٩، ط. الفكر) _ وابن المنذر، وعبد بن حميد، وهنّاد بن السّري كما في «الدرّ المنثور» (٥/ ١٥ و ١٠٥).

وهو خبرٌ مشهورٌ جدّاً ذكره جمعٌ كثيرٌ من المفسرين مثل: الواحدي في «الوسيط» (7 / 8)، والسمرقندي في «بحر العلوم» (7 / 177 – 177)، والبغويُّ (7 / 8)، وابن الجوزي (7 / 9)، والجصّاص (7 / 9)، وأبو حيّان (7 / 9)، والقرطبي الجوزي (7 / 9)، والراري (1 / 9)، والزمخشري (7 / 8)، وابن حبيب العامري في «أحكام النظر» (9 / 9 /

وذكر هذه القصّة: ابن قدامة في «التوابين» (ص٣٢ ـ ٣٣)، وابن الملقن في «قصص الأنبياء» (ص٢١٩ ـ ٩٩)، والمارودي الأنبياء» (ص٢١٩ ـ ٩٩)، وابن النّحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٩٧ ـ ٩٩)، والمارودي في «النكت والعيون» (٥/ ٨٥ ـ ٨٦)، وغيرهم، وبعضهم يزيدُ بأنّه نكحها وأنجب منها =



= سليمان ﷺ، كما في «أنوار الننزيل» (٣١٠/٢) للبيضاوي، و«محاضرة الأبرار» (١/ ١٢٢) لابن عربي، و«حاشية الصاوي على الجلالين» (٥/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

وقد تلقى أهل العلم هذا الخبر بالردِّ والتكذيب، لعدم صحَّته أولاً، ولمنافاته لعصمة الرُّسل وجناب النبوّة، ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أنّ الأنبياء على معصومون عن مثل هذه الذنوب المقترنة بفساد الخلق المنطوي على الخِسَّة وأنواع الدناءة من الحسد، وغيره من الآفات الذميمة، ولو جوّزناه على الأنبياء، لبطلت الشرائع، ولفسدت الأديان، ولهذا أحسن الحافظ ابن كثير لما أعرض عن ذكرها في «تاريخه» (١١/٢)، و«تفسيره» (٤/٣٤) بل قال _ ونقله عنه المصنف _: «ذكر المفسرون لههنا قصّة أكثرها من الإسرائيليّات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتباعه».

وقال السيوطيُّ في «الإكليل» (ص٢٢٠ ـ ٢٢١): «قال تقي الدين السُّبكي في كتابه «القول المحمود في تنزيه داود» ـ ومن خطِّه نقلتُ ـ: تكلّم النّاس في قصّةِ داود وأكثروا وذلك مشهورٌ جدًا، وذكروا أموراً منها ما هو منكرٌ عند العلماء، ومنها ما ارتضاه بعضهم وهو عندى منكر». قلت: وكتاب السبكي مطبوع.

وقال البيضاويّ في «أنوار التنْزِيل» (٣١٠/٢): «وما قيل: إنّه أرسل أوريا إلى الجهاد مراراً، وأمر أن يقدّم حتى قُتل، فتزوّجها، هزءٌ وافتراءٌ، ولذلك قال عليٌّ ﴿ الله على ما يرويه القُصاص، جلدته مِئةً وستينَ جَلْدَةً».

وفي «المحرر الوجيز» (٤٩٩/٤) لابن عطيّة: «في كتب بني إسرائيل في هذه القِصّة صورٌ لا تليق، وقد حدّث بها قُصَّاصٌ في صدر هذه الأُمّة، فقال علي ﷺ: من حدّث بما قاله هؤلاء القصّاص جلدته حَدَّيْن؛ لما ارتكبه من حرمةٍ في حقّ من رفعه الله ﷺ.

وكذلك انتصر لردّها الرّازيُّ في كتاب «مفاتيح الغيب» (١٩٠/١٣ ـ ١٩٣) وسرد جملةً من البراهين القاطعة، فانظره ـ غير مأمور ـ فهو غايةٌ في النّفاسة، ولولا الإطالة لأوردناه كاملاً، وممّن أحسن في ردِّ هذه الفرية: أبو حيان في «البحر» (٧/ ٣٩٤)، والزمخشري في «الكشّاف» (٤/ ٨٢ ـ ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١١٦ / ١١١) ومن قوله كَاللهُ: «فأمّا ما روي أنّه نظر إلى المرأة فهَويَها وقَدَّم زوْجها للقبّل، فإنّه وجُهٌ لا يجوزُ على الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء لا يأتون المعاصى مع العلم بها».

وفي «الشِّفا» (٢/ ١٠٢ _ علميّة) للقاضي عياض: «وأما قصّة داود ﷺ، فلا يجب =



أن يُلْتَفَت إلى ما سطَّره فيها الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدّلوا، وغيَّروا، ونقله بعض المفسّرين، ولم ينصّ الله على شيءٍ من ذلك، ولا وَرَدَ في حديث صحيح، وقارن كلامه بما في «السيرة النبويّة في مفهوم القاضي عياض» (ص٥٣٥ ـ ٥٤٣) لأحمد جمال العمري.

ثمّ نقل عن الدّاوديِّ كِثَلَقُهُ أنّه قال: «ليس في قصّة داود وأوريا خبرٌ يثبُتُ».

وانظر: «اللَّباب» (٣٣/٣) للخازن، و«محاسن التأويل» (٦/ ٩١ - ٩٤) للقاسمي، و«التحرير والتنوير» (٩٤ - ٩١) للبن القيم، والتنوير» (١٣٦/ ١٣٦ - ١٣٦) لابن القيم، و«مدارك التنزيل» (١٨٥/ ٥٨٥ - ٥٩) للنسفي، و«نظم الدرر» (١٦١/ ٣٦١ - ٣٦٢) للبقاعي، و«إرشاد العقل السليم» (٧/ ٢٢٢ - ٢٢٣) لأبي السعود، ومن كلامه تَطَلَّهُ: «وأمّا ما يذكر عن داود على . . . فإفك مبتدع، ومكروة ومكر مخترع، بنسما مكروه تمجّه الأسماع، وتنفر عنه الطباع، ويلٌ لمن ابتدعه، وأشاعه، وتباً لمن اخترعه، وأذاعه».

وفي "مختصر منهاج القاصدين" (ص٢٩) لابن قدامة ﷺ: "ومن تشاغل في وعظه بذكر قصص الأولين، فليعلم أنّ أكثر ما يُحكى في ذلك لا يثبت، كما ينقلون أنّ يوسف علي حلّ تكته، وأنّه رأى يعقوبَ عاضاً على يديه، وأنّ داود جهّز أوريا حتى قُتِل، فمثل هذا يَضُرُّ سماعه».

وقال شيخنا الألباني تَغَلَّهُ في "السلسلة الضعيفة" رقم (٣١٣): "وقصة افتتان داود عَلِي بنظره إلى امرأة الجندي (أوريا) مشهورة مبثوثة في كتب قصص الأنبياء، وبعض كتب التفسير، ولا يشك مسلم عاقل في بطلانها؛ لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ مثل: محاولته تعريض زوجها للقتل، ليتزوَّجها من بعده! وقد رُويَتْ هذه القصة مختصرةً عن النبي عَلَي فوجب ذكرها والتحذير منها". وقال أيضاً:

«قلت: والظاهر أنها من الإسرائيليات التي نقلها أهل الكتاب الذين لا يعتقدون العصمة في الأنبياء أخطأ يزيد ـ بعض رواة حديث أنس ـ فرفعها إلى النبي ﷺ.

وفي هذا الحشد من كلام الأثمة من الحفّاظ، والمفسرين، وغيرهم ما يكفي لردِّ هذه الفريّة والحمد لله، وللأخ أبي أنس السيّد بن عبد المقصود رسالةٌ مفردة مطبوعةٌ بعنوان: «سوط الملك المعبود، على من اتهم نبيّ الله داود» كما أشار لها في تعليقه على «مدارك التنزيل» (٤/ ٥٩)، وطبع في مصر سنة ١٩٩٣م كتاب «تحرير المقال في براءة داود على التنزيل» لعبد الحميد شحاته، ومن محفوظات الظاهرية: «الظل الممدود في الذبّ عن نبي الله داود» للبعلي، وانظر في ردِّها والتنبيه على وضعها عير ما تقدّم _: «فيض الباري على داود» للبعلي، وانظر في ردِّها والتنبيه على وضعها والموضوعات» (٣٦٩) للشيخ محمد صحيح البخاري» (٤/ ٣٦٩)، و«الإسرائيليات والموضوعات» (٢١٤) لرمزي نعناعة، و«دراسات أبو شهبة، و«الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» (٢١٤) لرمزي نعناعة، و«دراسات تاريخية من القرآن الكريم» (٣/ ٤٣ _ وما بعدها) لمحمد بيومي مهران، ومقدّمة «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (١/ ١٤٣ _ وما بعدها)، وكتابي «من قصص الماضين» (ص ٤٢٥ _ ٤٢).



يصح سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يردَّ علمها إلى الله ﷺ، فإن القرآن حق وما تضمنه (١) حق أيضاً »(٢).

قال محمد تقي الدين: وأنا أرجح مذهب القائلين بالتأويل وأعتقد عصمة الأنبياء كلهم من الذنوب الصغائر والكبائر، وتسمية بعض أعمالهم ذنوباً هي من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين) والأدلة على ذلك كثيرة نذكر قليلاً منها، فمن ذلك: حكم النبي على لبني أبيرق بالبراءة (٣) اجتهاداً منه لما لم يقم دليل على أنهم سرقوا، فعاتبه الله على ذلك وأمره بالاستغفار. انظر بسط هذه القصة في (القسم الثاني) من «سبيل الرشاد» في (الباب الرابع) من (سورة النساء).

وكذلك قصة أسارى بدر، وقد ذكرها الله تعالى في آخر سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿مَا كَاكَ لِنَيْ أَن يَكُونَ لَهُ أَسَرَىٰ حَنَى يُنْخِكَ فِي ٱلأَرْضُ ﴾ [الأنفال: ٢٧] فقد عاتب الله نبيه ﷺ على أخذ الفدية من أسارى بدر وقال له: ﴿لُولًا كِنَبُ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيما أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ إللهٰ اللهٰ اللهٰ اللهٰ عمران ﴿وَشَاوِرَهُم فِي اللهٰ اللهٰ اللهٰ اللهٰ اللهٰ عمران ﴿وَشَاوِرُهُم فِي الْأَمْنِ ﴾ [الأنفال: ٢٨] مع أن النبسي ﷺ اللهٰ ألمَني الله المه يأمره فيه بشيء، فأشار أكثرهم بأخذ الفدية من الأسارى وإطلاق سراحهم وهذا ليس فيه أي ذنب، وكذلك قوله تعالى في سورة السوبة الآية ٢٦ : ﴿عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَى يَتَبَيّنَ لَكَ ٱلّذِيكَ الّذِيكَ مَن المُعْوف في غير ما آية، قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٠٩ : ﴿وَدَ كَثِيرٌ مِن الله تعالى بالعفو في غير ما آية، قال تعالى في سورة البقرة الآية عَلَى عَند أَمْره الله تعالى بالعفو في غير ما آية، قال تعالى في سورة البقرة الآية عَلَى عَنْ بَعْدِ مَن بَعْدِ مَا نَبَيْنَ لَهُمُ الْحَقُ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا وَاصْفَحُوا عَنْ يَأْتِينَ لَهُمُ الْحَقُ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا عَنْ يَأْتِي اللهُ إِنْ الله عَلَى عَنْ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ مَن المُنْ الْمُنْ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ أَلْمَ عَنْ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ عَنْ اللهُ ال

وقال تعالى في سورة المائدة الآية ١٣: ﴿ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآبِمَتُو مِنْهُمُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمُ قَاعَفُ عَنْهُمُ وَاصْفَحُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

وآية التوبة نزلت في المنافقين، لما عزم النبي ﷺ على الخروج لغزوة تبوك دعا الناس كلهم لذلك، فاعتذر له المنافقون بأعذار كاذبة، فقبل ظواهرهم

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «تضمن فهو».

⁽۲) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۱۲/ ۸۱ _ ۸۲).

⁽٣) مضى تخريجه.



واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، وهذا ليس بذنب، ويقاس على هذا ما أشبهه، وعندي دليل نظري هو حجة قاطعة، وذلك أن الرسول لو جاز عليه ارتكاب الذنوب وقد أمرنا الله باتباعه اتباعاً مطلقاً، فإذا عمل ذنباً كنا مأمورين باتباعه فيه، ومنهيين عنه، فيقع التناقض، وهو الأمر بالشيء والنهي عنه في وقت واحد، فكأن الله يقول: اتبعوه ولا تتبعوه، فطريق السلامة هو تبرئة الأنبياء من الذنوب صغيرها وكبيرها، والله أعلم. اه.

وقال صاحب «الكواشف»: «ويجب احترامهم وأن لا يفرق بينهم، ويجب الاهتداء بهديهم والائتمار بأمرهم، والكف عما نهوا عنه، ويجبُ الاعتقاد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأصدقهم وأبرهم وأكملهم أخلاقاً، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد وبرَّأهم من كل خلق رذيل، ويجب محبتهم وتعظيمهم، ويحرم الغلو فيهم ورفعهم فوق منزلتهم، ويجوز في حقهم شرعاً وعقلا النوم والنكاح والأكل والشرب والجلوس والمشى والضحك وساتر الأعراض البشرية التي لا تؤدي(١) إلى نقص في مراتبهم العلية، فهم بشر يعتريهم ما يعتري سائر أفراده فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، وتمتد إليهم أيدي الظلمة وينالهم الأذى(٢)، وقد يقتل الأنبياء كما أخبر الله بذلك في كتابه بقوله سبحانه: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنْلِيَآهَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١١٢] ومن الأدلة على ما ذكرنا أولاً من أنه يجوز في حقهم أشياء قوله تعالى: ﴿وَمَّا أَرْسَلْنَا قَبْلُكَ مِنَ ٱلْمُرْسَكِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُوكَ ٱلطَّعَكَامَ وَيَكَمُّسُونَ فِي ٱلْأَسُواقِيُّ ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال عن أمن قائل: ﴿ فَمَا الْمَسِيحُ ابْثُ مَرْيَدَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُم صِدِّيقَةً حَكَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامُّ ﴾ [المائدة: ٧٥] وقال ﷺ: «لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء»(٣). وكان على يا يمرض ويتألم ويشتكي، وكان يصيبه الحر والبرد، والجوع والعطش، والغضب والضجر والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه.

وأما الأدلة على صدق الرسل فكثيرة(٤)، أعظمها شهادة الله لهم بأنهم

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «يؤدى».

⁽۲) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الاضطهاد».

⁽٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١) من حديث أنس المناح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١) من حديث أنس المناح لمن تاقت نفسه إليه (١٤٠١) من حديث أنس المناطقة المناطقة

⁽٤) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فكثير».



صادقون، قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِدِيَّ أُولَيَتِكَ هُمُ ٱلْمُنَّقُونَ ﴿ ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقال عز شأنه: ﴿هَلَا مَا وَعَدَ ٱلرَّمْنَ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٦] وقال عز من قائل في (١) من قائل في (١) إسماعيل ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] وقال في (١) إبراهيم: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نِّينًا﴾ [مريم: ٤١] إلى غير ذلك من الأدلة» (٣). اهـ.

البحث في المعجزات

قال شارح «الطحاوية»:

"ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قاله (3) حسان (٥):

لولم تَكُن فيه آياتٌ مُبَيَّنَةٌ كانت بديهتُهُ تأتيك بالخَبَرِ

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بدّ أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بدّ أن يفعل أموراً؛ يبيّن بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه، وما يفعله ما يتبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب _ لا بدّ أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، كما في «الصحيحين» (٧) عن النبي عليه أنه

⁽١) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن». (٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «عن».

⁽٣) انظر: «الكواشف الجلية» (٣٠).

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ما قال حسان ﴿ اللَّهُ اللَّ

⁽٥) البيت في «عيون الأخبار» (١/ ٣٢٦)، و«محاضرة الأبرار» (٢/ ٢٤٠)، و«ربيع الأبرار» (٤/ ١٥٦)، و«المجالسة» (٧٥٨/م، ٣٢٣٤)، وفي بعضها: «تنبئك» بدل «تأتيك».

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «يبين».

⁽٧) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ العَمَلِيقِينَ ﴿ التوبة: ١١٩] (٢٠٩٤) ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب =

قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى البعنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً». ولهذا قال تعالى: ﴿هَلَ أَتَهُمُ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَطِينُ فَي تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَقَالِهِ أَيْهِ فَي يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَحَنَّهُمُ كَلِيبُونَ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَطِينُ فَي تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَقَالِهِ أَيْهِ فَي كُلِ وَلِا يَهِبمُونَ فَي وَأَتَّهُمُ كَلِيبُونَ عَلَى وَالشَّعْرَاةُ يَتَبِعُهُمُ الْعَاوُنَ فَي الله أَنْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِ وَلا يَهِبمُونَ فَي وَأَتَّهُمْ كَلَيبُونَ عَلَى وَالشَّعْرَاةُ يَقُولُونَ عَلَى الله وَالسَّعْرَاءُ وَلَا الله وَاللهُ وَلَي وَلا يَهِبمُونَ فَي وَاللهُ وَلَا الله وَاللهُ وَلَي وَلا يَهِبمُونَ فَي وَلَي وَلا كَالله وَالله وَلا الله وَالله وَله وَله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَ

وبيَّن أن الشعراء يتبعهم الغاوون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وَإِن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصِدْقَه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن (٣). اه.

ثم قال صاحب «الكواشف» (ص٤٢):

«فهم أصدق الخلق على الإطلاق، عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأيدهم بالدلائل الدالة على صدقهم في دعواهم الرسالة، فمن أعلام نبوته والقرآن العظيم الذي أعجز الورى كلهم، ومثل انشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب ومعراجه إلى السماء، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وكفاية الله أعداءه وعصمته من الناس، وإجابة دعائه، وإعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة، وتأثيره في تكثير الطعام والشراب».

قال الشيخ: ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة الأنبياء به، ومثل أخبار

ت قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

⁽١) أُخَرِجه مسلم كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد (٢٩٣٠) من حديث ابن عمر.

⁽٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن، باب ذكر ابن صياد (٢٩٢٥) من حديث أبني سعيد.

⁽٣) انظر: «شرح الطحاوية» (١٥٨ _ ١٦٠).



الكهان والهواتف به، ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية في عام مولده من العجائب الدالة على نبوته، ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل إخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله من غير أن يعلمه إياها بشر (۱).اه.

وكما أيد الله موسى بالآيات البينات قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَالَيْنَا مُوسَىٰ نِسْعَ عَالَيْتِ إِلَيْنَاتِ ﴾ [الإسراء: ١٠١] وكما أيد الله سائر رسله، مع انضمام ذلك إلى أحوالهم الجليلة، وأخلاقهم الفاضلة الجميلة، من سلامة الفطرة والعفاف، والكرم (٢) والشجاعة، والعدل والنصح (٣).

الواسطة بين الله وبين خلقه

قال محمد تقي الدين: رأيت كلام العلماء المتقدمين كشيخ الإسلام ابن تيمية كَثَلَلْهُ فيه صعوبة على فهم عامة القراء، فأردت أن أبينه لهم بعبارة سهلة:

اتخاذ الوسائط بين الله وبين عباده على نوعين: الأول حق، والثاني باطل، فالأول الذي هو حق: يجب على كل مسلم أن يعتقد أن كل ما يأمر الله به عباده أو ينهاهم عنه أو يخبرهم به لا يمكن أن يُعرَف إلا من طريق الرسل، وذلك كالأحكام الخمسة: الواجبات، والمستحبات، والحلال، والحرام، والمباح، وأخبار الأمم السابقة، وأمور الآخرة كسؤال القبر والحساب والميزان والحوض والصراط ودخول الجنة ونعيمها ودخول النار وعذابها، والملائكة، فكل من أخبر بشيء من ذلك من غير طريق الكتاب والسنة يجب علينا أن نكذبه كالمتصوفة الذين يقولون: قال الله كذا وكذا، وقلت له كذا وكذا، ورأيت النبي عقلة وأخبرني بكذا وكذا أو غيره من الأنبياء أو يقول: إذا قال لك المحدث: حدثني أبي عن جدي فقل له: حدثني قلبي عن ربي، فهذا كذب وضلال، مَنْ صدّقه فقد كذّب الله ورسوله، وإذا عرفت أيها القارئ هذه القاعدة فإنك تسلم من الوقوع في شباك الدجاجلة الذين يسلبون الدين والعقل والعرض والمال بمثل هذه الحيل.

⁽١) الظاهر أن من قوله: «قال الشيخ...» إلى هنا، من إملاءات العلامة الهلالي _ رحمه الله تعالى _.

⁽٢) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «الكرام»، والمثبت هو الصحيح.

⁽٣) انظر: «الكواشف الجلية» (٣٠ ـ ٣١).



والنوع الثاني: اتخاذ وسائط بين الناس وبين الله في جلب الخير، كنزول المطر وشفاء المرض وتنوير القلوب وإصلاحها وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ودفع الضرر، فاتخاذ الوسائط بهذا المعنى شرك وكفر بالله، ومن ذلك: الاستغاثة عند الشدائد بالأنبياء والملائكة والصالحين ودعاؤهم والذبح والنذر لهم والحلف بأسمائهم والتوكل عليهم في جلب الخير ودفع الشر والاستمداد من أرواحهم والخوف والرجاء منهم، وأعظم من ذلك اعتقاد أنهم يتصرفون في العالم، وقد تقدم ذلك مبسوطاً في (القسم الأول) من هذا الكتاب، وكل ما أخبر به الأنبياء والرسل عموماً وخصوصاً، أفضلهم وسيدهم محمداً رسول الله على، إذا ثبت بالكتاب أو بالسنة أو بأحدهما فهو حق يقبله العقل الصحيح ويفهمه ولا يتنافى معه أبداً، ومن شك فيه فهو فاسد العقل أو كذاب جاحد مكابر،

عدد الأنبياء والرسل والكتب المنزلة

ذكر الحافظ (ك)(١) في تفسير الآية ١٦٤ من سورة النساء: ﴿وَرُسُلاً قَدَّ وَصَمْنَهُمْ عَلَيْكَ ﴾ الآية أحاديث كثيرة متناقضة، قَصَمْنَهُمْ عَلَيْكَ ﴾ الآية أحاديث كثيرة متناقضة، فأكثر ما ذكر في عددهم أن الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر. وفي حديث: وخمسة عشر، وفي حديث أن الرسل ثمانية آلاف وفي حديث آخر أنهم ألف. وأطول هذه الأحاديث حديث أبي ذر رواه أحمد (٢) وغيره، والمختار التوقف في عددهم لما تقدم، وللآية المذكورة وآية

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧٦).

⁽۲) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وابن سعد (٢/ ٣٢)، والنسائي (٨/ ٢٧٥)، والبزار (٢٠٥٠) . وابن حبان (٢٠٥١)، وفي «الأوسط» (٤٧١٨)، وابن حبان (٣٦١)، وفي «المجروحين» (٣/ ١٦٥)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩٩٧)، والحاكم (٢/ ٢٦٢)، وأبو نعيم (١٦٨/١)، والبيهقي (٩/٤) من طرق فيها مقال عن أبي ذر ولفظ أحمد: «قال أبو ذر: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاث مئة وبضعة عشر، جماً غفيراً» وقال مرة: «خمسة عشرة».

وفي بعض الروايات زيادة: «قال: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»»، وهذا لفظ الآجرى.

وإسناد أحمد ضعيف جداً، وانظر: «الضعيفة» (٣٨٣/٤) وأما قوله: وفي حديث: «أن الرسل ثمانية آلاف...».

فقد أخرج أبو يعلى (٤٠٩٢)، والحاكم (٢/٥٩٧)، والطبراني في =



سورة غافر الآية ٧٨: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْفِى بِعَايَةٍ إِلَّا بِإِذِنِ اللّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللّهِ قَضِى بِالْحَقِيقِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿ وَمِن الآيتين نعلم يقيناً أَن الله تعالى لم يقص على النبي على الرسل، فكيف يمكن أن يبين عددهم وهو لا يعلم إلا بعضهم؟ وكذلك الكتب السماوية جاء في أحد تلك الأحاديث أن عددها مائة وأربعة (١) ثم ذكر تفصيلها، ونحن نكل علم عددها وتفصيلها إلى الله تعالى ونؤمن بجميع ما أنزله الله من الكتب إجمالاً وما ذكره الله لنا بالتفصيل أربعة: التوراة لموسى، والإنجيل لعيسى، والزبور لداود، والقرآن لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

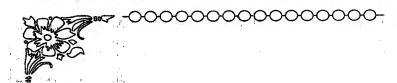
^{= «}الأوسط» (٧٧٤)، وأبو نعيم (٣/ ٥٣)، وابن كثير في «التفسير» (٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) من حديث أنس رفعه: «بعث الله ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف إلى بني إسرائيل، وأربعة آلاف إلى سائر الناس».

وإسناده ضعيف جداً، فيه يزيد الرقاشي وغيره من الضعفاء، وانظر _ لضعفه _: «المجمع» (٨/ ٢١٣)، «المطالب العالية» (٣/ ٢٧٠) رقم (٣٤٥٥).

وأما قوله وفي حديث آخر: «إنهم ألف» فيدل عليه ما أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٢٨)، وابن سعد (١/ ١٥١)، والبزار (٣٣٥ ـ زوائده)، وأبو نعيم (٣٣٤/٤)، والبزار (٣٣٥ ـ زوائده)، وأبو نعيم (١٨٤/٤)، والبزار مجالد عن الشعبي عن أبي سعيد الخدري رفعه: «إني لخاتم ألف نبي أو أكثر»، وإسناده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد، واستغربه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٨٣/٢).

⁽١) ورد ذلك في حديث أبي ذر السابق ذكره.







الإيمان بالبعث وما بعده

قال (ك): "يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون: ﴿فُلْ بَلَى وَرَقِي لَنْبَعَثُنَّ ثُمَّ لَنُبَتَوْنَ بِمَا عَلِمَمُّ أَي: لتُخبَرُنَّ بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها ﴿وَذَلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرُ ﴾ أي: بعثكم ومجازاتكم.

وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله على أن يقسم بربه الله على وقوع المعاد ووجوده.

فالأولى: في سورة يونس: ﴿ ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُ هُوَّ قُلْ إِى وَرَبِيّ إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَشُم بِمُعْجِزِينَ ﴿ ﴾ [يونس: ٥٣].

والثانية: في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِي

والثالثة: هي هذه الآية ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَقِ لَتُبْعَثُنَ ثُمُ لَلْبَتُونَ عِلَمَ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ ﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿فَنَامِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ، وَالنُّورِ الّذِى آنَزَلْنَا ﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيِدٌ ﴾ أي: فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيُوْمِ الْجَمْعُ ﴾ وهو يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون



والآخرون في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى: ﴿ وَالآخِرُونَ فَي صَعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى: ﴿ وَالَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللّلْمُ الللَّا اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

وقوله تعالى (١): ﴿ وَالِكَ يَوْمُ ٱلنَّغَابُنُ ﴾ قال ابن عباس: هو (٢) من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار، وكذا قال قتادة ومجاهد (٣)، وقال مقاتل بن حيان (٤): لا غُبنَ أعظمُ من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويُذْهَبُ بأولئك إلى النار، قلت: وقد فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيَعْمَلَ صَلِحًا يُكُفّرُ عَنّهُ سَيّانِهِ وَهُدْ خِنْتٍ تَجَرِى مِن تَحْبَهَا ٱلْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبُداً ذَلِكَ ٱلْفَوْرُ ٱلْعَظِيمُ وَٱلّذِينَ فِيهَا أَبُداً وَلِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ كَلْوِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ كَالِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿ كَالتِعابِن وَهُ اللّه الله عَيْمُ مَرة » (١٠) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة » (٥). اهـ.

قال شارح «الطحاوية» ص٤٥٦:

«وقوله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب والصراط والميزان».

قال (ش): الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه (٦) في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكريه في غالب سور القرآن.

وذلك: أن الأنبياء على كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد على لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفى؛ بيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «هو اسم من».

⁽۳) أخرجه عن قتادة: عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٥١٥/١٤). وأما عن مجاهد، فأخرجه ابن أبي شيبة (٥٠٩/١٣)، وابن جرير (٢٣/١٠)، والفريابي ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٢٥٢، ٣٥٣) ـ وعبد بن حميد ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٤٣) ـ.

⁽٤) انظر: «تفسيره» (٣٥٢/٤).

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٩/١٤ ـ ٢٠).

⁽٦) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «به»!



أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بيّن معاد النفس بعد الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد عليه على طريق التخييل، وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ﷺ، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا بَعْضُكُرَ لِبَعْضِ عَدُوٌّ وَلَكُرُ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَنَعٌ إِلَى حِينِ ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُونُونَ وَمِنْهَا يُخْرَجُونَ ١٤٥ [الأعراف: ٢٤، ٢٥] ولما قال إبليس اللعين: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْفِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۞ [ص: ٧٩ ـ ٨١] وأما نوح عِلِم فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ ثُمَّ يُمِيلُكُمْ فِيهَا وَيُحْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿ ﴾ [نوح: ١٧، ١٧] وقال إبراهيم ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِي ٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيْنَتِي يَوْمَرُ ٱلدِّينِ ﴿ ﴿ إِلَى السَّعَرَاءُ: ٨٦]، إلى آخر القصة، وقال: ﴿ رَبُّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَى ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۞ [إسراهـــم: ٤١](١)، وأما مــوســى ﷺ فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ ٱلسَّكَاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسِ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَّبَعَ هَوَنهُ فَتَرْدَىٰ ﴿ وَاللَّهِ السَّا الْمَا الْمَا اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّ مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَيَنَقَوْمِ إِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ نَوْمَ النَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيْرٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ ١٠٠٠ [غافر: ٣٠، ٣٣] إلى قوله تعالى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّهَا هَاذِهِ ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنْيَا مَتَنعُ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِي دَارُ ٱلْقَكَرادِ ۞﴾ [غافر: ٣٩] إلى قوله: ﴿أَدْبِطُوَّأُ عَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَدَابِ﴾ [غافر: ٤٦]»(٢). اه.

فصل

قال محمد تقي الدين: احتجاج شارح «الطحاوية» على الفلاسفة الذين لا يصدقون الرسول على أيات القرآن على أن الرسل السابقين جاؤوا بعقيدة البعث

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ ثُحِّي ٱلْمَوْقَيُّ ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠]»، وهي ساقطة من مطبوع كتابنا «سبيل الرشاد».

⁽۲) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٥٦ ـ ٤٥٨).



مفصلة كما جاء بها محمد ﷺ فيه نظر، وقد نظرت في الكتب السابقة فلم أجد في التوراة ذكر يوم القيامة والجزاء الأخروي.

أما الأناجيل فالبعث موجود فيها، ولكن علماء النصاري ينكرون بعث الأجساد والتمتع بالأكل والشرب والجماع في الجنة، ويزعمون أن المؤمنين يشتغلون بالغناء والمعازف ويسبحون الله، وكان الأستاذ (باول كالي)(١) مدير القسم الشرقي في جامعة (بن) بالبلاد الجرمانية يهيء لنا رحلة في كل أسبوع أو أسبوعين للترويح على النفس والاستجمام، وكان هو يقوم بنفقات السفر ما عدا الأكل والشرب، وكل واحد ينفق على نفسه، وكانت هذه الرحلة تشتمل على رجال ونساء من أهل العلم والأدب، فهجم على أحدهم يوماً، وقال مستهزئاً: كيف تدعون أن في الجنة أكلاً وشرباً واستمتاعاً بالنساء فقلت له: هل يحشر الناس يوم القيامة ذكوراً فقط، أو أناثاً فقط، أو خنائي، أم يحشرون ذكوراً وإناثًا، كما كانوا في الدنيا؟؟ فقال: بل يحشرون ذكوراً وإناثًا، فقلت: فما معنى كونهم ذكوراً وإناثاً إن لم يكن استمتاع أحد الجنسين بالآخر؟ وما الحكمة في جعلهم ذكوراً وإناثاً؟ ولماذا لم يجعلهم الله كالملائكة لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة؟ فضحك عليه الحاضرون ولم يستطع جواباً، وقلت له: استمتاغكم أنتم في الجنة هو أن يعطى كل واحد عوداً يلهو به، وهذا أمر ممل فإن الإنسان لا يتنعم بالضرب على العود إلى الأبد بدون انقطاع، فجنتنا أحسن من جنتكم! فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، فاستحسنوا كلهم هذا الكلام، وبهت هذا الطاعن وبطل طعنه، وكان ذلك في سنة ١٩٣٧ بتأريخ النصاري في جبال غربي البلاد الجرمانية راين لند؛ أي بلاد راين، وهو نهر مشهور اه.

رجوع إلى البحث في المعاد

قال شارح «الطحاوية» (ص٤٠١):

«والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب وهم فيه على قولين:

⁽۱) كان صديقاً للهلالي، وترجم معه كتابين عربيين. انظر ما تقدم في ترجمة المصنف، وللهلالي ترجمة له نشرها في أول ترجمته لكتابه «مدنية المسلمين في أسبانيا» (ص١٩ ـ ٥٠، ط. مكتبة الثقافة، المغرب).



منهم من يقول: تعدم الجواهر ثم تعاد.

ومنهم من يقول: تفرَّق الأجزاء ثم تُجمع.

فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا، وأورد عليهم: إن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد؟ أهو^(۱) الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض، فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني، والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق فصار ما ذكروه في المعاد مما قوَّى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظاماً ولحماً، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة، يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عَجْبَ الذنب كما ثبت في «الصحيح» (٢) عن النبي على أنه قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب». وفي حديث آخر: «إن السماء تمطر مطراً كمني الرجال، ينبتون في القبور كما ينبت النبات» (٣).

ومضى إلى أن قال: «ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير ثم رآه وقد صار شيخاً، علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوانات والنبات فمن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك، وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن

⁽١) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «هو».

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُفَخُ فِ الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفَوْلَهَا ﴿ (٢٩٥٥)، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب «ما بين النفختين» (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة.

⁽٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥١١/٧)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ رقم (٩٧٦١)، والحاكم (٤/ ٥٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٣١٤)، وضعّفه شيخنا في تعليقه على الطحاوية» (٤٦٣).



الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم».

ثم قال في النشأة الأخرى: «وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات» (١٠). اهر.

جزاء الأعمال

قال تعالى في سورة الفاتحة: ﴿مالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، وقال تعالى في سورة النور: ﴿يَوْمَ إِلَهُ مُو اَلْمَ عُو اَلْمَ اللَّهُ اللَّهِ الآية سورة النور: ﴿يَوْمَ إِلَهُ عُلَمُ اللَّهُ أَلْفَقُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُو اَلْمَ اللَّهِ اللَّهِ الآية [٢٠]: ﴿اللَّهُ مُو اللَّهُ عُلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى في سورة غافر الآية [١٧]: ﴿اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللْهُ اللللْهُ اللللْهُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللللْمُ الللللللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الل

قال المصنف في كتابه «فتح الرحمن في تفسير أم القرآن»(٢) ما نصه: «﴿مالِكِ يَوْمِ ٱلدِّبِ ﴾ قرئ في السبع بألف بعد الميم وبدونها(٣).

فَالْأُول: من المِلك بكسر الميم كما قال تعالى في سورة الانفطار: ﴿ يَوْمَ لَا تَعْلَى فَي سورة الانفطار: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَقْسُ لِنَقْسِ شَيْئًا ۗ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَ بِلِهِ لِللَّهِ ﴿ [١٩].

والثاني: من المُلك بضم الميم وكلاهما ثابت لله تعالى، قال البيضاوي (٤): «أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع، كقولهم: (يا سارق الليلة أهل الدار) ومعناه: ملك الأمور [يوم] الدين، أو له [الملك] في هذا اليوم على وجه الاستمرار».

⁽١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٦٣ ـ ٤٦٤).

⁽٢) هو كتابٌ للمصنف ذكره بهذا الاسم في كتابه «ذيل الصراط المستقيم» (٧)، وقال في كتابه «الحسام الماحق» (١٣): «قلت في كتابي «المنح السانحة في تفسير سورة الفاتحة» ما نصه: ...»، وأورد نصاً طويلاً في نحو أربع صفحات وزيادة، ويحتمل أن يكون العنوانان لكتاب واحد ولا أعلم شيئاً عن كتابه هذا، وجلُّ كتب المصنف نشرها على حلقاتٍ في مجلات نُشِرت في أوقاتٍ مختلفة وبلدان شتى، وأنا أجهدُ على جمعها جميعاً وحصلتُ منها على قسمٍ لا بأسَ به (نحو خمس مئة مقالة) وهو قيد التنضيد الآن، والله الموفق.

⁽٣) انظر: «البحر المحيط» (١/ ٢٠)، «النشر» (١/ ٤٧)، «الإبانة» (١٣٧).

⁽٤) في «تفسيره» (٨/١) وما بين المعقوفتين منه، وصوبت بعض ما في الأصل منه أيضاً.



قال محمد تقي الدين: والإضافة هنا بمعنى (في) كما في قوله تعالى: ﴿ بَلَ مَكْرُ ٱلۡيَٰلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣] والدين الجزاء، قال تعالى في سورة النور: ﴿ يَوْمَ بِدِ يَوْمَ بِدِ مَا لَكُنَّ ﴾ [٢٥] قال الحماسى:

فيلمسا صسرح السشسر فيأمسسى وهيو عسريانُ ولسم يسبقَ سوى السعدوا ن دنساهسم كسمسا دانسوا وفي الحديث «كما تدين تدان» أخرجه ابن عدي في «الكامل» عن ابن عمر مرفوعاً.

وفي "فتح البيان": "واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان، وفي الشرع ما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس، والمراد هنا مطلق الوقت" (٢). اه. وإنما أضيف ملكه سبحانه ليوم القيامة، مع أنه يملك الدنيا والآخرة، وهو المتصرف فيهما وحده، لأن في الدنيا مالكين وملوكاً على سبيل الحدوث والنقصان.

وهم مملوكون لله، أما في ذلك اليوم فلا تملك نفس شيئاً أصلاً؛ لقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿يَكَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمَا لَا يَجْزِى وَالِدُّ مَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودُ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَ وَعْدَ اللهِ حَقُّ فَلَا تَغُرَّنَكُمُ ٱلْحَيَوْةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللهِ الْغَرُورُ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ ال

⁽۱) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (۱٦٨/٦)، والديلمي (٢٢٠٣)، وفي إسناده محمد بن عبد الملك المدني، قال ابن عدي: «كل أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه، وهو ضعيف جداً».

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٩)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (٢١٠) من مرسل أبى قلابة، وأوله: «البر لا يبلى، والإثم لا ينسى...».

وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٤٢)، والمروزي في «زوائد زهد ابن المبارك» (١١٥٥) عن أبي الدرداء قوله، وإسناده منقطع.

وأخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم والعمل» رقم (١٦٤) بسنده إلى مالك بن دينار قال: «مكتوب في التوراة: كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد».

وإسناده ضعيف، فيه الحكم بن سنان، وسويد بن سعيد، وهما ضعيفان، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١٥٧٦، ٤١٢٤، ٤٥١٠).

⁽٢) انظر: "فتح البيان في مقاصد القرآن" للقنوجي (١/ ٣٨، ط. دار الكتب العلمية)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٤٧٠ ـ ٤٧١) قاعدة مهمة في معنى (اليوم) و(النهار) في كلام الشارع، فانظره فإنه نفيس.



قال المحقق القنوجي في «فتح البيان» في تفسير آية آل عمران [٢٥]: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَكُمْ لِيَوْمِ لَا يُظْلَمُونَ ۗ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَكُمْ لِيَوْمِ لَا يُظْلَمُونَ ﴾:

«هو رد عليهم وإبطال لما غرهم من الأكاذيب باستعظام ما سيقع لهم وتهويل لما يحيق بهم من الأهوال؛ أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا يرتاب مرتاب في وقوعه فإنهم يقعون لا محالة فيه ويعجزون عن دفعه بالحيل والأكاذيب»(۱).

وقال (ع): «المعنى لما يحدث في يوم ﴿وَوُفِيَتَ كُلُّ نَسِي من أهل الكتاب وغيرهم ﴿مَا كَسَبَتُ ﴾ أي: جزاء ما كسبت من خير وشر على حذف المضاف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ بزيادة سيئة ولا نقص حسنة من أعمالهم، والمراد: كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (٢).

وقال (٧) في تفسير آية سورة النور [٢٥]: «وقوله تعالى: ﴿يَوْمَيْدِ يُوْفِيهُمُ اللّهُ وَيَنَهُمُ اللّهُ وَكُلُ ما في القرآن دينهم أينه ألحق قال ابن عباس: ﴿دِينهِم أين حسابهم وكل ما في القرآن دينهم أي: حسابهم، وكذا قال غير واحد، ثم إن قراءة الجمهور بنصب ﴿الْحَقّ على أنه صفة لدينهم، وقرأ مجاهد بالرفع (٢) على أنه نعت لاسم الجلالة، وقرأها بعض السلف في مصحف أبي بن كعب (٤): «يَوْمَئِذِ يُوفِيهِمُ اللهُ الحقُّ دِينَهُمُ»، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُو الْحَقُ الْمُبِينُ اللهُ أي: وعده ووعيده، وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه (٥). اه.

قال (ك) في تفسير آية سورة غافر: "وقوله جلت عظمته: ﴿ ٱلْيَوْمَ تَجُنَّوَىٰ كُلُّ

⁽۱) انظر: «فتح البيان» (١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

⁽٢) ليس المذكور كلام ابن جرير الطبري المرموز إليه ب(ج)! بل هو كلام الشوكاني كَلَّلُهُ بتصرف. انظر: «فتح القدير» (١/٥٤٦، ط. دار الوفاء).

⁽٣) وقرأ بها هكذا غير مجاهد: ابن عباس وأبو روق وأبو حيوة وأبو الجوزاء وحميد بن قيس والأعمش. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٤٤١)، «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٠٠)، «الكشاف» (٢/ ٣٨٠)، «معاني القرآن» للزجاج (٣٧/٨)، «إعراب النحاس» (٢/ ٤٣٦)، «الدر المصون» (٥/ ٢١٥).

⁽٤) وهكذا قرأ ابن مسعود، وكذا رآها جرير بن حازم في مصحف أبيّ، وذكر ابن خالويه أنها قراءة النبي ﷺ، وذكرها ابن عطية رواية عنه. انظر: "إعراب النحاس" (٢/ ٤٣٧)، "مختصر ابن خالويه" (١٠١)، "المحرر الوجيز" (١٠/ ٤٧٤)، "تفسير القرطبي" (٢١٠/١٢).

⁽٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٠/ ٢٠٢).



نَفْسِ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيُومُ إِنَ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْجَسَابِ ﴿ [غَافَر: ١٧]؛ يَنْحَبَّرُ تَعَالَى عَنْ عَدَلُهُ فِي حَكْمَهُ بَيْنَ خَلْقَهُ أَنْهُ لَا يَظْلَمُ مَثْقَالَ ذَرَةً مِنْ خَيْرٍ وَلا مِنْ شُر، بَلْ يَعْلَمُ عَنْ عَدْلُهُ فِي حَكْمَهُ بَيْنَ خَلْقَهُ أَنْهُ لَا يَظْلُمُ مَثْقَالَ ذَرَةً مِنْ خَيْرٍ وَلا مِنْ شُر، بَلْ يَعْلَمُ عَنْ اللَّهُ وَاحْدَةً (١٠). اهـ. بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة (١٠). اهـ.

العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب

قال تعالى في سورة الانشقاق: ﴿ يَكَأَيُّهُا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَقِيهِ ﴿ فَامَّا مَنْ أُونِ كِنبَهُ بِيمِينِهِ ﴿ فَا فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِمَابًا يَسِيرًا فَمُلَقِيهِ ﴿ وَيَنقِلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿ فَالانشقاق: ١ ـ ١٩ إلى قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّمُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ الانشقاق: ١٥]، وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَعُرضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ حِنْتُمُونَا كُمَا خَلَقْنَكُو أُوّلَ مَرَّةً بَلْ زَعْمَتُم أَلَن نَجَعَلَ لَكُمُ رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ حِنْتُمُونَا كُمَا خَلَقْنَكُو أُوّلَ مَرَّةً بَلْ زَعْمَتُم أَلَن نَجَعَلَ لَكُمُ مُوعِدًا إِنَّ وَوَضِعَ الْكِنَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ مَوْعِدًا إِنَّ وَوَضِعَ الْكِنَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوعِدُا اللهِ هَذَا الْكَافِءَ الْكَافِدَ مَعْيَرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَا أَحْصَلَهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا إِنَّ كَالِكُونَ الْتَهُ وَلَكُونَ اللهُ هَا مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا إِنَّا اللهُ الكَافِدَ اللَّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ ا

قال (ك): "وقوله تعالى (٢): ﴿ يَمَانَهُمَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحُ إِنَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ أي: إنك (٣) ساع إلى ربك سعياً وعامل عملاً ﴿ فَمُكَوِيهِ ﴾ ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر، ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي (٤) بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل: يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه ». ومن الناس من يعيد الضمير

(١٠٥٤١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٠٠، ١١٠)، والحديث في «السلسلة الصحيحة» (٨٣١).

⁽۱) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۲/۱۲).

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «إنك».

⁽٤) أخرجه الطيالسي (١٨٦٢، ط. هجر)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٤٠)، وأبو الشيخ في «طبقات أصبهان» (٢٦٢/٢) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر، وإسناده ضعيف، فيه عنعنة أبي الزبير، وضعف الحسن بن أبي جعفر. وله شاهد من حديث سهل بن سعد، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٧٧٨)، والحاكم (٢٥٥٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٥٥/١)، والبيهقي في «الشعب»



على قوله: ﴿رَبُّكَ﴾ أي: فملاق ربك، ومعناه: فيجازيك بعملك، ويكافئك على سعيك، وعلى هذا فكلا القولين متلازم، قال العوفي عن ابن عباس: ﴿يَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحُ إِلَى رَبِّكَ كَدْعًا﴾ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً، ثم قال تعالى ('): ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِى كِنَبَهُ بِيَمِينِهِ ﴿ إِنَى اللهِ به خيراً كان تعسير، أي: لا يحقق (') عليه جميع دقائق أعماله، فإن من حوسب كذلك هلك (") لا محالة، وروى (أصعم، ق، ت، ن، ع): عن عائشة قالت: قال رسول الله على: "من نوقش الحساب عُذب» قالت: فقلت: أفليس (ئ) قال الله تعالى (٥): ﴿فَسَوْفَ يُعَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿ إِنَى ﴾؟ قال: «ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب» (١).

وروى الإمام أحمد (٧) بسنده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله على يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً بسيراً» فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك» (٨) صحيح على شرط مسلم.

﴿ وَيَنَقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿ أَي: ويرجع إلى أهله في الجنة، قاله قتادة والضحاك: ﴿ مَسْرُورًا ﴾ أي: فرحاً (٩) مغتبطاً بما أعطاه الله ﷺ. وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِى كِلْبَمُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ ﴿ وَإِنَّهُ عَلَيْهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ لَيْ ﴾ أي: بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا بُهُورًا ﴿ إِنَّ اللهِ إِنَّهُ كَانَ فِي آهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿ أَي: فرحاً لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا تحقق». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «يهلكُ».

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أليس».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽٦) أخرجه أحمد (٢/٧٦)، والبخاري (٤٩٣٩، ٢٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٢٢٢، ٣٣٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٥٩) _ وهو في «التفسير» (٩٧٩) _، وابن جرير (١١٦/٣٠) وغيرهم.

⁽V) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "قال الإمامُ أحمد: ...".

 ⁽٨) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٢)، وابن خزيمة (٨٤٩)، وابن حربان (٧٣٧٢)، والطبري (٣٠٠)، والحاكم (١/ ٥٥) و ٢٤٩ ـ ٢٥٠، ٥٧٩ ـ ٥٠٠، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٠)، والحديث صحيح.

⁽٩) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «فرحان».



أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل ﴿إِنَّهُ ظُنَّ أَن لَّن يَحُورُ ﴿ أَي الله وَ الله وَ الله وَ لا يعيده بعد موته. قاله (١) ابن عباس وقتادة وغيرهما، والحور: هو الرجوع، قال الله تعالى: ﴿ بَانَ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِمِه بَصِيرًا وَ عَيرهما، فإنه وشرها، فإنه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها، فإنه كان (٢) بصيراً، أي: عليماً خبيراً (٣).

فصل

قال محمد تقي الدين: سؤال النبي على ربه على: «أن يحاسبه حساباً يسيراً» تعبد وتذلل لله تعالى؛ لأن العبودية أشرف المقامات ولذلك يسمي الله سبحانه نبيه وحبيبه وخليله محمداً على عندما يذكره في أشرف المقامات «عبداً» كما قال تعالى في سورة البقرة الآية [٢٣]: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَا نَزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن في سورة البقرة الآية [٢٣]: ﴿وَإِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ﴾ وقال تعالى في أول سورة من أدعوا شهداً عَلَم مِن دُونِ الله إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ﴾ وقال تعالى في أول سورة الإسسراء [١]: ﴿يسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ شُبْحَنَ الَذِى أَمْرَى بِمَبْدِهِ لَنَاكُم مِن اللهِ اللهَ المَسْمِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَكَرَّكَا حَوْلُهُ لِنُرِيمُ مِنْ عَلِينِنَا إِلَى الْمَسْمِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَكَرَّكَا حَوْلُهُ لِنُرِيمُهُ مِنْ عَلِينِنا إِلَى الْمَسْمِدِ الْخَوْمَ اللهِ مَا اللهِ مَا عَبْدُ اللهِ عَبْدِهِ مَا أَوْمَى اللهِ لِيكَا وَابن عبدك وابن عبدك وابن أمتك ... (١٤) ﴿ وقال النبي عَلَيْ في دعائه: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ... (١٤)

⁽١) كذا في مطبوع «تفسير ابن كثير»، وفي الأصل: «قال».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «كان به».

⁽٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٥).

⁽٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٩١ و٤٥٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧) في «مسنديهما»، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢)، وابن حبان (٩٧٧)، والحاكم (٥٠٩/١) من طريق فضيل بن مرزوق، أخبرنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبيه عن ابن مسعود به.

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، إنْ سلم من إرسال عبد الرحمٰن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه».

قلت: سماعه من أبيه أثبته غير واحد من الأئمة، منهم سفيان الثوري وابن معين والبخاري وأبو حاتم.

وقد وقع خلاف في أبي سلمة هذا، حقق أمره شيخنا محمد ناصر الدين الألباني كَتَلَلُهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٩٩) فراجعه فإنه هام.

ورواه البزار (٣١٢٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٤٢) من طريق =



الحديث. وفي ذلك الدعاء أيضاً تعليم لأمته، وإلا فهو مقطوع له بأعلى درجات الجنة، لقوله تعالى في سورة الإسراء الآية [٧٩]: ﴿وَمِنَ النِّلِ فَتَهَجّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى اللّه وَاجبة، روى البخاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله على قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الني وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» (١). فقد ثبت بالآية والحديث أن المقام المحمود أعلى الدرجات، وقد وعد الله خير خلقه محمداً على الدرجات، وقد وعد الله تعالى أن يجعل حسابه يسيراً تعبداً وشرع ذلك يخلف الميعاد، ومع ذلك سأل الله تعالى أن يجعل حسابه يسيراً تعبداً وشرع ذلك لأنهم زعموا أن النبي على ضمن لشيخهم أنهم لا يحاسبون أصلاً لا حساباً يسيراً ولا حساباً عسيراً، بل يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، هم وأولادهم وأزواجهم ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا. انظر وتابي: «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» (٢).

قال (ك): "قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفَّا﴾ يحتمل أنهم يقومون بين يدي الله تعالى صفاً أو صفوفاً (٢)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِنْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَكُو أَوَّلَ مَزَّقٍ ﴾ هذا تقريع للمنكرين للمعاد، وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد، ولهذا قال سبحانه (١): ﴿بَلَ زَعَتُم أَلَىٰ نَجْعَلَ لَكُم مَوْعِدًا ﴾ أي: ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم، ولا أن هذا كائن، وقوله تعالى (٥): ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِنَبُ ﴾ أي: كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير (٦) والصغير والكبير ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمّا فِيهِ ﴾ أي: من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَوَيُلْنَا ﴾ أي: يا حسرتنا وويلنا أي:

⁼ عبد الرحمٰن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن ابن مسعود.

وفي عبد الرحمٰن بن إسحاق وهو الواسطي، وهو ضعيف ثم هو منقطع.

⁽١) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصلاة، باب الدعاء عندَ النِّداء (٦١٤) مَن حديث جابر بن عبد الله هَيْهِ.

⁽۲) انظر منه (ص۸۳۰ وما بعد).

⁽٣) في مطبوع "تفسير ابن كثير": "يحتمل أن يكون المراد: أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفاً واحداً".

⁽٤) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «مخاطباً لهم».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير» زيادة: «والفتيل والقطميرُ».



على ما فرطنا في أعمارنا ﴿مَالِ هَذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةَ وَلَا كَبِيرةً إِلّا ٱحْصَلْهَأَ﴾ أي: لا يترك ذنبا صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه وضبطه وحفظه (١)، وروى الطبراني بإسناده إلى سعد بن جنادة: قال: لما فرغ رسول الله على من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء. فقال النبي على: «اجمعوا: من وجد عوداً فليأتِ به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به». قال (٢): فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً، فقال النبي على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فَلْيَتَّق الله رجل، ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنها محصاة (٢)) (١٠).

وقوله: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ أي: من خير (٥) وشر، كما قال تعالى: ﴿يُبَوُّا الْإِنْنُ يَوْمَيْدٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَرَ ﴿ القيامة: ١٣] وقوله تعالى (٢): ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكُ لَمَدًا ﴾ أي: فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً (٧) ولا يظلم أحداً من خلقه، بل يعفو (٨) ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم، وعن شعبة عن عثمان بن عقان أن رسول الله عليه قال: "إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة (٩) (١٠).

⁽١) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ولا كبيراً ولا عِملاً وإن صَغْرَ إلا أحصاها، أي: ضبطها وحفظها».

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «قال». (٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «محصاةٌ عليه».

⁽٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٤٨٥)، وهو ضعيف.

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أو». (٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «تعالى».

⁽٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «جميعها». (٨) في مطبوع «تفسير ابن كثير» بدون: «يعفو».

⁽٩) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٧٢)، ويحيى بن معين في «التاريخ» (٤/ رقم ٢٤٦٤)، والبزار في «مسنده» (٢/ رقم ٣٨٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٤٩)، والدارقطني في «العلل» (٣/ ٦٤).

والحديث صحيح، وأخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة أن رسول الله على قال: «لتؤدُّنَ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشّاة القرناء».

⁽ملاحظة): قول المصنف: "وعن شعبة عن عثمان"، ليس بدقيق! فالحديث من طريق شعبة عن العوّام بن مزاحم من بني قيس بن ثعلبة عن أبي عثمان النهدي عن عثمان رفعه، قال ابن عدي بعد إيراده الحديث: "قال لنا ابن صاعد: وليس هذا من حديث عثمان عن النبي ﷺ، إنما رواه أبو عثمان عن سلمان من قوله".

⁽۱۰) انظر: «تفسير ابن كثير» (۹/ ١٥٠ ـ ١٥٢) بتصرف.



صفة حوض النبي ﷺ

قال شارح «الطحاوية» ما نصه: «الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير، تغمده الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير، المسمى بر «البداية والنهاية» (۱)، فمنها: ما رواه البخاري عن أنس بن مالك (۲) أن رسول الله على قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء (۱). وعنه أيضاً عن النبي على قال: «ليردن عَليّ ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك رواه مسلم (۱)، وروى الإمام أحمد (۱) عن أنس بن مالك تدري ما أحدثوا بعدك رواه مسلم (۱)، وروى الإمام أحمد (۱) عن أنس بن مالك له: لِمَ ضحكت؟ فقال رسول الله على: «إنه أنزلت عَليّ آنفاً سورة»، فقرأ: له: لِمَ ضحكت؟ فقال رسول الله على: «إنه أنزلت عَليّ آنفاً سورة»، فقرأ: (المن ضحكت؟ فقال رسول الله على: «إنه أنزلت عَليّ آنفاً سورة»، فقرأ: عن ختمها، ثم قال لهم: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هو نهر أعطانيه ربي على في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته «هو نهر أعطانيه ربي على الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته «هو نهر أعطانيه ربي على الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته «هو نهر أعطانيه ربي على الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته «هو نهر أعطانيه ربي على الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته

⁽۱) انظر: "نهاية البداية والنهاية" ـ وهو "الفتن والملاحم" (۲/٥ ـ ٣، ط. إسماعيل الانصاري) ـ، وقد نص على تواتر أحاديث الحوض جماعة من العلماء منهم: ابن عبد البر في "التمهيد" (٢٩٠١)، والقاضي عياض في "إكمال المعلم" (٧/ ٢٦٠)، والنووي في "شرح صحيح مسلم" (٥٣/١٥). وقال ابن حجر في "الفتح" (١١/ ٣٩٥): "وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين من الصحابة"، وذكرها السيوطي في "قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" (٢٩٧ ـ ٣٠٠)، والكتاني في "نظم المتناثر" (ص١٥١)، ولبقي بن مخلد جزء مطبوع بعنوان "ما روي في الحوض والكوثر" ولابن بشكوال "الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر" مطبوع مع جزء بقي، ولمحققه مستدرك عليهما، وللبيهقي في "البعث والنشور" عناية قوية لأحاديث الحوض، وانظر: "السنة" لابن أبي عاصم (٢٠ - ٣٠).

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «﴿ عَلَيْهُهُ».

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٣٠٣) من حديث أنس ﷺ.

⁽٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٣٠٤) من حديث أنس بن مالك.

⁽٥) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٢)، وهو في "صحيح مسلم" كما سيأتي.



عدد الكواكب، يُختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمني، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، ورواه مسلم^(۱) ولفظه: «هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمني يوم القيامة»، والباقي مثله، ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض في العرصات^(۲) قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، يمنع^(۳) منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي، قال: سمعت رسول الله على يقول: "أنا فرطكم على الحوض" والفَرَظ: الذي يسبق إلى الماء. وروى البخاري في عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: قال رسول الله على الحوض، من مر عَليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردن عَليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم قال أبو حازم: "فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، سمعته وهو يزيد: "فأقول: إنهم من أمتي، فيقال (١٠)؛ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي "شحقاً: أي بعداً في الذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: إنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك (١٠) وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر (١٠)،

⁽١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية مِن أول كل سورة، سوى براءة، برقم (٤٠٠) من حديث أنس رائية.

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «والحوضُ في العرصات».

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ويمنع».

⁽٤) أخرجه البخاريّ في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٢٢٨٩) من حديث جُندب بن جُنادة.

⁽٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٣) من حديث سهل بن سعد.

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فقال».

⁽٧) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض (٦٥٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رفي الله المعالمة المعا

⁽٨) ورد ذلك في حديث ثوبان، وخرجته مطولاً في «المجالسة» (٢٠٣٣) وتعليقي على «الأقوال القويمة» للبقاعي.

⁽٩) ثبت ذلك في حديث عبد الله بن عمرو، أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).



وفي بعض الأحاديث: «إنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وإنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر»(۱)، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، وقد ورد في أحاديث^(۲) أن لكل نبى حوضاً، وأن حوض نبينا على أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً»(۱).

المرور على الصراط

قــال الله تـعــالــى: ﴿وَإِن مِنكُمْرَ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمَا مَقْضِتًا ۞ ثُمَّ نُتَحِى اَلَّذِينَ اَتَّقَواْ وَنَذَرُ الظّللِمِينَ فِيهَا جِئِيًّا ۞﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

قال صاحب "تيسير العلي القدير في اختصار ابن كثير» ما نَصُّه: "روى الإمام أحمد (٤) عن أبي سُمَيَّة قال: "اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً»، وقال سليمان مرة (٥): "يدخلونها جميعاً ـ وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه ـ وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله على يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن

⁽۱) ورد في حديث أسامة بن زيد في الحوض: "وعرصته ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ"، أخرجه أبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" (رقم ۲۵۲ ـ بمراجعتي)، والطبراني في "الكبير" (٦٦/٣)، وبقى بن مخلد في "جزء ما روي في الحوض والكوثر" رقم (٤٢).

⁽۲) أخرجه الترمذي (۲٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (۷۳٤)، والطبراني (۲۸۸۱)، وفي «مسند الشاميين» (۲٦٤٧)، وأبو القاسم التيمي في «الحجة» (۲۹۳) عن سعيد بن بشير عن قتادة الحسن عن سمرة رفعه، والحديث صحيح بشواهده. انظر: «الصحيحة» (۱۵۸۹) وقال ابن كثير في «النهاية» بعد كلام: «وقد أنهى شيخنا الحافظ المزي بصحة هذا الحديث بهذه الطرق».

⁽٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٢٥٠ _ ٢٥٢).

⁽٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٨ _ ٣٢٩)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» _ بواسطة «تهذيب الكمال» (٣٨ /٣٨) وسقط من مطبوع «التاريخ» _ ، والحاكم (٤/ ٥٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٣٧٠)، وإسناده ضعيف، لجهالة أبي سمية، وسقط من إسناد الحاكم (جابر)، وهو مثبت فيه كما في «إتحاف المهرة» (٣٢٦/٣)، والحديث عنده من طريق آخر فيه (مُسَّة) _ وتحرف في مطبوع «المستدرك» إلى «منية» _ وهي مجهولة، لم يرو عنها غير كثير بن زياد.

⁽٥) في الأصل: «سليمان بن مرة»! وهو خطأ، والصواب حذف (ابن)، وسليمان هذا هو شيخ الإمام أحمد في الحديث، وهو سليمان بن حرب.



برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُعِى الَّذِينَ اتَّقُوا﴾ [مريم: ٧٧] أي: إذا مر الخلائق كلهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي [بحسبهم] (١٦)، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أكلتهم النار، إلا دارة (٧) وجوههم وهو مواضع السجود وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولاً من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه،

⁽١) من «مسند أحمد»، و«تيسير العلى القدير»، وسقطت من الأصل.

⁽٢) أخرجه أحمد (٣٣/١) ـ ٤٣٥)، والترمذيُّ في كتاب التفسير، باب من سورة مريم حديث (٣١٦)، والطبري (٢١٠/١١، ١١١) موقوفاً ومرفوعاً، وقال الدارقطني في «العلل» (٣٧٣/٥): «يحتمل أن يكون مرفوعاً»، وإسناد المرفوع حسن.

 ⁽٣) في مطبوع "تيسير العلي القدير": "نَوْ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّاللَّالِلْمُلْلِلْمُ اللَّالِمُلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّل

⁽٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَقَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ ﴾ حديث (٦٦٥٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه حديث (٢٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

⁽٥) انظر: «الدر المنثور» (١٢٣/١٠)، و«تالي تلخيص المتشابه» (١٤٤)، و«التخويف من النار» لابن رجب وتعليقي عليهما.

⁽٦) من مطبوع «تيسير العلى القدير»، وسقط من الأصل.

⁽٧) كذا في مطبوع «تيسير العلى القدير»، وفي الأصل: «دارات».



قال شارح «الطحاوية»: «وقوله: والصراط، أي: ونؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة (٤): إن رسول الله على سئل: أين الناس يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر» (٥)، وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم. وروى البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، وقال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه وإذا طفئ قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دَحْضٌ، مَزلة فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كالمربح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على ومنهم من يمر كشد الرجل، يَرمُلُ رَمْلاً فيمُرّونَ على

⁽١) في مطبوع «تيسير العلي القدير» بعدها: «ثم يخرج الله من النار مَن قال يوماً من الدهر: لا إله إلا الله، ولم يعمل خيراً قط».

⁽٢) انظرها في كتاب "إثبات الشفاعة" للإمام الذهبي (ص٢٢ وما بعدها)، وللشيخ مقبل الوداعي كَلْلله "الشفاعة"، وللدكتور ناصر الجديع "الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها"، وللشيخ سعود الشريم "المراجعات حول إنكار مصطفى محمود لأحاديث الشفاعات"، وللشيخ أبي الوفاء محمد درويش "قل لله الشفاعة جميعاً" وجميعها مطبوعة، وفي الباب كثير غيرها.

⁽٣) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ١١٨ _ ١١٩).

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: ﴿ يَهِيُّهُا».

⁽٥) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة منيّ الرجل والمرأة وأن الولد مخلوقٌ من مائهما (٣١٥) من حديث ثوبان مولى النبي ﷺ، ولم يرد فيه ذكر لعائشة.



أشار على إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تسلزم حصوله بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا غَيْتَنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا غَيْتَنَا شُعَيْبًا﴾ [هـود: ٤٦]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا غَيْتَنَا شُعَيْبًا﴾ [هـود: ٤٩]، ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة؛ لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين على عديث جابر المذكور: أن الورود هو الورود على الصراط. وروى الحافظ أبو نصر الوائلي عن أبي هريرة في قال: قال على الصراط طرفة عين حتى تدخُل وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخُل

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فيخلصون».

⁽۲) أخرجه الحاكم (۳۷٦/۲ ـ ۳۷۷ و ۰۹۰/۵۹، ۵۹۱)، والطبراني (۹۷۲۳)، والبيهقي في «البعث والنشور»، والحديث صحيح، وله شواهد في «الصحيحين» وغيرهما. انظر: «مجمع الزوائد» (۳٤۰/۱۰). «الدر المنثور» (۲۸۰/ ـ ۲۸۲).

⁽٣) انظر: «أضواء البيان» (٤/ ٣٤٩).

⁽٤) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر.



الجنة؛ فلا تُحْدِثَنَّ في دين الله حدثاً برأيك $^{(1)}$

فصل

قال محمد تقي الدين: لو كان أهل الرأي يعقلون لكان لهم في هذا الحديث ردع وزجر عن اتباع الرأي ومخالفة السنة في الفروع والأصول. فأي عاقل يقبل على عقيدة أو عمل أو ترك سنة يكون له سبباً في أن يوقف على الصراط، ولو لم يسقط في النار؟! فسبحان من طبع على قلوبهم، وأعمى أبصارهم، لكن ابن الجوزي قال في هذا الحديث: «إنه موضوع»(٣)، لكن معناه صحيح.

الإيمان بالميزان

قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوْذِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا نُظْـَلَمُ نَفْسُ شَيْئًا ۚ وَإِن كَانَ مِثْقَـَالَ حَبَّكَةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ٱلْيَنَـا بِهَا ۗ وَكَفَى بِنَا حَسِبِينَ ﴿ الانبياء: ٤٧]

قال صاحب «تيسير» العلي القدير في اختصار ابن كثير» ما نصّه: «وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوْزِينَ ٱلْمِسْطَ ﴾: أي: نضع الموازين العدل ليوم القيامة، والميزان واحد إنما جمع لتعدد الأعمال الموزونة فيه، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا نُظْلَمُ نَفْسُ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَيَةٍ مِنْ خَرَدُلٍ أَنَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ إِنّ اللّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً (عَلَى الله عَسَنَةُ يُضَاعِقَهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنّهُ أَجُرًا عَظِيمًا فَيُوْتِ مِن لَدُنّهُ أَجُرًا عَظِيمًا فَيْ [النساء: ٤٠]، وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

⁽۱) عزاه القرطبي في «التذكرة» (ص٣٣٦ ـ ٣٣٧) إلى أبي وائل في «الإبانة»، وأورد إسناده وفيه أبو همام محمد بن مجيب القرشي، قال ابن معين: كذاب، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث. وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨٠٠/٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٦٤) وفي إسناده محمد بن عبد الرحيم بن شبيب مجهول، فالحديث وأه بمرة، ومن أراد تفصيل ذلك فليراجع «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» لشيخنا الألباني برقم (٢٦٥)، و«زوائد تاريخ بغداد» (٢٧/٤).

⁽۲) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٦٩ ـ ٤٧٢).

⁽٣) انظر: «الموضوعات» (١/٢٦٤).

⁽٤) في الأصل: «ولا يظلم مثقال...»!



"كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" (). وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله على: "إن الله على يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل منجل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أفلك عذر أو حسنة قال: فَبُهِتَ الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقته (٢) فيها: أشهد أن لا إله الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع معد، وقال الترمذي: حسن غريب" (٤).

قال محمد تقي الدين: وقد ذكر الله تعالى وزن أعمال العباد في مواضع كثيرة من كتابه العزيز كما في سورة الأعراف وسورة المؤمنين وسورة القارعة، وثبتت عن النبي على أحاديث كثيرة في وزن الأعمال، ومن استبعد وزن الأعمال من سفهاء المتفلسفة، وقال: إنها معان، والمعاني لا توصف بالخفة والثقل ولا توضع في الميزان، فهو من الجهال الواقعين في أسر العادات والمألوفات الذين يقيسون عالم الغيب على عالم الشهادة، وأمور الآخرة على أمور الدنيا، وهؤلاء

⁽١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة.

⁽٢) في مطبوع "تيسير العلي القدير": "بطاقة".

⁽٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٣١٢)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٧١)، وابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (٩/١، ٥٢٩)، وإلييهقي في «الشعب» (٢٨٣)، وإسناده جيد.

وقول المصنف الآتي: «ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد» يفهم أنه غير طريق أحمد، وليس كذلك، فقد أخرجه المذكورون جميعاً) وغيرهم من طريق الليث بن سعد حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ـ وسقطت كلمة (أبي) من «الزهد»! ـ قال: سمعت عبد الله بن عمرو به.

⁽٤) انظر: «تيسير العلى القدير» (٣/ ١٧٠ _ ١٧١).



سفهاء لا يعقلون، فإن استحالة المأكولات والمشروبات المختلفة الأنواع في معدة الإنسان إلى لحم ودم وعصب وعظام وتعويضها ما فقده الجسم من ذلك لهو أعجب بكثير من وزن الأعمال. انظر: «شرح الطحاوية»»(١).

الإيمان بالجنة والنار وفيه مباحث

* المبحث الأول: في إثبات أنهما موجودتان الآن، والرد على من خالف في ذلك.

قال الحافظ ابن القيم في «حادي الأرواح» ما نصه: (الباب الأول: في بيان وجود الجنة الآن):

«لم يزل أصحاب رسول الله و التابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف (٢) وبما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن (تكونا الآن مخلوقتين) (٣)، وقالت: بل الله ينشئهما يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله الله، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم (٤) فهم مشبّهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات. وقالوا: خَلْقُ الجنة قبل الجزاء عبث؛ فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا (٥): ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ

⁽۱) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٧٣ ـ ٤٧٥)، وقد أفرد جمع (الميزان) بالتصنيف، جمعوا فيها الآيات والأحاديث والآثار، منهم: ابن ناصر الدين (ت٨٤٢هـ) في «منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة»، والسخاوي (ت٩٠٢) في «تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان»، وابن كمال باشا (ت٩٤٠) في «الميزان في الحشر»، ومرعي الكرمي (ت٣٣٠هـ) في «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» وكلها مطبوعة، وحققت الأخير منها، والحمد لله.

⁽٢) في مطبوع «حادي الأرواح» زيادة: «والزهد على اعتقاد ذلك، وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما».

⁽٣) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أن تكون مخلوقة الآن».

⁽٤) كذا في مطبوع «حادي الأرواح»، وفي الأصل: «أفعال الله».

⁽٥) في مطبوع «حادي الأرواح»: «وقالوا».



داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعَطَّلها من النَّاسِ، ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبهوا أفعاله بأفعالهم، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا لها(۱) لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صَنَّف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها (۲).

ثم نقل ابن القيم كَلَّهُ عن أبي الحسن الأشعري كَلَّهُ من كتابه: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» ـ وقد طبع^(٣) هذا الكتاب أكثر من مرة، نقل كلاماً كثيراً في الصفات مطابقاً لعقيدة الصحابة والتابعين ومبطلاً لعقيدة الأشعرية المتأخرين، نفاة الصفات المعطلين ولم أنقل كلامه اكتفاء بما نقلته فيما مضى من هذا الكتاب بواسطة الحافظ ابن القيم من كتاب «الإبائة» لأبي الحسن الأشعري كَلَّهُ، واقتصرت من ذلك على ما يأتي «ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان».

ثم عقد ابن القيم كَثِلَتُهُ (سبعة أبواب) في (الخصومات بين الطوائف في جنة الخلد هل هي التي كان فيها آدم وحواء؟ أم هي جنة أخرى؟) وهذا الكتاب كتاب وعظ لا تناسبه الخصومات، لأنه يقرأ على العامة وطلبة العلم جميعاً، والخصومات تفسد الوعظ وتشوش الأفكار.

* المبحث الثاني: في رد شبهة من احتج بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءِ هَالِكُ إِلَّا وَجُهَامُ ﴾ [القصص: ٨٨].

قال الذين قلّ نصيبهم من فهم الكتاب والسنة واتباع السلف الصالح: لو كانت الجنة والنار موجودتين الآن؛ لفنيتا عندما يفنى كل شيء؛ لقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَهَامُ ﴾ [٨٨] آخر سورة القصص _ وقد أجاب الإمام ابن

⁽١) في مطبوع «حادي الأرواح»: «فيها».

⁽۲) انظر: «حادي الأرواح» (۳۸ و۳۹، ط. دار ابن كثير).

⁽٣) بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وقبلها بتصحيح هلموت ريتر، وانظر منه (١/ ٢٢٩، ط. محمد محيى الدين عبد الحميد) فيما يخص أن الجنة والنار مخلوقتان.



القيم كَلَّهُ عن ذلك بما نصه: "وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَهَمُ فَإِنَما أُوتِيتُم من عدم فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما، فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأثمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية: قال البخاري في "صحيحه": "يقال: كل شيء هالك إلا وجهه: إلا ملكه، ويقال: إلا ما أُريد به وجههه"(١)، وقال الإمام أحمد(١) في رواية ابنه عبد الله: فأما السماء والأرض فقد زالتا؛ لأن أهلهما صاروا إلى الجنة أو إلى النار، وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب؛ لأنه سقف الجنة والله على عليه فلا يهلك ولا يبيد، وأما قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْكَ فَانِ الله على الله على النار، وأما العرش وطمعوا في البقاء، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض وطمعوا في البقاء، فأخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿ حُكِلٌ شَيْءٍ هَالِكُ هَا عَنِي عني: ميت ﴿ إِلّا وَجُهَا كُلُ لانه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت (٥).

ثم قال عن الإمام أحمد _ وهو قول أهل السنة جميعاً _: «وقد خُلِقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله على وخلق الخلق لهما ولا تفنيان (٢٠) ولا يفنى ما فيهما أبداً. فإن احتج مبتدع أو زنديق بقولِ الله على: ﴿كُلُ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَهَامً ﴾ [القصص: ٨٨] وبنحو هذا من متشابه القرآن، قيل له: كل

⁽۱) في «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب سورة القصص قيل رقم (٤٧٧٢) وفيه: «وحه الله».

⁽٢) المذكور بحروفه في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص٣٢٧ ـ ٣٢٨، ط. غراس).

⁽٣) في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «فأنزل الله مخبراً».

⁽٤) بعدها في مطبوع «الرد على الزنادقة والجهمية»: «يعنى من الحيوان».

⁽٥) انتهى كلام الإمام أحمد، وما سبق من كلام ابن القيم في كتاب «حادي الأرواح» (٧٨ - ٧٨)، وللإمام أحمد في «رسالة الإصطخري» كلام بنحوه، أورده ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢٨/١، ط. القديمة و١٠٠١، ط. العثيمين) وبنحوه في «السنة» (ص٧٧ ـ ضمن «شذرات البلاتين»)، وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (٢/ ٢٥).

⁽٦) في مطبوع «حادي الأرواح»: «ولا يفنيان».



شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقنا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يَمُتْنَ عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا يمتن (١) أبداً؛ لأن الله على خلقهن للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل»(٢).

* المبحث الثالث: في ذكر شيء من الأدلة التي تثبت عقيدة أهل السنة.

«البرهان الأول: حديث البراء بن عازب الطويل المتقدم، وفيه «فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها» وذكر الحديث (٣).

الثاني: قال ابن القيم: "وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: "وَلَقَدْ رَوَاهُ نَزَلَةٌ أُخْرَىٰ شَيْ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنكَىٰ شَيْ عِندَهَا جَنّةُ ٱلْمَاوَى [المنجم: ١٣ ـ ١٥] وقد رأى النبي على سدرة المنتهى ورأى عندها جنة (١٤) المأوى كما في "الصحيحين" من حديث أنس (٥) في قصة الإسراء وفي آخره: "ثم انطلق بي جبريل، حتى انتهى (٦) إلى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قاله: ثم دخلتُ الجنة، فإذا فيها جنابذُ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك (١٥)» (٨).

قال ابن الأثير في «النهاية» ما نصه: «في صفة الجنة «فيها جنابذ من لؤلؤ» الجنابذ جمع جنبذة وهي القبة» (٩).

الثالث: ثم قال ابن القيم: وفي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله عليه قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى،

⁽١) في مطبوع «حادي الأرواح» بدون: «يمتن».

⁽٢) انظر: «حادي الأرواح» (٧٩ ـ ٨٠). (٣) سبق تخريجه.

⁽٤) في مطبوع «حادي الأرواح»: «الجنة».

⁽٥) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أنس بن مالك».

⁽٦) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أتى».

⁽٧) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ذكر إدريس على برقم (٣٣٤٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله على إلى السماوات برقم (١٦٣) من حديث أنس كان .

⁽A) انظر: «حادي الأرواح» (٤٣ ـ ٤٤).

⁽٩) «النهاية» لابن الأثير (١/ ٣٠٥) حرف الجيم: (باب الجيم مع النون).



إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى^(١) يوم القيامة^(١).

الرابع: وفي "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: خَسَفَتِ الشمسُ في حياة رسول الله على ..، فذكر الحديث إلى أن قالت: ثم قام فخطب الناس، فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم قال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة " وقال رسول الله على: "رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به (٣)، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة، حين رأيتموني تقدمت (٤)، ولقد رأيت جهنم يَحْطِمُ بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت "(٥).

الخامس: وفي "صحيح البخاري" عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي على في صلاة الخسوف (٢) قال: "قد دَنَتْ مني الجنة؛ حتى ولو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم؟ فإذا امرأة حسبتُ أنه قال: تخدشها هرَّةٌ _ قلتُ: ما شأن هذا؟ قالوا: حَبَسَتْها حتى ماتت جُوعاً لا أطْعَمْتها ولا أرسلتها تأكل (٧) من خشاش الأرض (٨) (٩).

الاختلاف في فناء النار بين أهل السنة:

ذكر شارح «الطحاوية» كَلْشُهُ في هذه المسألة ثمانية أقوال: ستة منها خارجة عن عقيدة أهل السنة، فلم أشأ أن أطيل بذكرها، والسابع والثامن كل واحد منهما أخذ به جماعة من أهل السنة، وهذا نص كلامه:

⁽١) في مطبوع «حادي الأرواح» بدون: «تعالى».

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب الميت يُعرضُ عليه مقعده بالغداةِ والعَشي (٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه برقم (٢٨٦٦) من حديث ابن عمر ﴿ النار عليه برقم (٢٨٦٦) من حديث ابن عمر ﴿ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٦ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٦ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٦ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٥ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٥ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٩ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٩ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٦٩ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٩٩ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٩٩٩ ﴾ النار عليه برقم ﴿ ٢٨٩ ﴾ النار عرب النار عرب

⁽٣) في مطبوع «حادي الأرواح» بدون: «به».

⁽٤) في مطبوع «حادي الأرواح»: «أَقَدُّمُ».

⁽٥) أخرجه مسلم (٩٠١) في الكسوف، باب صلاة الكسوف إذا خسفت الشمس.

⁽٦) في مطبوع «حادى الأرواح»: «الكسوف».

⁽٧) في مطبوع «حادي الأرواح»: «تأكل» بدون الزيادة الباقية.

⁽٨) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير (٧٤٥).

⁽٩) انظر: «حادي الأرواح» (٤٤ ـ ٤٧).



«السابع: إن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه. الثامن: إن الله تعالى يخرج منها من شاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ (يعني الطحاوي) كالله، وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.

هذان (۱) القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما - فمن أدلة القول الأول منهما، قوله تعالى: ﴿ أَلنَّا مُتُوَكُّمْ خَلِدِينَ فِيهَاۤ إِلَّا مَا شَاءَ اللّهُ إِنَّ رَبُّكَ حَكِمُ عَلِيمٌ ﴾ الآية [۱۲۸] من سورة الأنعام. وقوله تعالى: ﴿ فَاَمَا الّذِينَ شَقُواْ فَفِي النّارِ لَمُمْ فِهَا زَفِيرٌ وَسَهِيقٌ إِلَى خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَوَنَ وَالْأَرْضُ إِلّا مَا شَاءً رَبُّكَ أَنَ رَبُّكَ فَعَالٌ لِما يُمِيدُ ﴿ وَهُ الآية [۱۰، ۱۰۹] من سورة هود. ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿ عَطَاةً غَيْرٌ بَحَذُوذِ ﴾ الآية [۲۰] من سورة النبأ. وهذا القول - أعني القول بفناء النار دون الجنة - منقول عن عمر، وابن النبأ. وهذا القول - أعني القول بفناء النار دون الجنة - منقول عن عمر، وابن مسعود وأبي هريرة، أبي سعيد، وغيرهم. وقد روى عبد بن حميد في "تفسيره" المشهور، بسنده إلى عمر (۲)، أنه قال: «ولو (۳) لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج (٤)، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه (٥) ذكر ذلك في تفسير قوله عالج (٤)، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه (١٠٥٠)

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ولهذان». (٢) في مطبوع «شرح الطُحاوية»: «ظَيُّهُ».

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «و».

⁽٤) هو رمل كثير جداً مسيرة أربع ليال، بين قيد والقريات.

⁽٥) أثر عمر لا يصح، لأن إسناد عبد بن حميد: "عن الحسن عن عمر"، وهذا منقطع، قال العلامة الصنعاني في رسالته: "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار" (ص٦٥) عقب أثر عمر: "وأقول فيه شيئان: الأول: من حيث الرواية، فإنه منقطع..." وطول في ذلك، ثم قال: "والثاني: من حيث الدراية؛ فإنه لو ثبت صحته عن عمر لم يدل على المدّعي، فإن أصل المدّعي هو: فناء النار، وأن لها مدة تنتهي إليها، وليس في أثر عمر هذا إلا أنه يخرج أهل النار من النار، والخروج لا يكون إلا وهي باقية " وحكم شيخنا الألباني بانقطاعه، وبضعف جميع الآثار المومئ إليها عند المصنف (عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد)، انظر تخريجها مع بيان ضعفها في: "الاستنفار لمحق القول بفناء النار وتبرئة الصحابة الأبرار والسلف الأطهار من افتراء صاحب الإنكار" لسليمان البهيجي (ص٥٥ ـ ٥٠، ١٠٧ ـ ١١٩)، وما سبق عند المصنف من "حادي الأرواح"

وانظر في نصرة عدم القول بالفناء وتبرئة ابن تيمية وابن القيم منه: «حادي الأرواح» =



تعالى: ﴿لَّبِيْنِهَ فِهَا أَحْقَابًا ﴿ إِنَّ ﴾ الآية [٢٣] من سورة النبأ. قالوا: والنار موجَب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: «لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي»(١)، وفي رواية: «تغلب غضبي»(٢). رواه البخاريُّ في «صحيحه» من حديث أبي هريرة، قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه كان ﴿عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴾ الآية [١٥] من سورة الأنعام. و﴿ أَلِينُ ﴾ الآية [٢٦] من سورة هود. و﴿ عَقِيمٍ ﴾ الآية [٥٥] من سورة الحج، ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم. وقد قال تعالى: ﴿عَذَابِيَ أُصِيبُ بِهِ، مَنْ أَشَكَأَةُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتَ كُلُّ شَيَّءٍ﴾ [الأعـراف: ١٥٦]، وقـال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبُّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ الآية [٧] من سورة غافر. فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد ثبت في «الصحيح» تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب، بحسب جرائمهم وليس في حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً، فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض. قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام ـ كله حق مُسلّم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس، وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

^{= (}ص٢٦٠، ط. الثانية)، «النونية» (١/ ٨٢ و٢/ ٣٣٨ _ مع «شرح ابن عيسى»)، «الوابل الصيب» (ص٢٤٠ _ ٤٢٤)، «محاسن التأويل» (ص٤٢٠ _ ٤٢٤)، «محاسن التأويل» (٣/ ٢٥٠٠ _ ٤٠٥٢) للقاسمي، «شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين» (ص٢٦) ومقدمة المحقق، فهي (مهمة)، و«تنبيه الأخيار على عدم فناء النار» لسليمان العلوان.

⁽۱) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهِى يَبْدَوُأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُوُ﴾ رقم (٣١٩٤)، ومسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم (٢٧٥١) (١٥) من حديث أبي هريرة.

وهو في «صحيح البخاري» (٧٤٠٤، ٧٤٢٧، ٣٥٥٣، ٧٥٥٧).

⁽٢) هي في «صحيح البخاري» رقم (٧٤٠٤)، و «صحيح مسلم» (٢٧٥١) (١٤).



ومن أدلة القاتلين ببقائها وعدم فنائها: قوله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ الآية [٤٠] من سورة النبار وفكن نَزِيدَكُمْ إِلّا عَذَابًا ﴾ الآية [٤٠] من سورة النبأ ﴿ فَكُن نَزِيدَكُمْ إِلّا عَذَابًا ﴾ الآية [٤٠] من سورة النبأ ﴿ فَكُن نَزِيدَكُمْ إِلّا عَذَابًا ﴾ الآية [٤٠] من سورة النبأ ﴿ فَكَن نَزِيدَكُمْ إِلّا عَذَابًا ﴾ الآية [٤٠] من سورة النبقرة . ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنّ مَنَّ النّارِ ﴾ الآية [١٦٠] من سورة البقرة . ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنّة مَنَى عَلَيْهِم فَيَمُوثُوا وَلَا يُخْفُونُ الْجَنّة مَن عَلَيها ﴾ الآية [٢٠] من سورة البقرة . ﴿ وَلَا يَخْفُونُ الْجَنّة مَنْ عَذَابِها كَانَ عَبَرامًا ﴾ الآية [٢٥] من سورة الفرقان . أي: مقيماً لازماً ، وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من المناو من قال: لا إله إلا الله . وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار ، وأن هذا حكمٌ مختصٌ بهم ، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان ، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما ، بل بإبقاء الله لهما »(٢) .

قال محمد تقي الدين: لم يصرح شارح «الطحاوية» بترجيح لأحد القولين على الآخر، لكني أفهم من كلامه أنه يميل إلى ترجيح جانب الرحمة على جانب الغضب، وهذا هو الذي يفهم من الحديث الصحيح والظن بالله جميل أنه لا يعاقب على ذنب محدود عقاباً غير محدود، على أن الأدلة التي ذكرها للقائلين بالقول السابع قوية (٣)، ومنها ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالُ لِهَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧].

⁽۱) كذا في الأصل، والآية رقم (۸) من (البينة) في ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَيَمُواْ الْفَكَوْحَتِ والآية رقم (٦) منها في ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ولا يوجد فيها (أبداً)، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّدَ خَلِدِينَ فِيهَا أَوْلَكِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾.

⁽٢) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٨٣ ـ ٤٨٦).

⁽٣) القول الحق في المسألة (الثامن) وهو القول بأن النار لا تفنى أبداً، وحكى غير واحد من العلماء المعتبرين الإجماع عليه، وهذا ما حكاه ابن تيمية في أكثر من كتاب من كتبه، مثل: «درء تعارض العقل والنقل» (٣٨٠/٢)، وإليك مثل: «درء تعارض العقل والنقل» (٣٨٠/٢)، وإليك - أخي القارئ - طائفة من كلام العلماء في حكاية الإجماع:

قال ابن حزم في «الملل والنحل» (٤/ ٨٣): «اتفقت فرق الأمة كلها على أن لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان».

وقال _ أيضاً _ في «مراتب الإجماع» (ص٧٧) _ وأقره عليه ابن تيمية _: «والنار حق، وأنها دار عذاب، لا تفني ولا يفني أهلها بلا نهاية».



الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره كل ذلك من الله تعالى

قال الإمام محمد صديق حسن القنوجي في «فتح البيان» عند قوله تعالى في سورة القمر [٤٩] ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خُلْقَتَهُ بِقَدَرٍ ﴿ اللَّهِ ﴾ ما نصه:

«أي: كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه متلبساً بقدر قَدَّره وقضاء قَضَاهُ سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، والقدر التقدير، والعامة على نصب كل بالاشتغال، وقرئ بالرفع، وقد رجح الناس النصب، بل أوجبه

• وقال عبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص٣٤٨): «الفصل الثالث في بيان الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة، ثم ذكر أموراً، وقال: الركن الثاني عشر، وفيه: «وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين، وقالوا: إن الخلود في النار لا يكون إلا للكفرة».

قال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (ص١٤٩): «وقال المسلمون كلهم إلا جهماً: إن الله يخلِّد أهل الجنة، ويخلِّد الكفار في النار».

قال ابن أبي زيد القيرواني في «الجامع» (ص١١٠): «فمما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، ثم ذكر جملة من العقائد، وقال: وإن الجنة والنار للكافرين، لا تفنيان ولا تبيدان».

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣٤٦/٢): «والإجماع على التخليد الأبدي في الكفار».

وقال ابن قاسم في «حاشية الدرة المضية» (ص٩٧): «وأجمع أهل السنة والجماعة على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم الجنة لا ينقطع؛ لما دل على ذلك من الكتاب والسنة».

وقال ابن حجر في "فتح الباري" (١١/ ٤٢٩): "مَنْ زعم أنهم يخرجون منها، وأنها تبقى خالية أو تفنى، فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول ﷺ وأجمع عليه أهل السنة". وقال القرطبي في "التذكرة" (٢/ ٢٠٥): "وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون

وقال الفرطبي في "التذكرة" (٢٠٥/٢): "واجمع أهل السنة على أن أهل النار محللود فيها غير خارجين منها...».

وقال الآلوسي في «جلاء العينين» (ص٤٢٤): «وأنت تعلم أن خلود الكفار مما أجمع عليه المسلمون، ولا عبرة بالمخالف، والقواطع أكثر من أن تحصى، ولا يقاوم واحد منها كثيراً من هذه الأخبار».

وقال السفاريني في "لوامع الأنوار البهية" (٢/ ٢٣٤) بعدما ساق الآيات والأحاديث الدالة على بقائها: "فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً، كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة».



بعضهم" قال: «لأن الرفع يوهم ما لا يجوز على قواعد أهل السنة، قال(۱) أبو البقاء: وإنما كان النصب أولى لدلالته على عموم الخلق، والرفع لا يدل على عمومه، بل يفيد أن كل شيء مخلوق فهو بقدر(۱) ﴿فَخَلَقْنَا﴾(۱) تأكيد وتفسير لخلقنا المضمر الناصب لكل شيء، فهذا اللفظ(١) عام يعم جميع المخلوقات، وللسمين هنا كلام مبسوط(۱) لا نطيل بذكره. وأخرج(۱) مسلم عن ابن عمر قال: قال رسول الله على: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله على يقول: «كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة اخرجه مسلم (۱). وعن جابر قال: قال رسول الله على: «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر، (۱). أخرجه الترمذي واستغربه. وفي الباب أحاديث بين صحيح منها وضعيف. قال الخطابي (۱۱): «وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله عن تقدير منه العباد وصدورها عن تقدير منه عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها، والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، يقال: قدرتُ الشي وقدَّرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الرحداء قدرتُ الشي وقدَّرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الرحداء الله قدرتُ الشي وقدَّرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه قدرتُ الشي وقدَّرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه قدرتُ الشي وقدَّرته ـ بالتخفيف والتثقيل ـ بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه قدره وله مناه الهناء وسي القضاء في هذا معناه الهناء والقشاء في هذا معناه الهناء ولله على المناه الهناء والقشاء في هذا معناه والمناه الهناء والقشاء في هذا معناه الأمناء والقشاء في هذا معناه المناه الهناء والقشاء في هذا معناه ولا عن القشاء في هذا معناه المناه الهناء والقشاء في هذا معناه الهناء والمناه الهناء والمناه والقشاء في هذا معناه الهناء والمناه والمن

⁽١) في مطبوع «فتح البيان»: «وقال».

⁽٢) بعده في مطبوع "فتح البيان": "وإنما دل نصب كل على العموم؛ لأن التقدير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خُلْقَتُهُ بِقَدُرِ﴾".

⁽٣) في مطبوع «فتح البيان»: «فخلقناه». ﴿ ٤) في مطبوع «فتح البيان»: «لفظ». ﴿ ﴿

⁽٥) في تفسيره «الدر المصون» (١٤٦/١٠ _ ١٤٩).

⁽٦) في مطبوع «فتح البيان» من غير: «و».

⁽٧) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب كل شيءٍ بقدر (٢٦٥٥).

⁽٨) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى ﷺ (٢٦٥٣).

⁽٩) تتمته: «خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه». أخرجه الترمذي (٢١٤٤)، وابن عدي (١٥٠٤/٤) بإسناد ضعيف جداً، فيه عبد الله بن ميمون، وهو متروك الحديث، ولكن للحديث شواهد يصح بها، وانظر: «القدر» للفريابي رقم (٢٠٢ ـ ٢٠٤)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٤٣٩).

⁽١٠) في «معالم السّنن» (١٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٣) بتصرف يسير، وانظر في تقرير هذا المعنى: «الرياض الناضرة» للسعدي (١٢٥ ـ ١٢٦)، «الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة» (ص١١٨ ـ ١٢٤) للدوسرى.



الخلق، كقوله: ﴿ فَقَضَالُهُنَّ سَبّعَ سَمَوَاتِ ﴾ [فصلت: ١٦] أي: خلقهن "، قال النووي (١٠): «إن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: إن الله تعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه على (٢) صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها الله. وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه سبحانه لم يقدرها ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم - أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها - وكذبوا على الله الله الوجل وجل الشها والسنة وإجماع الصحابة كبيراً "انتهى. وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله الله وقد قرر ذلك أئمة السنة أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية، ليس هذا موضع بسطه، والله أعلم (١٤).

قال القاسمي في تفسير آيتي النساء: ﴿ وَإِن تُصِبّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَلَاهِ مِنْ عِنلِهُ وَاللّهُ وَإِن تُصِبّهُمْ سَيّقَةٌ يَقُولُوا هَلَاهِ مِنْ عِنلِكٌ قُلْ كُلْ مِنْ عِنلِهِ اللّهِ فَإِلَا هَلَوُلاَ الْقَوْمِ لا يكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿ مَن مَّ اَصَابَكَ مِن حَسَنَةً فِن اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيّعَةِ فِن نَفْسِكُ وَارْسَلَنكَ لِلنّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا ﴿ وَ النساء: ٢٧، ٢٩] ما نصّه: ﴿ ولما حكى تعالى عن الممنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد خائفين من الموت، غير راغبين في سعادة الآخرة، أتبع ذلك بخلة لهم أشنع (٥)، بقوله سبحانه: ﴿ وَإِن تُصِبّهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ كخصب ورزق من ثمار وزروع وأولاد ونحوها ﴿ يَقُولُوا هَلَاهِ مِنْ عِلْهِ اللّهُ أَي : من شؤمك، وموت أولاد ونتاج، ونحو ذلك: ﴿ يَقُولُوا هَلَاهِ مِنْ عِنلِهُ المُسَعْر، عِنلِون: من شؤمك، كما قال تعالى في قوم فرعون: ﴿ وَإِن تُصِبّهُمْ المَيْنَةُ وَلَوْ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ وَبِمَن مَعَكُ ﴾ والنما: ٢٤] وفي قوم فرعون: ﴿ وَالْوَا المَا يَلُهُ النّهُ عَلَى النّه عَلَى النمون وَمَن مَعَكُ ﴾ [الأعراف: ١٣١] وفي قوم طالح ﴿ وَالُوا النّا مِلَونَ اللهُ وَبِمَن مَعَكُ ﴾ [النمل: ٢٤].

قال أبو السعود(٦): «فأمر النبي ﷺ بأن يرد زعمهم الباطل ويرشدهم إلى

في «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢١٧).
 في «شرح النووي»: «وعلى».

⁽٣) سقطت من الأصل، وأثبتها من «شرح صحيح مسلم».

⁽٤) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

⁽٥) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «شفع».

⁽٦) في تفسيره المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» (٢/ ٢٠٥).



الحق ويلقمهم الحجر(١) ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال. إذ لا يجترئون على معارضة أمر الله قبل حيث قيل: ﴿قُلُ كُلُّ مِنَ عِنهِ اللهِ اللهِ عَلى حيث قيل: ﴿قُلُ كُلُّ مِنَ عِنهِ اللهِ اللهِ عَلى الله على واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى، خلقاً وإيجاداً، من غير أن يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما(١) بوجه من الموجوه كما تزعمون، بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلاً. ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة، كما سيأتي بيانه، فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل، رداً على أسلافهم من قوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّا طَابِرُهُمْ عِندَ اللهِ ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي: إنما سبب خيرهم وشرهم، أو سبب إصابة السيئة التي هي ذنوبهم، عند الله تعالى الا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به (١٠) ﴿ فَمَالٍ خَوْلَا الْقَوْمِ ﴾ يعني: المنافقين ﴿ لا يَكُلُونُ وَسِيمِهُم والتعجب من كمال غباوتهم، إذ لو فقهوا شيئاً لعلموا مما يوعظون به، حالهم، والتعجب من كمال غباوتهم، إذ لو فقهوا شيئاً لعلموا مما يوعظون به، أن الله هو القابض الباسط، وأن النعمة منه تعالى بطريق التغضل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد.

﴿ مَا أَمَلُكُ مِنْ حَسَةِ ﴾ أي: نعمة ﴿ فَيْنَ اللَّهِ ﴾ أي: فمن نعمته وتفضله ابتداء ﴿ وَمَا أَمَلُكُ مِن سَيْتَقِ ﴾ أي: من شؤمها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها، وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى، نازلة من عنده عقوبة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمنَبَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَيِما كُسَبَتَ أَيْدِيكُم وَيَعْقُوا عَن كَثِير ﴿ وَمَا السورى: ٣٠] روى ابن عماكر عن البراء (١) عن النبي على قال: هما من عثرة، ولا اختلاج عرق، ولا خلش عود، إلا بما قلمت أبديكم، وما يغفر الله أكثر (١).

⁽١) كذا في "تفسير أبي السعود"، و"تفسير القاسمي"، وفي الأصل: «الحَّجة»!

⁽٢) في الأصل: «منها»، والتصويب من "تفسير أبي السعود».

⁽٣) هنا انتهى نقل القاسمي من «تفسير أبي السعود».

 ⁽٤) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «نظائه».

⁽a) أخرجه ابن عساكر (٢٤/ ٢٤) من طريق محمد بن القضل عن المصلت بن بهرام عن شقيق عن (وفي الأصل: بن!! فليصحح) البراء، وهذا إستاد وام بمرة، آفته محمد بن الفضل وهو ابن عطية، وهو كذاب.

وله شاهد لا يفرح به، أخرجه هناد (٤٣١) من مرسل الحسن، وفيه الراوي عنه إسماعيل بن مسلم المكي ضعيف. انظر: «السلسلة الضعيفة» (١٧٩٦).



وروى الترمذي (۱) عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «لا يصيب عبداً نكبة (۲) فما فوقها أو دونها، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، قال: وقرأ ﴿ وَمَا أَصَنَبُكُم يِن مُصِيبَةِ فَيِمَا كَسَبَتَ أَيْدِيكُمُ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿ وَمَا الشورى: ٣٠].

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا ويدخل فيه المذكورون دخولاً أولياً. وجوِّز أن يكون الخطاب له وله على المناه على المناه على المناه على المناه على المناه الم

﴿ وَأَرْسَلْتَكُ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾ بيان لجلالة منصبه ﷺ ومكانته عند الله ﷺ بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه الصلاة والسلام، بناءاً على جهلهم بشأنه الجليل، وتعريف (الناس) للاستغراق، أفاده أبو السعود (١٤). أي: فمن أين يتصور لك الشؤم وقد أرسلت داعياً العموم إلى الخيرات، فأنت منشأ كل خير ورحمة ﴿ وَكُفَّنَ مِاللَّهُ أَي على رسالتك وصدقك، بإظهار المعجزات على يديك، أي: وإذ (٥) ثبتت رسالتك، فاليمن في طاعتك، والشؤم في مخالفتك (١٥).

فصل

قال محمد تقي الدين: قال العلماء: لما كان الجزاء من جنس العمل؛ كان لكل حسنة جزاءان، ولكل سيئة جزاءان، فمن تصدق بصدقة وقبلها الله منه جزاه الله عليها حسنتين:

⁽۱) أخرجه الترمذي برقم (٣٢٥٢)، وعبد بن حميد _ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٥) _ وهو ضعيف، فيه مجهول، وانظر: «تحفة الأشراف» (٦/ ٤٤٧).

⁽٢) في الأصل: «نكثة»! والمثبت من «جامع الترمذي».

⁽٣) القائل المتنبي. انظر: «شرح ديوان المتنبي» لعبد الرحمٰن البرقوقي (٣/ ٢١، ط. دار الكتاب العربي).

⁽٤) في «تفسيره» (٢/ ١٤٦١). (٥) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «وإذا».

⁽٦) انظر: «تفسير القاسمي» (٥/ ٣١٦ ـ ٣١٨).



الأولى: أنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، كما جاء في الحديث: «ويكتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة»(١). والحسنة الثانية: وهي الجزاء الثاني أن الله يوفقه بسببها إلى عمل حسنة أخرى، وهكذا دواليك. وكذلك السيئة يجزي عليها سيئتين: الأولى: إن الله يكتبها عليه سيئة. والثانية: إنها تجرُّه إلى سيئة أخرى، وهكذا دواليك؛ لخصت هذا من «شرح الطحاوية».

تنزيه الله تعالى عن الظلم

نزّه الله تعالى نفسه عن الظلم في آيات كثيرة، قال تعالى في الآية: ﴿إِنَّ اللّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِن لَدُنّهُ أَبَوًا عَظِيمًا ﴿ لَكُ اللّهِ اللّهِ اللّهُ مَنْ اللّهُ وقال تعالى في سورة غافر: ﴿ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ الللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ اللهُ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللل

قال صاحب «التيسير»: «يخبر تعالى أنه لا يظلم أحداً يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة، بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوْنِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله على عديث الشفاعة الطويل وفيه: «فيقول الله على: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار» وفي لفظ، «أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً» ثم

⁽۱) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو بسيئة (٦٤٩١)، ومسلم كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة (١٣١) من حديث ابن عباس، وهو قطعة من حديث إلهي.



يقول أبو سعيد: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةً ﴾ (() [النساء: ١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِن لَدَّنَهُ أَجْرًا عَظِيمًا وَ وى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: قلت: «يا أبا هريرة سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول: سمعت رسول الله على يقول: «إن الله يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة» فقال أبو هريرة: والله بل سمعت نبي الله على يقول: «إن الله يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة»، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَا فِ الْاَحْدَرَةِ إِلَا قَلِيدً ﴾ (١) «()).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمُؤُمَ تَجُزَىٰ كُلُّ نَفْسِ بِمَا كَسَبَتَّ لَا ظُلْمَ ٱلْمُؤُمَّ إِنَ ٱللَّهَ سَرِيعُ

⁽۱) أخرجه البخاريّ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبُوهُ يَوَمَهِذِ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِهَا نَاظِرَةٌ ﴿ ٧٤٣٩﴾ (٧٤٣٩)، ومسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١٨٣) من حديث أبي سعبد الخدري.

⁽۲) أخرجه أحمد في «المسند» (۲۹٦/۲، ۲۹۱ ـ ۵۲۲)، وابن أبي حاتم (۲/ ۱۰۰۳۰)، والطبري (۹۱/۵) في «تفسيريهما»، وإسناده ضعيف، فيه علي بن زيد بن جدعان، وقال ابن كثير في «تفسيره» عقبه: «هذا حديث غريب، وعلى بن زيد بن جدعان عنده مناكير».

⁽٣) انظر: «تيسير العلى القدير» (١/ ٣٨٩).

⁽٤) في مطبوع "تيسير العلي القدير": "بإهلاكهم".

⁽٥) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «عَلَيْهُ».

⁽٦) أخرجه البخاريُّ كتاب التفسير، باب ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِى ظَلِيَّةُ إِنَّ أَخَذَهُۥ الْمِيدُ ﴿ كَالَبُهُ إِنَّ أَخَذَهُۥ الْمِيدُ ﴿ ﴿ ٢٥٨٣)، ومسلم كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري عَلَيْهُ، وما سبق من «تيسير العلي القدير» (٢/ ٤٦١ - ٤٦٢).

لَجْسَابِ اللهِ الْمَالِمِ الْمَالِمِ اللهِ اللهُ اللهِ اله

"وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَبُ ﴿ الْكهف: ٤٩] أي: كتاب الأعمال الذي فيه المجليل والحقير والصغير والكبير ﴿فَرَى ٱلْمُجْرِمِنَ مُشْفِقِينَ مِثَا فِيهِ أي: ملن أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَوَيَلْنَا ﴾ أي: يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا: ﴿مَالِ هَذَا ٱلْكِتَبِ لا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرً إِلاّ أَحْصَاهُ وضبطه، وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال: "لما فرغ رسول الله على من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء "، فقال النبي على: "اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً، فقال النبي على الرجل منكم كها جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنها محصاة عليه (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ﴾ أي: من خير أو شر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَلَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَلَ﴾ تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَلَا﴾ أحكا ﴾ أي: فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعاً ولا يظلم أحداً من خلفه، بل يعفو

⁽١) في مطبوع «تيسير العلى القدير» زيادة: « ﴿ اللَّهُ اللَّا اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّالَّ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللّ

⁽٢) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر والله .

⁽٣) انظر: «تيسير العلي القدير» (٢/ ٤٦١ _ ٤٦٢).

⁽٤) سنبق تخريجه.



ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي، ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين، وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم.

عن (۱) شعبة عن عثمان بن عفان (۲) أن رسول الله على قال: «إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة» ($^{(7)}$ ».

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ ﴾ الآية.

«ثم قال تعالى يعظ عباده، ويذكرهم زوال الدنيا، وإتيان الآخرة والرجوع اليه ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر، ويحذرهم عقوبته فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوكَّ وَ وَعَاشِ النبي عَلَيْ بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين، لليلتين خلتا من ربيع الأول، رواه ابن أبي حاتم، وقد رواه ابن مردويه عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهِ ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللللللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللللَّهُ الللللللللللل

⁽١) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «وعن».

⁽٢) في مطبوع «تيسير العلى القدير» زيادة: «﴿ فَإِلَيْهُمْ عُدِينًا ».

⁽٣) أخرجه أحمد (١/ ٧٢) و(٢/ ٢٣٥ و٣٢٣) وسبق تخريج الحديث في التعليق على (ص١٥٦)، وبيان أن هنالك وسائط بين شعبة وعثمان، وأن الحديث صحيح بلفظ آخر نحه.

⁽٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ٧٨ _ ٧٩).

⁽٥) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى (١٠٩٩١) _ وهو في «التفسير» (٧٧، ٧٧) _، والطبري في «المحاس في «معاني القرآن» (٢١٢/١)، وابن النحاس في «معاني القرآن» (٢١٢/١)، وابيههي في «الدلائل» (٧/ ١٣٧)، وإسناده صحيح.

⁽٦) أخرجه ابن جرير الطبري (٥/ ٦٨)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٣٩٩)، و«أسباب النزول» (ص٠١)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٣٧)، وإسناده ضعيف.

وورد عند البيهقي: «نزلت وبينها وبين موت رسول الله ﷺ واحد وثمانون يوماً».

وثبت في «صحيح البخاري» (٤٥٤٤) عن ابن عباس: «آخر آية نزلت آية الربا»، والمراد ختام الآيات المنزلة في الربا، وانظر لمزيد بسط في التوفيق: «فتح الباري» (٨/٥٠٥)، و«البرهان» للزركشي (١٠٥/١).

⁽V) انظر: «تيسير العلى القدير» (١/ ٢٤٠).



وأيضاً فإن قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ الآية [١١٢] من سورة طه. قد فسره السلف، بأن الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم: أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْدَ أُخْرَكُ ﴾ الآية [١٥] من سورة الإسراء.

وأيضاً: فإن الإنسان لا يخاف الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يأمن من ذلك، وإنما يأمن مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلا يَعَافُ ﴾ علم أنه ممكن مقدور عليه. وكذا قوله: ﴿لا تَغْنَصِمُوا لَدَى ﴾ الآية [٢٨] سورة ق، إلى قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَيرِ الْعَبِيبِ لم يعن بها نفي ما لا يقدر عليه ولا يمكن منه، وإنما نفى ما هو مقدور عليه ممكن، وهو أن يجزوا بغير أعمالهم. فعلى قول هؤلاء ليس الله منزهاً عن شيء من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يفعله، بل كل ممكن فإنه لا ينزه عن فعله، بل فعله حسن، ولا حقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له، والقرآن يدل على نقيض هذا القول، في مواضع نزه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له ولا ينبغي له، فعلم أنه منزه

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قولي».

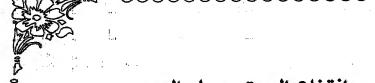
⁽۲) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «و».

⁽٣) من مطبوع «شرح الطحاوية»، وسقط من الأصل.



⁽۱) انظر: «شرح الطحاوية» (۵۰۷ ـ ۵۰۹).







انتفاع الميت بعمل الحي

قال محمد تقي الدين: عفا الله عنه ووفقه للصواب:

رب وفِّقني فلا أعدل عن سنز الماضين في خير سنن

ترددت في إثبات هذه المسألة في هذا الكتاب؛ لأنها ليست من الأسماء والصفات، وقد أثبتها الإمام الطحاوي في «عقيدته» وأهل هذا الزمان في أشد الحاجة إلى معرفة الحق في هذه المسألة. قال الله تعالى في سورة الحشو: ﴿وَالنَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبّنَا أَغْفِر لَنَا وَلِإِخْرَنِنَا اللَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيكِنِ وَوَالنَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعْدِهِم يَقُولُونَ رَبّنَا أَغْفِر لَنَا وَلِإِخْرَنِنَا اللَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيكِنِ وَلَا تَعْمَلُ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبّنَا إِنْكَ رَءُوقٌ رَحِمُ ﴿ وَاللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا يَقِلُ وَلِللَّهُ وَلِللَّهُ وَلِللَّهُ وَلَا تَعْلَى في سورة الإسراء: وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُ رَبِّ النَّهُ وَالسَّعْفِرُ لِذَيْكَ وَلِلْمُومِينِنَ وَالْمُؤْمِئِنَ وَاللَّهُ مِنْكُمُ اللَّهِ اللَّهُ وَالسَّعْفِر لِذَيْكَ وَلِلْمُؤْمِئِينَ وَالْمُؤْمِئِينَ وَاللَّهُ مِنْكُمُ مُنْقَلِّكُمُ مُنْقَلِّكُمُ اللَّهِ اللَّهُ وَالسَّعْفِرُ لِذَيْكَ وَلِلْمُؤْمِئِينَ وَالْمُؤْمِئِينَ وَاللَّهُ مُنْقَلِّكُمُ اللَّهِ اللَّهُ وَالسَّعْفِرُ لِذَيْكَ وَلِلْمُؤْمِئِينَ وَالْمُؤْمِئِينَ وَاللَّهُ مِنْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَالسَّعْفِر لِذَيْكَ وَلِلْمُؤْمِئِينَ وَالْمُؤْمِئِينَ وَاللَّهُ مِنْكُمُ مُنْقَلِّكُمُ مُنْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَالسَّعْفِرُ لِذَيْكَ وَلِلْمُؤْمِئِينَ وَالْمُؤْمِئِينَ وَاللَّهُ مِنْكُمُ مُنْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ لَكُولُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَا لَعْلَى اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ الللللّهُ اللّ

تفسير آية الحشر [١٠]: قال صاحب «التيسير»: «قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَنُونَ مِنْ بَعَدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِآلِإِيمَنِ وَلَا بَبَعَلْ فِي قُلُونِنا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَمُوثُ رَحِيمُ ﴿ الحشر: ١٠] هؤلاء القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء. وهم المهاجرون ثم الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّبِقُونَ ٱلْأَوّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَجِينَ وَٱلأَنْصَارِ وَالْذِينَ التَّعَوَّمُ بِإِحْسَانِ رَضِى اللهُ عَنَهُم وَرَضُوا عَنْهُ [التوبة: ١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة، وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَذِينَ جَآمُو مِنْ بَعْدِهِمْ وَالْعَلانية، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَذِينَ جَآمُو مِنْ بَعْدِهِمْ وَلَا تَعْمَلُ فِي قُلُونِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِآلِابِئَنِ وَلَا تَجْعَلُ فِي قُلُونِنَا غِلَا اللهِ بَعْمَلُ فِي قُلُونِنَا عَلَاكُ رَمُونُ رَبِيمٌ وما أحسن ما استنبط أي: بغضاً وحسداً ﴿ لِلَذِينَ ءَامَنُوا رَبَنَا إِنَّكَ رَمُونُ رَحِيمٌ وما أحسن ما استنبط أي: بغضاً وحسداً ﴿ لِلَذِينَ ءَامَنُوا رَبَنَا إِنَّكَ رَمُونُ رَحِيمٌ وما أحسن ما استنبط أي: بغضاً وحسداً ﴿ لِلَذِينَ ءَامَنُوا رَبَنَا إِنَّكَ رَمُونُ رَحِيمٌ ﴿ وما أحسن ما استنبط



الإمام مالك(١) تَطَلَّقُهُ من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِآلٍيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوثٌ رَحِيمٌ ﴾.

قال ابن جرير عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَكِينِ ﴿ حتى بلغ _ ﴿ عَلِيمُ حَكِيمٌ ﴾ ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْئَى ﴾ الآية، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿ مَّا أَفَاءَ ٱللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهْلِ ٱلْقُرَى فَلِلّهِ وَلِلزَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْئَى فَلِلّهِ وَلِلزَّي وَلِذِى ٱلْقُرْئَى فَلِلّهِ وَلِلزَّي اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِن أَهْلِ ٱلقُرْئَى فَلِلّهِ وَلِلزَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى مِن أَهْلِ اللّهُ عَلَى مَنْ أَهْلِ اللّهُ عَلَى مَنْ وَلَيْكِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى فَلْ مَنْ فَلَاء ﴾ ﴿ وَالّذِينَ اللّهُ وَلَذِى ٱلْقُرْبَى مِن قَلْمِهُ مِن اللّهُ عَلَى مَنْ أَلَا اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْ مَنْ وَلَهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

(١) احتج مرة بقوله تعالى عن الصحابة: ﴿لِغِيظَ بِهِمُ ٱلكُفَّارُ ﴾ [الفتح: ٢٩]، فقال: «فمن عابهم فهو كافر، ولا حق لكافر في الفيء».

ذكره القاضي عياض في «الشفاء» (٢٦٨/٢)، و«ترتيب المدارك» (٤٦/٢ ـ ٤٧)، وعنه الشاطبي في «الاعتصام» (٣٠ ٤ ـ ٤٥٧)، وأخرجه بسنده إلى مالك: أبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٦)، والضياء المقدسي في «النهي عن سبّ الأصحاب» رقم (٣٣)، والخلال في «السنة» رقم (٧٦٠)، والجوهري في «مسند الموطأ» رقم (٨٤)، ورشيد العطار في «مجرد أسماء الرواة عن مالك» رقم (١١١٥).

وذكر نحوهما عن مالك القرطبي في «تفسيره» (٢٩٦/١٦)، وقال: «قلت: لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله».

ذكر ذلك عن مالك: الحميدي في "أصول السنة" (ص٣٩)، والبغوي في "شرح السنة" (١٩٢/٢)، والقاضي عياض في "الشفاء" (٢٦٨/٢)، والقرطبي في "تفسيره" (٢٩٦/١٦) و٢٩٧ و٢٩/ ٣٩)، والنصارم المسلول" (٢٩٠)، والساطبي في "الموافقات" (٤/ ١٩٤)، و"الاعتصام" (٣/ ٤٥٧)، والسيوطي في "الأمر بالاتباع" (ص٢٧ - بتحقيقي)، وابن حجر الهيتمي في "الصواعق المحرقة" (٢٥٢).

وأخرجه عنه مسنداً: ابن أبي زمنين في «أصول السنة» رقم (١٩٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧/ رقم ٢٤٠٠)، والجوهري في «مسند الموطأ» (ص١١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٥)، وابن عبد البر في «الانتقاء» (٣٥)، والضياء المقدسي في «النّهي عن سبّ الأصحاب» (رقم ٣٢)، والخطيب كما قال القرطبي في «التفسير» في «التفسير» وهو صحيح عنه.



يُحِبُّونَ﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنْ بَعَدِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَءُونُ رَّحِيمُ﴾، ثم قال: استوعبت هذه المسلمين عامة، وليس أحد إلا وله فيها حق، ثم قال: لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرد(١) حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه)(٢).

قال محمد تقي الدين: «إن المراد هنا دعاء الأحياء للأموات مشروع وينفعهم الله به إذا ماتوا موحدين، وقد أجمع على ذلك أهل السنة.

تفسير آية نوح: «ثم قال: ﴿ رَّبِ أَغْفِرُ لِي وَلِوَلِدَى وَلِمَن دَخَلَ بَيْقٍ مُؤْمِنًا ﴾ أي: لكل من دخل بيته مؤمناً. روى الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الحدري أنه سمع رسول الله على يقول: «لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤمِناتِ وذلك يعم الأحياء منهم والأموات، أما الظالمون فلا تزدهم إلا خساراً في الدنيا والآخرة » (٤).

تفسير آية الإسراء: ﴿ وَقُل رَّبِ أَرْحَهُمَا كُمَّ رَبَيَانِي صَغِيرًا ﴾ أي: ارحمهما في كبرهما وعند وفاتهما. قال ابن عباس: ثم أنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُولِي قُرِينَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَمُمُّمَ أَنَهُمُ أَضَحَتُ لَلْمُحْدِيدِ ﴿ اللَّهُ اللّهُ ال

قال محمد تقي الدين: وفيه أيضاً دليل على مشروعية الدعاء ونفعه للوالدين في حال حياتهما وبعد مماتهما.

قال الإمام محمد صديق حسن القنوجي في تفسير آية القتال ما نصه:

⁽١) في مطبوع «تيسير العلى القدير»: «بسرو».

⁽۲) أخرجه أبو داود (۲۹٦٦)، وعبد الرزاق (۲/ ۲۸۳)، وابن جرير (۲۱/ ۲۱۵) في «الأموال» (۱٪ «تفسيريهما»، وأبو عبيد (٤١)، وابن زنجويه (۸٤، ۲۷۲) كلاهما في «الأموال» (۱٪ ۳۵۲)، وعزاه في «الدر المنثور» (۱۹۳/ الى عبد بن حميد وأبي داود في «ناسخه»، وابن المنذر وابن مردويه، وله طرق تؤكد أن له أصلاً، وانظر: «مسند الفاروق» (۲/ ۱۹۳۳) لابن كثير. وما سبق من «تيسير العلى القدير» (۲/ ۳۳۷).

⁽٣) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والطيالسي (٢٢١٣)، وابن حبان والدارمي (١٣١٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٦٤)، وأبو يعلى (١٣١٥)، وابن حبان (٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٠)، والحاكم (١٢٨/٤)، والخطابي في «العزلة» (ص١٤٢)، والبغوي (٣٤٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٩٣٨٣)، وإسناد أحد الطريقين حسن.

⁽٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٤/ ٤٣١). (٥) انظر: «تيسير العلي القدير» (٣/ ٢١).



"﴿ فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَآ إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي: إذا علمت أن مدار الخير هو (١) التوحيد والطاعة، ومدار الشر هو الشرك والعمل بمعاصي الله، فاعلم أنه لا إله غيره ولا رب سواه، والمعنى: اثبت على ذلك، واستمر عليه، ودمُ على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية؛ فإنه النافع يوم القيامة؛ لأنه على قد كان عالماً بأنه لا إله إلا الله قبل هذا. ويدل عليه قوله على: "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه مسلم (٢).

﴿ وَٱسْتَغْفِرٌ لِلْاَئِكَ ﴾ أي: استغفر الله أن يقع منك ذنب أو استغفر الله ليعصمك أو استغفره مما ربما يصدر (٣) من ترك الأولى. قال القاضي عياض: إن المراد به الفترات والغفلات عن (٤) الذكر الذي كان شأنه عليه الدوام عليه، فإذا فتر وغفل عدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه (٥).

﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَهِذَا إكرام من الله وَالله الله الله الله الله الله تعالى. عن نبيه وهو الشفيع المجاب فيهم، إن شاء الله تعالى. عن ابن عمرو (٢) عن النبي عَلَيْ قال: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار» ثم قرأ: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَهُ لَا إِلَهُ إِلَّا الله الآية » (واه الطبراني.

⁽١) في مطبوع «فتح البيان»: «هم».

⁽٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٢٦) من حديث عثمان بن عفان ﷺ.

⁽٣) في مطبوع «فتح البيان» بزيادة: «منك». (٤) في مطبوع «فتح البيان»: «من».

⁽٥) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٣٢٨).

⁽٦) في الأصل: «ابن عمر» وكذا في «المجمع» (١٠/ ٨٤)! والصواب المثبت، كما في مصادر التخريج، و«فتح البيان» (٣٢٨/٦).

⁽٧) أخرجه الطبراني (١٢٩ ـ قطعة من الجزء (١٣)) بإسناد ضعيف جداً، قال الهيثمي في «المجمع» (١/١٨): «فيه الإفريقي وغيره من الضعفاء» قلت: فيه داود بن المحبر متروك، وسعيد بن راشد مجهول.

وأوله: «ما من الذكر أفضل...»، واللفظ الذي عند المصنف نقله من «فتح البيان» (٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، وعزاه ـ تبعاً لـ «فتح القدير»، و «الدر المنثور» ـ لابن مردويه والديلمي أضاً.

ويغني عنه: ما أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١)، وابن ماجه (٣٨٠)، وابن حبان (٢٣٢٩)، والطبراني في «الدعاء» (٣٨٠)، والخرائطي =



وعن أبي هريرة في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرٌ لِذَنْبِكَ ﴾ قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْهِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّزاقِ والترمذي وصححه، وأصله في البخاري. وفي رواية: «أكثر من سبعين»(٢).

وعن عبد الله بن سَرْجَس قال: «أتيت النبي ﷺ فأكلت معه من طعام، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله! قال: ولك، فقيل: أستغفر لك يا رسول الله؟! قال: نعم وقرأ: ﴿وَاسْتَغْفِرَ لِذَبُكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْلًا الللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ واللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَالْعَالَةُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعَامُ وَاللَّهُ وَالْعَامُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْعَالَمُ وَالْعَلْ

وروى مسلم عن الأغر المزني قال: سمعت رسول الله على يقول: "إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة" (أ) وللعلماء في هذا الغين كلام طويل لا يسعه هذا الموضع، قال ابن الأثير في "النهاية" (أ): "الغين الغيم. وغينت السماء تغان: إذا أطبق عليها الغيم. وقيل: الغين: شجر ملتف.

أراد: ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر؛ لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عرض له وقتاً ما عارض بشري يشغله من أمور المملة ومصالحها عدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً فيفزع إلى الاستغفار»، انتهى.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّكُمُ فَي الدنيا في أعمالكم ومعايشكم ومتاجركم ﴿ وَمَنْوَنَكُرُ ﴾ في الدار الآخرة، قاله ابن عباس (٦٠).

⁼ في «فضيلة الشكر» (٧)، والحاكم (١/ ٤٩٨)، والبغوي (٥/ ٤٩)، وفي «التفسير» (٤/ ١٥٥)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١١٧)، وابن عبد البر (٤٢/٩) من حديث جابر رفعه: «أفضل الذكر (وفي رواية: الكلام) لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء (وفي رواية: الشكر) الحمد لله»، وإسناده حسن، وانظر: «الصحيحة» (١٤٩٧).

⁽۱) هي رواية البخاري (٦٣٠٧).

⁽۲) أخرجه الترمذي (۳۲۰۹)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٣١ ـ ٤٣٨)، وأحمد (٢/ ٢٨، ٢٨٠)، والبيهقي «الدعاء» (١٨٢٠ ـ ١٨٣٨)، وابن حيان (٩٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٨ و ٢٣٩)، والبغوي (١٢٨٥)، وأبو نعيم (١٨٨/١)، وأصله عند البخاري (١٨٠٧).

⁽٣) أخرجه أحمد (٨٢/٥)، ومسلم (٢٣٤٦)، والترمذي في «الشمائل» (٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٩٦)، وهو في «عمل اليوم والليلة» (٢٢٢) منه وغيرهم.

⁽٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٠٠٢) من حديث الأغر المزنى اللهاء.

⁽٥) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٠٣) باب الغين مع الباء، مادة «غين».

⁽٦) انظر: «فتح البيان» (٦/ ٣٢٩).



قال محمد تقى الدين: وهذا أيضاً يدل بوضوح على أن الدعاء للميت مشروع ونافع له. وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلُّمهم إذا خرجوا إلى المقابر: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» رواه مسلم(١) وقد أجمع المسلمون على الصلاة على الجنازة، وفيها الدعاء للميت ولغيره من الأحياء والأموات. وأما انتفاع الميت بالصدقة فعن عائشة أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن أمى افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل لها من أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»»(٢) متفق عليه، وكذلك ينتفع الميت بالحج عنه إذا وقع من قريب له. فقد روى الجماعة _ واللفظ للبخاري _ عن ابن عباس: «أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج، حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم حجِّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء»(٣)، وعن ابن عباس: «إن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: لبيك عن شبرمة قال: «من شبرمة»؟ قال: أخ لي أو قريب لي قال: «حججت عن نفسك» قال: لا، قال: «حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة»(١) وأما حج البعيد بأجرة أو بغيرها فلم يرد فيه شيء عن النبي ﷺ فيما نعلم، ولذلك نعتبره غير جائز، ولا يجوز لأحد أن يثبته بالقياس؛ لأن القياس لا يدخل في العبادات؛ لأنها توقيفية محدودة وقد بلغها النبي ﷺ، فلا يجوز لنا أن نزيد فيها شيئاً.

أما الصوم عن الميت، فقد وردت فيه أحاديث، أذكر بعضها هنا؛ الأول:

⁽۱) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يُقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم (٩٧٥) من حديث بريدة.

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الوصايا، باب ما يُستحبُّ لمن يُتوفّى فجأة أن يتصدقوا عنه وقضاءِ النذور عن الميِّت (٢٧٦٠)، ومسلم كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه (١٠٠٤) من حديث عائشة ﴿

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الحج، باب الحج والنذور عن الميتِ والرجُلُ يَحُجُّ عن المرأة (٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الحيام، باب قضاء الصيام (١٨٥٢) من حديث المرأة الجهنية. وبنحوه عند مسلم كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٧).

⁽٤) أخرجه أبو داود (١٨١١)، وابن ماجه (٢٩٠٣)، وابن الجارود (٤٩٩)، وابن حبان (٩٦٢)، والدارقطني (٢٧٦)، والبيهقي (٣٣٦/٤)، والطبراني في «المعجم الكبير»، والضياء في «المختارة»، والحديث صحيح.



قال أبو داود بسنده إلى عائشة أن النبي على قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» (۱) ، قال أبو داود: هذا في النذر وهو قول أحمد بن حنبل. والثاني: عن ابن عباس قال: «إذا مرض الرجل في رمضان ثم مات ولم يصح، ولم يصم أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء، وإن نذر نذراً قضى عنه وليه» (۲) رواه أبو داود. الثالث: في «الصحيحين» عن ابن عباس: «جاءت امرأة إلى رسول الله عقالت فقالت: يا رسول الله ، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر، أفأصوم عنها؟ فقال: «أرأبت لو كان على أمك دين قضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟» قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك» (۱) هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري نحوه، وفي «الصحيحين» عنه أيضاً: «أن امرأة جاءت فقالت: يا رسول الله إن أحتي ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين (٤). وذكر الحديث بنحوه.

قال محمد تقي الدين: نفهم من هذه الأحاديث: إن الميت إذا مات وعليه صيام نذر، صامه عنه وليه، وإن كان عليه صيام رمضان، فقد قال ابن عباس: «يطعم عنه»، ولم يرفع ذلك إلى النبي على فلا حجة فيه، وكذلك لو مات الميت وعليه دين، فأسقطه عنه صاحب الدين، أو قضاه عنه شخص آخر، أو كانت لأحد عليه مظلمة، فعفا عنه المظلوم، نفعه ذلك.

الأمور المبتدعة التي لا تنفع الميت

أولها: ما يسمى عند المغاربة بعشاء القبر، عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر حين قتل، قال رسول الله على: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد أتاهم ما يشغلهم» (٥) أخرجه الخمسة إلا النسائي.

⁽۱) أخرجه أبو داود برقم (۳۳۱۱)، وأخرجه مسلم كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت (۱۱٤۷) من حديث عائشة باللفظ المذكور.

⁽۲) أخرجه أبو داود برقم (۲٤٠١)، والبيهقي (٤/ ٢٥٥) وإسناده صحيح غاية، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» (۱٦٣/٧ ـ ١٦٤) لشيخنا الألباني.

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصيام، باب مَن مات وعليه صوم (١٩٥٣)، ومسلم في كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت (١١٤٨) من حديث ابن عباس على الميام

⁽٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب الصيام، باب مَن مات وعليه صَوم (١٩٥٣).

⁽٥) أخرجه أبو داود برقم (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، والترمذي (٩٩٨)، وأحمد (١/ ٢٠٥)، وعبد الرزاق (٦٦٦٥)، والحميدي (٥٣٧)، والشافعي (٢١٦/١)، وأبو يعلى =



قال الشيخ أحمد في «حاشيته على بلوغ المرام»(١) ما نصه: «قوله: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً...» إلخ الحديث حسنه الترمذي وصححه ابن السكن، وأخرجه أيضاً أحمد وابن ماجه والطبراني من حديث أسماء بنت عُمَيس (٢) وهي والدة عبد الله.

وفي الحديث مشروعية القيام بمؤونة أهل الميت مما يحتاجون إليه من الطعام؛ لاشتغالهم عن أنفسهم بما دهمهم من المصيبة. قال الترمذي: «وقد كان بعض أهل العلم يستحب أن يوجه إلى أهل الميت بشيء لشغلهم بالمصيبة، وهو قول الشافعي» وأما اجتماع الناس عند أهل الميت وأكل الطعام عندهم، فهو من مراسم الجاهلية، ويعد ذلك بعد الإسلام من أنواع النياحة المنهي عنها؛ لما في ذلك من مخالفة للسنة؛ لأنهم مأمورون بأن يضعوا لأهل الميت طعاماً، فخالفوا ذلك وكلفوهم صنعة الطعام لغيرهم؛ أخرج أحمد وابن ماجه عن جرير بن عبد الله البجلي بسند صحيح قال: «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة؟» (٣).

وجرير بن عبد الله بن جابر البجلي صحابي مشهور، فقوله: «كنا نعد» في حكم الحديث المرفوع، فيا عجباً للعلماء الذي لا ينهون الناس عما شاع في هذا الزمان من الاجتماع عند أهل الميت وأكل الطعام عندهم»!

ثانيها: قراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات بأجرة أو بغير أجرة، قال تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿ النَّابِمِ: ٣٩].

^{= (}٦٨٠١)، والحاكم (١/ ٣٧٢)، والبيهقي (١/ ٦١)، والبغوي (١٥٥٢)، وإسناده حسن.

⁽۱) حاشية على بلوغ المرام، أحمد حسن الدهولي (طبع بيروت سنة ١٣٩٤هـ). انظر: «دليل مؤلفات الحديث الشريف» (٤٠٦) «جامع الشروح والحواشي» لعبد الله محمد الحبشي (١/ ٤٩٩).

⁽۲) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٠)، وابن ماجه (١٦١١)، والواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٦٧)، وعبد الرزاق (٦٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٣٨٠، ٣٨١)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٧٠)، وفي إسناد أحمد أم عيسى الجزار قال ابن حجر: «لا يعرف حالها» وفيه أيضاً أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، لم يرو عنها سوى ابنها. والحديث صحيح، بشاهده السابق من حديث عبد الله بن جعفر وللها.

⁽٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٤)، وابن ماجه (١٦١٢)، والأثر صحيح، وفي إسناد أحمد شيخه نصر بن باب ضعيف، إلا أنه متابع.



قال صاحب «التيسير في اختصار ابن كثير» ما نصه: «وقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّتِسَ لِلْإِسْكِينِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ١٠٠ أي: كما لا يُحمل عليه وزر فيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استتبط الشافعي - عليه رحمة الله ومن اتبعه - أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة (١)، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فمجمع (٢) على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما، وأما الحديث الذي رواه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله على: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به»(٣) فهذه الثلاثة في الحقيقة، هي من: سعيه وكده وعمله، كما جاء في الحديث: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه (٤)، والصدقة (٥) كالوقف ونحوه وهي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمُوَّكَ وَنَكَتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَالنَّرَهُمُّ الآية [يس: ١٦]، والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضاً من سعيه وعمله، وثبت في «الصحيح»: «ومن دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيء"(۲)(۲).

⁽١) في مطبوع «التيسير»: «هُوا». (٢) في مطبوع «التيسير»: «فذاك مجمع».

⁽٣) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسانَ من الثواب بعد وفاته حديث (١٦٣١) من حديث أبي هريرة.

⁽٤) أخرجه أبو داود (٣٥٢٨ و٣٥٢٩)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٧/ ٢٤١)، وفي «الكبرى» (٦٠٤٠، ٢٤٦)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، وأحمد (٢/ ٤٢)، وإسحاق بن راهويه (١٥٠٧)، (١٥٦١، ١٥٠١) في «مسنديهما»، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥٧ و١/ ١٩٦١)، وابن حبان (٢٢٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٤٨٣)، والبغوي (٢٣٩٨)، والبيهقي (٧/ ٤٨٠) من حديث عائشة، وهو حسن، وانظر: «الإرواء» (١٦٢٦).

⁽٥) في مطبوع «تيسير العلي القدير»: «والصدقة الجارية».

⁽٦) أُخَرِجه مسلم في كتاب العلم، باب من سنَّ سنةَ حسنةَ أو سيئةَ (٣٦٧٤) من حديث أبي هريرة رظيمة.

⁽٧) انظر: «تيسير العلى القدير» (٤/ ٢٦٤).



قال محمد تقي الدين: لقد صدق الحافظ ابن كثير وصدق الإمام الشافعي وبر في إبطال بدعة إهداء ثواب القرآن إلى الأموات، فإن الإنسان لا يهدي إلا ما يملك، وثوابه القرآن لا يملكه الإنسان؛ لأنه لا يعلم أتقبل منه أم لم يتقبل، هذا إذا قرأه لله، وأما إذا قرأه بأجرة فلا ثواب له قطعاً. قال البخاري: "باب إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تأكّل به، أو فَخَر به"، ثم روى بسنده إلى علي بن أبي طالب قال: سمعت النبي على يقول: "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة" ثم روى من طريق مالك عن أبي سعيد الخدري لمن قتلهم يوم القيامة" ثم روى من طريق مالك عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله على يقول: "يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية..." ")، الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": "معنى "تأكّل": طلب الأكل بقراءة القرآن، قوله: "سفهاء الأحلام" أي: العقول، وقوله: "لا يجاوز حناجرهم" معناه: أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم؛ لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه لا يصل إلى القلب"، ثم قال: "ومناسبة هذين الحديثين للترجمة أن القراءة إذا كانت لغير الله فهي للرياء أو للتأكّل به ونحو ذلك" (٥).

ثم قال الحافظ: «روى^(٦) أبو عبيد «في فضائل القرآن» من وجه آخر عن أبي سعيد وصحح الحاكم رفعه: «تعلموا القرآن واسألوا الله به، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة نفر: رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرؤه لله»^(٧)».

⁽١) أخرجه البخاريُّ في كتاب المناقب، باب علاماتِ النبوةِ في الإسلام (٣٦١١) من حديث علي ظليه.

⁽٢) في الأصل: «بطريق»!!

 ⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل القرآن، باب مَن راءىٰ بقراءة القرآن أو تأكّل به أو فَخَرَ به (٥٠٥٨).

⁽٤) في مطبوع «فتح الباري» من غير: «بقراءة القرآن».

⁽٥) انظر: «فتح الباري» (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٦). (٦) في مطبوع «فتح الباري»: «وقد أخرج».

⁽٧) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (٢/ ٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم =



ثم قال: «وأخرج أحمد وأبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن شبل رفعه: «اقرؤوا القرآن ولا تغلوا فيه ولا تجفوا(۱) عنه ولا تأكلوا به»(۲) الحديث وسنده قوي»(۳).

وقال في «الجامع الصغير»: ««اقرؤوا القرآن وابتغوا به الله، من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القِدْح، يتعجَّلونه ولا يتأجَّلونه» (٤) رواه أحمد وأبو داود عن جابر» (٥)، انتهى.

"ومعنى "يتعجلونه": أي: يطلبون به أجراً دنيوياً، كالمال والجاه، فيكون حجة عليهم، ويكون شاهداً عليهم وسائقاً لهم إلى النار يوم القيامة؛ نسأل الله العافية. ومن الأدلة على أن قراءة القرآن وإهداء ثوابها إلى الأموات بدعة باطلة محدثة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس عن النبي على: أنه مر بقبرين يعذّبان [فقال: "إنهما ليُعَذّبان](٦)، وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير، أما أحدهما عكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله فدعا بجريدة خضراء، فشقها شقين، وجعل أحدهما على أحد القبرين، وجعل الشق الثاني على القبر الثاني وقال: "لعله يخفف عنهما ما لم يبسا"(١)». اه.

^{= (}٢٣٨٩) (٤/ ١٩٨/٤)، ط. مكتبة الرشد)، وفي إسناده ابن لهيعة، وعند أحمد (٣/ ٣٧) ضمن حديث في آخره: «وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله، ولا يرعوي إلى شيء منه» وهو من (مسند أبي سعيد)، وفي إسناده أبو الخطاب المصري، مجهول، والحديث حسن بشواهده الآتية.

⁽١) في مطبوع «فتح الباري»: «تحفوا».

⁽۲) أخرجه الإمام أحمد (۳/ ۲۸)، وأبو عبيد في «الفضائل»، وأبو يعلى (١٥١٨)، والبزار (٢٠٩٠) والطحاوي (٣/ ١٥٠٨)، والطحاوي (٣/ ١٥٠٨)، والطحاوي (٣/ ١٥)، والبيهقي (٢/ ١٧) وفي «الشعب» (٢٦٢٤)، والإسناد قوي، كما قال ابن حجر، والحديث صحيح.

⁽٣) انظر: «فتح الباري» (٩/ ١٢٥ ـ ١٢٦).

⁽٤) أخرجه أبو داود (٨٣٠)، وأحمد (٣/ ٣٥٧، ٣٩٧)، وأبو يعلى (٢١٩٧) في «مسنديهما»، وعبد الرزاق (٦٠٣٤)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٠) في «مصنفيهما»، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٤١ ـ ٢٦٤٣)، والبغوي (٦٠٩) من حديث جابر بن عبد الله، وهو صحيح.

⁽٥) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٨٥) برقم (١٣٤١).

⁽٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُه من مصادر التخريج.

⁽٧) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر برقم (١٣٦١)، ومسلم، كتاب =

قال محمد تقي الدين: ولو كانت قراءة القرآن للأموات مشروعة ونافعة؛ لقرأ النبي على شيئاً من القرآن وجعل ثوابه لهما ولاقتدى به أصحابه، ففعلوا مثل ذلك، وقد كان النبي على يزور القبور كثيراً ولم يقرأ على أهلها شيئاً من القرآن، مع أن قراءته لا حد لثوابها، بل كان يدعو لهم ويعلم أصحابه إذا رأوا القبور ذلك الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن، وقد تقدم لفظه.

ومن الأدلة على أن قراءة القرآن وجعل ثوابها للأموات غير مشروعة: حديث أبي هريرة المتقدم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له»(١) الحديث، ولم يقل: يقرأ عليه القرآن، أو يدعوا المتأكلين بالقرآن، ويعطيهم أجرة ليقرؤوا ختمة من القرآن، ويجعلوا ثوابها لوالده، كما يفعل أهل هذا الزمان الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

بدعة عجيبة أخرى (الفدية)

من عجائب ما يقع في المغرب وينسب إلى الإسلام ـ وهو بريء منه ـ شيء يسمونه (الفدية) ـ وهو شائع عند الجهلة ـ يدعو أولياء الميت جماعة من البطالين المحتالين ليعملوا لهم «فدية» للميت، تنقذه من العذاب، وتجعله من أهل الجنة، فإذا كان قبره حفرة من حفر النار ينقلب في الحين روضة من رياض الجنة، وذلك أن أولئك البطالين يذكرون (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة، يتقاسمون العدد فيما بينهم، كل واحد بضعة آلاف، فيطعمهم ذلك المسكين، ويعطي كل واحد منهم شيئاً من الدراهم يأكلها سحتاً، قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ عَمْ الطَّيْرُونَ اللَّهُ اللَّهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّيْرُونَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

قال صاحب «التيسير» ما نصه: «يأمر تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله، ليدَّخروا الثواب عنده ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوَمٌ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَةٌ وَلَا شَفَعَةٌ ﴾ أي: لا يشتري نفسه ولو دُفِعَ ملء الأرض ذهباً ولا تنفعه

⁽١) سبق تخريجه.



الصحبة ولا القرابة، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، وقوله: ﴿وَٱلْكَافِرُونَ هُمُ الطَّالِمُونَ ﴾ أي: ولا ظالم أظلم ممن لقي الله كافراً»(١).

وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿قُل لِعِبَادِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا ٱلصَّلَوْةَ وَيُنْفِقُوا مِنْمَا وَنَ وَنَا عِنَا وَنَا عَلَى اللَّهِ اللَّهُ اللّلْلِيلَا اللَّهُ اللَّ

وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواً مَأْوَنكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَنكُمْ وَبِثْسَ ٱلْمَصِيدُ ۞﴾ الآية [١٥].

قال صاحب «التيسير»: ﴿ فَالْيُوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قُبل منه، وقوله تعالى: ﴿ مِن منه، وقوله تعالى: ﴿ مِن مَوْلَكُمْ مُولَكُمْ مَا لَاللَّهُ ﴾ أي: هي مصيركم، وقوله تعالى: ﴿ مِن مَوْلَكُمْ مُولَكُمْ مَوْلَكُمْ مَا مَن كل منزل على كفركم وارتيابكم ﴿ وَمِثْسٌ المَصِيرُ ﴾ ، أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم ﴿ وَمِثْسٌ المَصِيرُ ﴾ ، أن

قال محمد تقي الدين: والآيات في هذا المعنى كثيرة، فمن ثبته الله بالقول الثابت ورزقه حسن الخاتمة، فإنه يوفّقه عند سؤال القبر إلى الجواب الصحيح،

⁽۱) انظر: «تيسير العلى القدير» (١/٢١٦).

⁽٢) في مطبوع «تيسير العلى القدير» من غير: «له»!

⁽٣) بدلها في مطبوع «تيسير العلى القدير»: «بأن تباع نفسه».

⁽٤) انظر: «تيسير العلي القدير» (٢/ ٥٤٤). (٥) انظر: «تيسير العلى القدير» (٤/ ٣٠٩).

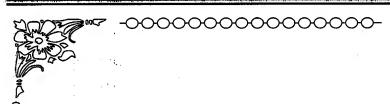


ويفسح له في قبره، ويكون قبره روضة من رياض الجنة، وذلك هو السعيد، فلا يرى إلا ما يسرُّه في البرزخ، ثم يبعثه الله ويحاسبه حساباً يسيراً، أو يكون من الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما جاء في الحديث الصحيح (۱) وإن أضله الله كما يضل الظالمين، وختم له بسوء جزاء وفاقاً، لم يوفق إلى إجابة سؤال الملكين فحقّت عليه كلمة العذاب، فلو اجتمع جميع أهل الأرض وذكروا لا إله إلا الله سنين عديدة لم يستطيعوا أن يخففوا عنه شيئاً من العذاب وإن قل، فهذه الفدية (۱) التي يعملها جهال المغاربة من البدع والضلالات ولا تجلب على فاعلها إلا مقت الله وغضبه، وأما الميت فإن كان موحداً لله متبعاً لسنة رسول الله على الما أولياؤه لم تضره، وإن كان موافقاً لأهلها موصياً لهم بها؛ زاده الله بها عذاباً.

⁽١) يريد حديث البراء الطويل، المتقدم (ص١٢١).

⁽٢) ونحوها صلاة يدعو لها الجهال تجبر _ على ذمة واضعها قاتله الله _ ذنوب ترك الصلاة مئتي سنة، وكشفتُ عن باطلها في آخر كتابي «القول المبين في أخطاء المصلين» (ص ٤٥١ _ ٤٥٣)، فلتنظر؛ لتحذر، لفعل بعض المشارقة لها، ولا قوة إلا بالله!





ما يعتقده المسلم في الخلفاء الراشدين وسائر أصحاب رسول الله أجمعين

قال شارح «الطحاوية»: «قوله: «ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق^(۱) تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة».

اختلف أهل السنة في خلافة الصديق (٢)، هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال: بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار؟

والدليل على إثباتها بالنص أخبار، من ذلك: ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة النبي على فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»(٣). والثاني: حديث(٤) حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله على «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»(٥). رواه أهل «السنن».

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «﴿ رَبُّهُ اللَّهُ اللَّ

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: « ﴿ اللَّهُ اللّ

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب منه (٣٦٥٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مُطعِم.

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وحديث».

⁽⁰⁾ أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٩/ ٥٠ _ الكنى)، والترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، والحميدي (٣٤٩)، وابن أبي شيبة (١١/١١ و١٩/٥٦٥)، وأحمد (٥/ ٢٩٩، ٣٨٠ ٣٨٠، ٣٨٠)، و«فضائل الصحابة» (٤٧٨، ٤٧٩)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣٦٠ _ ١٣٦٩)، و«الزوائد على الفضائل» (٤٧٨، ٤٧٩)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٨٣ _ ٥٠)، وابن سعد (٢/ ٤٣٣)، والفسوي (١/ ٤٨٠)، والخلال في «السنة» (٣٣٦)، والبزار (٢٨٢٧ _ ٢٨٢٩)، وجمع من حديث حذيفة.



وفي «الصحيحين» عن عائشة وعن أبيها، قالت: دخل عَليَّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: «ادعي لي أباك وأخاك» حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: «يأبي الله والمسلمون إلا أبا بكر» (١). وفي رواية (٢): «فلا يطمع في هذا الأمر طامع». وفي رواية قال (٣): «ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه»، ثم قال: «معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر» (٤).

قال محمد تقي الدين: وهذا نص صريح يدلنا على أن النبي على ما ترك الكتابة لأبي بكر الصديق أن يكون الخليفة بعده إلا لأن الله أعلمه أن هذا هو الذي سيكون فلم يحتج إلى كتابة. وكذلك وقع، فالعجب من الشيعة كيف عموا عن هذه الحقيقة، ومن يضلل الله فما له من هاد.

ثم قال شارح: «الطحاوية»: «وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» (٥) ، وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي على الصحيحين عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله على يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف،

⁼ قال الخليلي في «الإرشاد» (١/ ٣٧٨): «صحيح معلول» أي: بعلَّة غير قادحة. وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٩٥) بعد كلام: «يروى عن حذيفة عن النبي ﷺ بإسناد جيد ثابت» وحسنه الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٥٧/٢).

وتكلمت عليه بتطويل وإسهاب في تعليقي على «المجالسة» (٢٥٨/٨ ـ ٢٦٣) رقم (٣٥٢٨)، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽۱) أخرجه البخاري كتاب المرض، باب قول المريض: «إني وجع» (٥٦٦٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة.

⁽۲) هذه رواية لأحمد (۱۰٦/٦)، وإسنادها ضعيف، فيه نوفل بن إسماعيل، وهو ضعيف.

⁽۳) هذه روایة لأحمد (۱/۱۱۶)، وابن سعد (π /۱۸۰)، وإسنادها صحیح، ونحوها لمسلم (π).

⁽٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٣٣ ـ ٥٣٤).

⁽٥) أخرجه البخاريُّ في كتاب الأذان، باب حَدِّ المريضِ أن يشهد الجماعة (٦٦٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر برقم (٤١٨) من حديث عائشة ﷺ.



والله يغفر له، ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس يَفري فَرِيَّه، حتى ضرب الناس بعطن (۱). وفي «الصحيح» أنه على قال على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدَّت، إلا خوخة أبي بكر (۲) (۳).

فصل في بيان معنى ما تقدم من الأحاديث

الأول: حديث المرأة التي جاءت إلى النبي على فأكرمها وأعطاها شيئاً من المال، وأمرها أن ترجع إليه ليعطيها مرة أخرى، فقالت له: ماذا أصنع إن جثت فلم أجدك، قال: «ائتي أبا بكر؛ تجدي عنده مثل ما وجدت عندي»، وهذا يدل على أن النبي على كان يعلم بإعلام الله له أن أبا بكر هو الخليفة من بعده، وهذا واضح لمن كان له قلب صاف خال من سموم البدعة.

الحديث الثاني: أمر النبي ﷺ جميع المسلمين أن يقتدوا باللذين من بعده أبي بكر وعمر، يعني اقتداء خاصاً، وذلك يدل على خلافتهما وفضلهما على غيرهما، وإلا فالاقتداء العام لا يختص بهما، قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالسَّنبِ قُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَجِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَنِ رَضِي اللهُ عَنْهُم وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَ اللهُ جَنَّتِ تَجْسِي تَحْتَهَا اللهَ نَهُ خَلِينَ فِيهَا أَبَدا ذَلِكَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿ الآية [10.].

وفي الحديث الرابع (٤) أيضاً: دليل واضح على خلافة أبي بكر الصديق؛ لأن النبي على قال لعائشة ومن معها: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لا يسمع الناس، وأشارت على النبي على أن يأمر بذلك عمر، فغضب، وقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس». وقد فهم أصحاب رسول الله على من هذا لأمر أنه الخليفة بعد رسول الله على وقالوا: جعله النبي على إماماً لنا في ديننا، فكيف لا نجعله إماماً في دنيانا.

⁽۱) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب منه (٣٦٦٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب مِن فضائل عمر ﴿ ٢٣٩٢) من حديث أبي هريرة ﴿ الله عَدِهُ اللهُ عَدِهُ عَدِهُ اللهُ عَدِهُ عَدِهُ عَدِهُ اللهُ عَدِهُ عَدِهُ عَدِهُ عَدِهُ اللهُ عَدِهُ عَدِيهُ عَدِهُ عَدَهُ عَدِهُ عَدَاهُ عَدِهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَا عَدَاهُ عَدِهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ عَدَاهُ

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ (٣٩٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

⁽٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٣٤).(٤) كذا! لم يذكر (الثالث).



والحديث الخامس: حديث الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ.

شرح معاني المفردات: قوله: (قليب)، قال الكرماني: قال الخطابي: «أي بئر تحفر فينقلب ترابها قبل أن تطوى»(١).

قال محمد تقي الدين: ومعنى «تطوى» تبنى جوانبها بالحجارة، فإذا حفرت البئر حتى ظهر ماؤها ولم تبن جوانبها بالحجارة ولا بغيرها فهي قليب.

قال في النهاية: «الغرّب - بسكون الراء - الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد ثُورٍ» (٢). قال الكرماني: «العبقري: كل شيء يبلغ النهاية» وقال في «النهاية»: «عبقري القوم سيدُهُم وكبيرُهُم وقويُّهم، والأصلُ في العبقري، فيما قيل: إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويَدِقُ، أو شيئاً عظيماً في نفسه، نسبوه إليها فقالوا: عبقري، ثم اتُسع حتى سُمِّي به السَّيدُ الكبيرُ» (١٤).

قال محمد تقي الدين: ومعنى «يفري فرية» أي: يقطع قطعه قال الشاعر: ولأنت تفري ما خلقت وبع ض القوم يخلق ثم لا يفري

والخلق هنا، معناه: التقدير يصف الشاعر ممدوحه بقوة العزم وإنجاز الوعد، والعطن: مناخ الإبل والذنوب: الدلو المملوءة ماء، قال الكرماني في معنى الحديث: «وهذا مثل ضربه في ولاية أبي بكر وعمر بعد رسول الله على و(الذنوبان) إنما هما سنتان، وليهما أبو بكر و(ضعف نزعه): إنما هو إشغاله (٥) بقتال أهل الردة، ولم يتفرغ لفتح (١٦) الأمصار وجباية الأموال»(٧)، وأما عمر فطال زمانه وكثرت فتوحات الممالك وحسنت أحوال المسلمين فيه».

⁽۱) انظر: «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» (٣/ ١٦٢٦)، و«شرح الكرماني على صحيح البخاري» (٢٤/ ١٤٣).

⁽٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٤٩) باب الغين مع الراء تحت مادة «غرب».

 ⁽٣) ذكرها الخطابي في «أعلام الحديث» (٣/١٦٢٦) وعند الكرماني في «شرح البخاري»
 (٣) (١٢٢/٢٤): «العبقري: الكامل الحاذق في عمله».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٣/ ١٧٣) باب العين مع الباء تحت مادة «عبقر».

⁽٥) في مطبوع «أعلام الحديث»: «اشتغاله».

⁽٦) في مطبوع «أعلام الحديث»: «فلم يتفرغ لافتتاح».

⁽٧) انظر: «أعلام الحديث» (٣/ ١٦٢٦ ـ ١٦٢٧، ط. جامعة أم القرى) وعنه الكرماني في «شرح صحيح البخاري» (١٢٣/٢٤).



قال محمد تقي الدين: وكون أبي بكر الصديق لم يعش إلا سنتين بعد النبي على وشغله بقتال أهل الردة عن الفتوحات ليس نقصاً في حقه، فإن فتنة الردة كانت خطراً عظيماً على الإسلام، فإطفاء نارها منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق، وهو أفضل الناس بعد رسول الله على بالأدلة القاطعة، واتفاق أهل السنة يدلك على ذلك.

الحديث السادس: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً» (۱) الحديث. ولما سئل النبي على من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قيل: من الرجال؟ قال: «أبوها» (۲). وفضائله كثيرة رضوان الله عليه، قال أبو عمر بن عبد البر: «ومكث أبو بكر في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال (۳)، وقيل غير ذلك. انتهى من (المجلد الثاني) من «الاستيعاب»، صفحة ليال (۲٤۷)».

قال شارح «الطحاوية» كَالله: «قوله: «ثم لعمر بن الخطاب» أي: ونثبت الخلافة بعد أبي بكر الحلافة إليه، واتفاق الخلافة بعده عليه، وفضائله (٢) أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر، فقد روى عن محمد ابن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد

⁽١) سبق تخريجه.

⁽۲) أخرجه الترمذي (۳۸۸٦)، والنسائي في "فضائل الصحابة" (٥)، وأحمد في "فضائل الصحابة" (١٦٣٧)، والطحاوي في "المشكل" (٥٣٠٤)، وابن حبان (٤٥٤٠، ٢٠١٠)، والحاكم (١٢/٤)، والحديث صحيح.

⁽٣) وقيل: سنتين وثلاثة عشر وعشر ليال، كما في «أنساب الأشراف» (٧٥ ـ «أخبار الشيخين») أو اثنين وعشرين يوماً، كما في «تاريخ مولد العلماء» لابن زبر (ص٣٧)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٢) وقيل غير ذلك، كما تراه في «الآحاد والمثاني» (رقم ٣٣، ٤٣، بعد ٣٦، ٤٩)، «تاريخ الخلفاء» (٢٢) لابن ماجه، «معرفة الصحابة» (١/ ١٧٠، ١٧٤ ـ ١٧٥) رقم (١٧٠)، «المعجم الكبير» (١/ ٦١) رقم (٤١)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدَدهم» (ص٣٥٣) مع «جامع السيرة» لابن حزم.

⁽٤) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «﴿ ﴿ اللَّهُامُهُ ».

⁽٥) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ﷺ:

⁽٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وفضائله رَضْظُنه».



وتقدم حديث أبي هريرة (٢٠) في رؤيا رسول الله على، ونزعه من القليب ثم نزع أبي بكر، ثم استحالت الدلو غَرباً: «فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب بعطن». وفي «الصحيحين»، من حديث سعد بن أبى وقاص: قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله على وعنده نساء من

⁽۱) بنحوه من هذا الطريق عند البخاري (٣٦٧)، وأبي داود (٤٦٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٨٦١ - ١٨٦٩)، والآجري في «الشريعة» رقم (١٨٦٦ - ١٨٦٩) وغيرهم، وللأثر طرق أخرى كثيرة، فصلت فيه في تعليقي على «المجالسة» (١٨٦١ ـ ٤٦٢)، وعلى (الكبيرة السابعة والخمسين) من تعليقي على «الكبائر» (النشرة الثانية) وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام» (ص٢٦٤) عن هذا الأثر: «هذا متواتر عن علي واللهبي، فقبّح الله الرافضة، وقال شيخنا ابن تيمية [في «مجموع الفتاوى» (٤/٧١٤)]: وقد روي عن علي من نحو من ثمانين وجهاً وأكثر أنه قال على منبر الكوفة. . . » وذكره.

⁽٢) سبق تخريجه.

⁽٣) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «غُرُجُهُ».

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «وأنا فيهم».

⁽٥) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه (٢٣٨٩) من حديث ابن عباس. ونحوه عند البخاري أيضاً كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٥).

وخرجته بتفصيل في تعليقي على «جلاء الأفهام» (ص٦٥٣ _ ٦٥٥) لابن القيم _ رحمه الله تعالى _.

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «غَيْظِينه»، وسبق تخريجه قريباً.



قريش، يكلّمنه، عالية أصواتهن... الحديث، وفيه... فقال رسول الله على «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك» (١). وفي «الصحيحين» أيضاً، عن النبي على أنه كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم» (٢). قال ابن وهب: تفسير «محدّثون»: ملهمون» (٣).

مقتل عمر بن الخطاب ضطاب الم

«قال البخاري بسنده عن عمرو بن ميمون قال: «رأيت عمر بن الخطاب(٤) قبل أن يصاب بأيام بالمدينة ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حديفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال أن كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حمّلتما(٢) الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمراً هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل.

قال: انظرا أن تكونا حمَّلْتُما الأرضَ ما لا تَطيق؟ قال: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله لأدّعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً. قال: فما أتت عليه إلا رابعة (۱) حتى أصيب، قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مرَّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهم (۱) خللاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل، وذلك في الركعة الأولى حتى تجتمع (۱) الناس، فما هو إلا أن كبَّر، فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب، حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا(۱۰) شمالاً إلا

⁽۱) أخرجه البخاريُّ في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده برقم (٣٢٩٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رها برقم (٣٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص.

⁽٢) أخرجه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (٣٦٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة _ رضي الله تعالى عنهم _، باب من فضائل عمر _ رضي الله تعالى عنه _ (٢٣٩٨) من حديث عائشة _ رضى الله تعالى عنها _.

⁽٣) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٣٩ ـ ٥٤٠). (٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: « ظليه، الم

⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فقال».

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قد حملتما».

⁽V) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «أربعة». ﴿ (٨) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فيهنَّ».

⁽٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «يجتمع».

⁽١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «لا».



طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله(١). فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني.

فجال ساعة، ثم جاء فقال: «غلام المغيرة» قال: الصنع؟ قال: نعم، قاتله (۲) الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي (۱۳) بيد (٤) رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقاً.

فقال: إن شئت فعلت _ أي: إن شئت قتلناهم؟ (٥) _ قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا إلى الله وحجوا حجكم؟ فاحتُمِلَ إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس (٧)، وقائل يقول: أخاف عليه.

فأتيَ بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتِيَ بلبن فشربه فخرج من جرحه (۱۰) فعلِموا (۱۰) يُثنون عليه جرحه (۱۰) فعلِموا (۱۰) أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا (۱۰) يُثنون عليه وجاء رجل شاب فقال: أبشريا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله علي وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليتَ فعدلتَ، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كَفَافٌ لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمسُّ الأرضَ، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «سبحان الله سبحان الله».

⁽۲) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قال: قاتله».

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «منيتي». (٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «على يد».

⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قتلنا».

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «إلى».

⁽٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «لا بأس عليه».

⁽A) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «جوفه». (٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فعرفوا».

⁽١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «فجعلوا».



لربك، يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليّ مِن الدين؟ _ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، قال: إن وفَى له مال آل عمر فَأدّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فَسلْ في قريش، ولا تعد^(۱) إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً _ وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

فَسلَّم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تَبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنه (۲) به اليوم على نفسي، فلما أقبل، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال (۳): ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أَذِنَت، قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلّم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فَإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني ردوني (٤) إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها (٥) فلما رأيناها قمنا، فولَجَت عليه، فبكت عنده ساعة، واستذن (٢) الرجال، فولجت داخلاً (٧) فسمعنا بكاءها من الداخلُ.

فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو^(٨) الرهط الذين توفي رسول الله على وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء _ كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة (٩) سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمّر، فَإني لم أعزله عن (١٠) عجز ولا خيانة، وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «تعدهم».

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ولأوثرنَّ». (٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «قال».

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «فردوني».

⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «يسترنها»، والمثبت في «صحيح البخاري» أيضاً.

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «واستأذن».

⁽٧) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «داخلاً لهم».

⁽٨) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «أي».(٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الإمارةُ».

⁽١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «من».



لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن (١) يتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء الإسلام، وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، ويرد (٢) على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله على أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلَّفوا إلا طاقتهم، فلما قُبِضَ خرجنا به فانطلقنا نَمْشِي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب قالت: أدخلوه، فأدخل، فوُضع هنالك مع صاحبيه (١٤).

خلافة عثمان بن عفان ططائه

"فلما فُرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه؟ والله عليه والإسلام؟ لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكِتَ الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّي؟ والله علي أن لا آلو عن أفضلكما (٢)؟ قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله عليك، لئن أمّرتك من رسول الله عليك، لئن أمّرتك

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «أن».

⁽٢) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وأن تُردً».

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: ﴿ﷺ».

⁽٤) أُخرِجه البخاري كتاب المناقب، باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان ﷺ (٤٠٠ ـ ٥٤٣).

⁽٥) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٣).

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «أفضلكم».



لتعدلن؟ ولئن أمرت عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، فبايع له عَليَّ، وولج أهل الدار، فبايعوه (١٠).

"ومن فضائل عثمان والمنافظة الخاصة: كونه ختن رسول الله على ابنتيه (٢)، وفي "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: كان رسول الله الله مضطجعاً في بيته وكاشفاً (٣) عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدّث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدّث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله وسوّى ثيابه، فلخل فتحدّث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!" وفي "صحيح البخاري": لما كان يوم بيعة الرضوان وأن عثمان (٥) كان قد بعثه النبي الله الله مكة، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله الله عنه بيده اليمنى "هذه يد عثمان"، فضرب بها على يده فقال: "هذه لعثمان" (١)» (٢)»

خلافة علي بن أبي طالب رفظه

قال شارح «الطحاوية»: «قوله: «ثم لعلي بن أبي طالب رفي اي: نثبت (^) الخلافة بعد عثمان لعلي (٩) ، لما قتل عثمان وبايع الناس علياً صار إماماً حقاً واجب

⁽١) انظر: «شرح الطحاوية» (٩٤٣).

⁽٢) انظر: «المجالسة» (٢٤٠) وتعليقي عليه.

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» من غير: «و».

⁽٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة _ رضي الله تعالى عنهم _، باب من فضائل عثمان بن عفان عليه برقم (٢٤٠١) من حديث عائشة الم

 ⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «ﷺ».

⁽٦) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عَفَّان أبي عمر. عمرو القُرشي ﷺ برقم (٣٦٩٨) من حديث عبد الله بن عمر.

وأطرافه بالأرقام (٣١٣٠، ٢٠٠٤، ٣٠٠٤، ٣١٥٤، ٤٥١٤، ٢٥٠٠، ٢٥٦١، ٧٠٩٥).

⁽٧) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٤ _ ٥٤٥).

⁽A) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ونثبتُ».

⁽٩) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: ﴿ ﴿ اللَّهُ اللَّا اللَّالَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ



الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة (١)، أنه قال: قال رسول ﷺ: «خلافة النبوة، ثلاثون سنة، ثم يؤتى الله ملكه من يشاء» (٢).

كانت (٣) خلافة أبي بكر الصديق: سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر: عشر سنين ونصفاً (٤)، وخلافة عثمان: اثنتي عشرة سنة (٥)، وخلافة عَلي: أربع سنين وتسعة أشهر (٢)، وخلافة الحسن: ستة أشهر.

فالخلافة ثبتت لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٧) بعد عثمان(٨) بمبايعة الصحابة سوى معاوية مع أهل الشام، والحق مع علي ﷺ.

من (٩) فضائل أمير المؤمنين على بن أبي طالب (١٠) ما في «الصحيحين» عن سعد بن أبي وقاص (١١) قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من

 ⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «سفينة المقدَّم ذكرهُ».

⁽۲) أخرجه أبو داود برقم (۲۶۱ و۲۶۷)، والنسائي في «الكبرى» (۸۱۵۵)، وأحمد (٥/ ۲۲۰ و ۲۲۱)، وفي «فضائل الصحابة» (۲۸۹۰)، وابنه عبد الله في «زياداته على الفضائل» (۲۹۰)، وفي «السنة» (۱۱۸۱ ـ ۱۱۸۱)، وابن أبي عاصم في «السنة» (۱۱۸۱ ـ ۱۱۸۱)، وفي «الآحاد والمشاني» (۱۱۳، ۱۳۹، ۱۱۶۰)، والبزار (۲۸۲۷، ۲۸۲۸، ۲۸۲۹)، والطحاوي في «المشكل» (۳۲۹)، وابن حبان (۲۹۶۳، ۲۹۲۷)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (۲۶۲۳)، والطبراني (۱۳، ۱۳۳، ۱۶۶۶)، والحاكم (۳/ ۱۲۵)، وإبيناده حسن.

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وكانت».

⁽³⁾ وخمس ليال. انظر: «تاريخ خليفة» (١٥٣)، «طبقات خليفة» (٢٢)، «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (١/ ١٨١)، «تاريخ المدينة» (٢/ ١٦٥ وما بعد)، «تاريخ ابن ماجه» (ص٢٢ ـ ٢٣)، «معرفة الصحابة» (١/ ١٩٢)، «المعجم الكبير» (١/ ٢٢)، «تاريخ دمشق» (٣٣٠، ٣٥٠)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدَدهم» (ص٣٥٣).

⁽٥) إلا اثنتي عشرة ليلة. انظر: «تاريخ خليفة» (١٧٧)، «تاريخ الخلفاء» (٢٣) لابن ماجه، «عيون المعارف» (ص٣٥٤)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مُدَدْهم» (ص٣٥٤).

⁽٦) انظر: «الآحاد والمثاني» (١٦٥)، «معرفة الصحابة» (٢٩١/١)، «أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم» (ص٣٥٥)، «تلقيح فهوم أهل الأثر» (ص٨٤).

⁽V) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «﴿ فَيُطُّهُهُ».

⁽A) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «فَرَهُنهُ».

⁽٩) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ومن».

⁽١٠) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «غَيُّجُنهُ».

⁽١١) في مطبوع «شرح الطحاوية» بعده: «ﷺ».



«قوله (٥): «هم (٦) الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون»:

تقدم الحديث الثابت في «السنن» وصححه الترمذي، عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله على موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها "العلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وحضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»(٨)، وترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل، كترتيبهم في الخلافة»(٩).

فضل العشرة المبشرين بالجنة

قال شارح «الطحاوية» ما نصُّهُ: «قوله: «وإنَّ العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ (۱۰)، وقوله الحق وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي،

⁽۱) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب على بن أبي طالب (۳۷۰٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (۲٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص الليثي.

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب (٣٠٠٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٣٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع.

⁽٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ، باب من فضائل على بن أبى وقاص الليثي.

⁽٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٥ ـ ٧٤٠). (٥) هذا قول صاحب «الطحاوية» كَتْلَقْهُ،

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وهم».

⁽٧) من مطبوع «شرح الطحاوية»، وسقطت من الأصل.

⁽۸) مضى تخريجه مطولاً، والحديث صحيح. (۹) انظر: «شرح الطحاوية» (۵٤۸).

⁽١٠) بعدها في مطبوع «شرح الطحاوية»: «وبشرهم بالجنة، نشهدُ لهم بالجنة، على ما شهد =



وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح؛ وهو أمين هذه الأمة، رضي الله عنهم أجمعين».

قال في «الكواشف الجلية» ما نَصُّهُ: «أهل السنة والجماعة يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله عَلَيْ كالعشرة، وهم:

۱ _ أبو بكر، ۲ _ وعمر، ۳ _ وعثمان، ٤ _ وعلي، ٥ _ وعبد الرحمن بن عوف، ٦ _ والزبير بن العوام، ٧ _ وسعد بن أبي وقاص، ٨ _ وسعيد بن زيد، ٩ _ وأبو عبيدة بن الجراح، ١٠ _ وطلحة بن عبيد الله، وقد صحت الأحاديث بالشهادة لهم بالجنة.

١١ _ والحسن، ١٢ _ والحسين؛ لما في حديث أبي سعيد الخدري(٥) أن

⁼ لهم رسول الله ﷺ، وهي ساقطة من مطبوع «سبيل الرشاد».

⁽۱) الحديثُ أخرجه البخاريُّ في كتاب التمني، بابُ قوله ﷺ: «لَيْتَ كَذَا وَكَذَا» برقم (۲۳۱)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ رقم (۲٤۱۰) من حديث عائشة ﷺ:

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب المغازي، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآلِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَقْشَلا . . . ﴾ الآية [آل عمران: ١٢٢] برقم (٤٠٥٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص برقم (٢٤١١) من حديث علي فَيُهُ.

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكرِ طلحة بنِ عبيد الله برقم (٣٧٢٤) عن قيس بن أبي حازم، ولم يخرجه مسلم.

⁽٤) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٤٩).

⁽٥) في مطبوع «الكواشف الجلية»: « ﴿ الْكُواْهُ اللَّهُ اللَّا اللَّاللَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا ال



النبي عَلَيْ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»(١).

١٢ ـ وثابت بن قيس بن شمَاس؛ لقوله على: "إنه من أهل الجنة" (١٠).

14 - وعبد الله بن سلام؛ لما روى البخاري في «صحيحه» عن سعد بن أبي وقاص قال: «ما سمعت النبي على يقول لأحد يمشي على وجه الأرض: «إنه من أهل الجنة» إلا لعبد الله بن سلام»(۳).

١٥ ـ والرجل الذي قال فيه (٤) النبي على: «يطلع الآن رجل من أهل الجنة» ففي حديث أخرجه الترمذي والنسائي عن أنس (٥) أن النبي على قال في أيام ثلاثة: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» (٤) ، فطلع فيها رجل من الأنصار، فبات

- (۱) أخرجه الترمذي برقم (۳۷٦۸)، وابن ماجه (۱۱۸)، والنسائي في «الكبرى» (۸۱٦۹، ۸۵۲۰ م ۸۵۲۸ م ۸۵۲۸)، وأحمد (۳/۳)، والفسوي (۲٤٤/۲)، والطحاوي في «المشكل» (۱۹۲۷)، وابن حبان (۱۹۹۹)، والحاكم (۳/۳۱۱ ـ ۱٦۲۷)، وإسناده صحيح.
- (٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٩) بسنده إلى أنس في قصة طويلة عند نزول آية رقم (٢) (الحجرات)، وفيها قول النبي عن ثابت بن قيس: "بل هو من أهل الجنة"، وانظر: "المعجم الكبير" للطبراني (١٣١٨).
- (٣) أحرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقِب عبدِ اللهِ بن سلام الله برقم (٣٤٨٣)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن سلام (٢٤٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص الليثي.
 - (٤) في مطبوع «الكواشف الجلية» من غير: «فيه».
 - (٥) في مطبوع «الكواشف الجلية» زيادة: « ﴿ وَهُنَّهُ».
- (٦) أخرج هذه القصة: عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٨٧ ٢٨٨) رقم (٢٠٥٥٩) ومن طريقه أحمد في «المسند» (١٦٦/٣) -، ومن طريق أحمد الضياء في «المستخب»)، والبزار ١٨٨) رقم (٢٦١٩)، وعبد بن حميد في «المسند» (رقم ١١٥٩ «المنتخب»)، والبزار في «المسند» (٢٩٠٩) (رقم ١٩٨١ زوائده «كشف الأستار»)، والطبراني في مكارم الأخلاق» رقم (٧٦٤)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٧٦٤)، والتيمي في «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٦٦) رقم (١١٠٨)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ١٢١)، والبغوي في «شعب الإيمان» (٥/ والبغوي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤) رقم (٥٠٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ١٦٤) رقم (٥٠٣٥)، والنفري؛ قال: أخبرني أنس بن مالك باللفظ المذكور.

كذا عند جميعهم؛ إلا ابن عبد البر قال: «عن أنس»، ولم يقل: «أحبرني أنس». ورواه عبد الله بن المبارك في «الزهد» رقم (٦٩٤)، و«المسند» رقم (١) عن معمر، وقال: «عن الزهري عن أنس» بمثله.



= وأخرجه من طريق ابن المبارك مثله: النسائي في «السنن الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٦٩)، باب ما يقول إذا انتبه من منامه (٢١٥/٦) رقم (٨٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧٥٤).

وعلقه عن ابن المبارك البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤).

وأخرجه التيمي في «الترغيب» (1/ ٤٦٦ رقم ١١٠٨ و7/ ٩١٥ رقم ٢٢٤٧، ط. زغلول، أو 7/ ٥٦ و ٥٣ و 7/ ١٥١ و 7/ ١٥١ و ١٥١ و ١٥١ من طريق ابن المبارك، وعنده _ في الموضعين _: «أخبرني أنس»!

وعزاه في «إتحاف السادة المتقين» (٨/ ٥١) إلى ابن أبي الدنيا في «ذم الحسد»، وعزاه في «الدر المنثور» (٨/ ١١٤) إلى الحكيم الترمذي.

وظاهر هذين الإسنادين الصحة!! ولذا صححه المعلق على «مسند أحمد» (١٢٥/٢٠، ط. مؤسسة الرسالة)! وغيره!

قال الهيشمي في «المجمع» (٨/٨): «رواه أحمد والبزار بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي البزار».

وقال ابن كثير في "تفسيره" (٩٦/٨، ط. الشعب [الحشر: ١٠]) بعد أن ساق إسناده عبد الرزاق ولفظه: "ورواه النسائي في "اليوم والليلة" عن سُويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به، وهذا إسناد صحيح على شرط "الصحيحين"! لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس؛ فالله أعلم".

قال أبو عبيدة: هذا الحديث تفرد به الزهري.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦٥/٢): «سألت أبي عن حديث رواه الزهري عمن لا يتهم عن أنس بن مالك أن النبي على قال: «يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فطلع سعد»، قال: «فقال أبى: قد تفرد الزهري بروايته هذا الحديث».

قال أبو عبيدة: كان الزهرى يدلِّس هذه القصة، والأدلة على ذلك:

أولاً: الثابت عنه من طريق ابن المبارك عن معمر قوله: «عن أنس»، ومن نقل عنه قوله: «أخبرني أنس» فقد أخطأ، ولم يحصل هذا إلا في رواية التيمي، وقد أسنده في الموطن الأول من طريق عبد الرزاق ثم أحال على طريق ابن المبارك، فذكر ما عند عبد الرزاق، ولكنه في الموطن الثاني اقتصر على طريق ابن المبارك، وقال: «أخبرني أنس»، وهذا خطأا

ولم ينقل عن الزهري (حدثني أنس) غير عبد الرزاق، وهو ثقة حافظ، تكلم فيه من أجل روايته أحاديث في فضائل أهل البيت مع نسبته للتشيع، وقد اختلط في آخر عمره، وعده بعض الحفاظ من أثبت أصحاب معمر، والأدلة تقتضي وهمه في قوله هنا عن الزهري: «أخبرني أنس».

ثانياً: قال الدارقطني في كتابه «العلل» (٤/ق٢٥/ب) عن هذا الحديث: «اختلف فيه على الزهرى:



:

فرواه عِبد الرزاق عن معمر عن الزهري؛ قال: حدثني أنس.
 وقال ابن المبارك: عن معمر عن الزهرى عن أنس.

وكذلك قال إبراهيم بن زياد: عن الزهري عن أنس».

قال الدارقطني: «وهذا الحديث لم يسمعه الزهري من أنس»، ودلل على ذلك بقوله: ثالثاً: «ورواه شعيب بن أبي حمزة وعقيل عن الزهري؛ قال: حدثني من لا أتَّهم عن أنس».

قال الدارقطني في «العلل» (٤/ق٥٥/ب): «وهو الصواب».

رابعاً: وهذا ما رجحه حمزة بن محمد الكناني الحافظ، قال فيما نقل عنه المزي في «تحفة الأشراف» (٩٥٠/١): «لم يسمعه الزهريّ من أنس، رواه عن رجل عن أنس، كذلك رواه عقيل وإسحاق بن راشد وغيره واحد عن الزهري»، قال الكناني: «وهو الصواب».

خامساً: ورجّح هذا أيضاً ابن حجر، قال في «النكت الظراف» (٣٩٥/١) بعد كلام حمزة الكناني، ما نصه: «قلت: وذكر البيهقي في «الشعب» أن شعيباً رواه عن الزهري: حدثني من لا أنّهم عن أنس. ورواه معمر عن الزهري: أخبرني أنس. كذلك أخرجه أحمد عنه: ورويناه في «مكارم الأخلاق»، وفي عدة أمكنة عن عبد الرزاق»، قال: «وقد ظهر أنه معلول».

سادساً: قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٦٢): «رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين، ورواه البزار، وسُمِّي الرجل في رواية له سعد، فيها ابن لهيعة» انتهى.

ثم تبيَّن له أن هذا غير صحيح، فقال الزَّبيدي في "إتحاف السادة المتقين" (٨/٥) ما نصه: "قلت: وجدتُ بخط الحافظ في هامش "المغني" _ وهو تخريج أحاديث الإحياء، وتتمة اسمه: "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" للعراقي _ عند قوله: "صحيح على شرط الشيخين" ما لفظه: "له علّة؛ فإنّ الزهري لم يسمعه عن أنس فيما يقال"".

سابعاً: قال المنذري في "الترغيب والترهيب" (٤/ _ بعنايتي): "رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي، ورواته احتجّا بهم أيضاً إلا شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة»، والعجب من بعض المعلقين عليه بقوله: "حسن"! فظاهر إسناده الصحة، وقد تعقب الناجيُّ في "عجالة الإملاء المتيسرة" (ق٩٩/أ _ المحمودية) المنذري بقوله: "قلت: النسائي إنما رواه في "اليوم والليلة" لا في "السنن" على العادة المتكررة في هذا الكتاب، لكن اكتفيت بذكر ذلك في نسختي لكثرته"، ثم ذكر كلام الحافظ حمزة الكناني والمزي وقال: "وهذه العلة التي فيه لم ينتبه لها المصنف".

فهؤلاء الأئمة (الدارقطني، وحمزة الكناني، والبيهقي، والعراقي، والهن حجر، والناجي) رجحوا رواية (الزهري عن مجهول عن أنس)، قال الزهري عن المجهول: «عمن لا



= أتَّهم»، والتوثيق هكذا على الإبهام لا يعتدّ به، ولا بد من تسميته ومعرفة كلام أئمة الجرح والتعديل فيه.

ثامناً: الصنعة الحديثية تقضي بوجود الواسطة المبهمة بين (الزهري) و(أنس)؛ فقد رواه عنه جمع من الثقات هكذا مخالفين (معمراً)، وهم:

أولاً: عقيل بن خالد، (ثقة ثبت، من أثبات أصحاب الزهري).

وخالف حيوةَ ابنُ لهيعة؛ فرواه عن عقيل أنه سمع الزهري يخبر عن أنس بن مالك... فذكره.

وحيوة ثقة، وقوله: «عن ابن شهاب، حدثني من لا أتهم عن أنس» أصح من رواية ابن لهيعة هذه، التي أخرجها البزار في «مسنده» (٤٠٩/٢) رقم (١٩٨١).

ثانياً: شعيب بن أبي حمزة (ثقة ثبت، من أثبات أصحاب الزهري).

أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٦٥) رقم (٦٦٠٦) من طريق أبي اليمان، أخبرني شعيب، عن الزهري؛ قال: حدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك؛ أنه قال: بينما نحن عند رسول الله على ... فذكره الحديث بنحوه؛ غير أنه قال: فإذا توضأ أسبغ الوضوء، وأتم الصلاة، ثم أصبح مفطراً. قال عبد الله بن عمرو: فرمقتُه ثلاثة أيام وثلاث ليال، لا يزيد على ذلك، غير أني لا أسمعه يقول إلا خيراً... وذكر الحديث، وقال في آخره: ما هي إلا ما رأيت؛ غير أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين، ولا أقوله ولا أحسده خيراً أعطاه الله إياه. قال: فقلت: هؤلاء بلغن بك، وهي لا أطيق.

(تنبيه): أشار البيهقي إلى صحة هذه الرواية، فقد قال بعد أن أسنده من طريق عبد الرزاق التي فيها: «عن الزهري قال: أخبرني أنس»، وقال: «هكذا قال عبد الرزاق...» ثم قال:

«ورواه ابن المبارك عن معمر؛ قال: فقال: «عن الزهري عن أنس»، ثم قال: «ورواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري»، وساق روايته، وقال: «وكذلك رواه عقيل بن خالد عن الزهري في الإسناد»؛ فأشار بهذا إلى مخالفة شعيب وعقيل لمعمر، ولذا ساقه كلامه ابن حجر في «النكت الظراف» (١/ ٣٩٥) في معرض ترجيحه أن القصة معلولة.

ثالثاً: معاوية بن يحيى الصّدفي، (ضعيف في رواية غير الشاميين عنه، وهو مستقيم في رواية الشاميين، وهذه منها).

أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٧٦٥) من طريق الهقل بن زياد، عن الصدفي، حدثني الزهري، حدثني من لا أتهم عن أنس، بمثل حديث معمر.



معه عبد الله بن عمرو بن العاص ثلاث ليال؛ مستكشفاً حاله، فلم ير له كثير عمل، فأخبره الخبر فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

۱٦ ـ وعكاشة بن محصن؛ لما ذكر السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال: «أنت منهم...»(١)، الحديث.

۱۷ - والمرأة التي قالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي، فقال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك»، فقالت: أصبر، ثم قالت (۲): «إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها» (۳)(٤).

قال محمد تقي الدين: وبالجملة كل من شهد له رسول الله على أنه في الجنة نعتقد أنه من أهل الجنة، إذا روي بسند صحيح، وتخالف في ذلك الرافضة والخوارج كل المخالفة، ونعتقد أن كل من شهد غزوة بدر مع النبي على فهو في

⁼ والهقل بن زياد شامي.

رابعاً: إسحاق بن راشد.

لم أظفر بروايته، وإنما ذكره الحافظ حمزة الكناني؛ كما في «تحفة الأشراف» (١/ ٣٩٥).

فهؤلاء الأربعة رووه عن الزهري؛ قال: «حدثني من لا أتهم عن أنس».

فهذه هي الرواية المحفوظة عنه، أما قول ابن المبارك عن معمر عن «الزهري عن أنس»؛ فقد دلسها الزهري! ومعذرة أخي القارئ على هذه الإطالة، ولكني رأيت نفسي مضطراً إليها من باب التفصيل في ذكر علة هذه القصة التي انتشرت على السنة الوعاظ والخطباء فأحببت التدليل والتفصيل والتأصيل في ضعفها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽۱) أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٦٥٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٢٢٠) من حديث ابن عباس.

⁽۲) في مطبوع «الكواشف الجلية»: «فقالت».

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب المرض، بابُ فضل مَن يُصْرَعُ مِنَ الرِّيح (٥٦٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يُصيبه من مرض أو حُزن برقم (٢٥٧٦) من حديث ابن عباس راها.

⁽٤) انظر: «الكواشف الجلية» (٢٦٦ ـ ٢٦٧).



الجنة، لحديث حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى المشركين في مكة يخبرهم بأن النبي على ذلك، فقال عمر: دعني النبي على ذلك، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله على: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(۱). وهذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه.

وصح عن النبي ﷺ من حديث جابر أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» (٢)، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، ومصداق ذلك في كتاب الله ﷺ قال تعالى في سورة الفتح: ﴿لَقَدْ رَضِى اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ مَّتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

ومن عقيدة أهل السنة أنهم لا يشهدون لأحد من المسلمين بالجنة ولا بالنار إلا من شهد له الرسول ﷺ.

قال شارح «الطحاوية»: «قوله: «ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً» يريد إنا لا نقول في (٣) أحد معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق على أنه من أهل الجنة كالعشرة أنه عن نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكنا نقف في الشخص المعين (٤)، فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم؛ لأن الحقيقة باطنة، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

⁽۱) أخرجه أحمد في «مسنده» (۲/ ۲۹۰ ـ ۲۹۰)، وابن أبي شيبة (۱/ ۱۵۰)، وأبو داود (٤٠٤)، والدارمي (۲۲۱)، والحاكم (۷/۲۰ ـ ۸۸) من حديث أبي هريرة، والمصنف يريد حديث علي، أخرجه البخاري (۳۰۰، ٤٢٧٤، ۴۸۹۰)، ومسلم (۲٤٩٤)، وأبو داود (۲۱۵۸)، والترمذي (۳۳۰۵)، والنسائي في «الكبرى» (۱۱۵۸۵).

⁽۲) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥٠٨)، وأحمد (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان (٤٨٠٢) من حديث جابر، وإسناده صحيح.

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «عن».

⁽٤) من لطائف ما يذكر هنا أن لعبد الغني المقدسي (ت ٢٠٠ه)، "فتوى بأنه لا يجوز القطع بالجنة للأئمة الأربعة"، منها نسخة بخطه في الظاهرية، مجموع ٧٨ (ق ١٨٤ ـ ١٨٦). انظر: "منتخب فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية" (ص ٤٧٧ ـ بعنايتي) لشيخنا الألباني.



وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد ابن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون، كما في «الصحيحين» أنه مرّ بجنازة، فأثنوا عليها بخير، فقال النبي على: «وجبت» ومرّ بجنازة أخرى، فأثنى عليها بشر، فقال: «وجبت». وفي رواية (۱): «وجبت» ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت؟ فقال رسول الله على: «هذا أثنيتم عليه شراً، وجبت له النار، أنتم ثليداء الله في الأرض» (۱). وقال على: «توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيء» (١). فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار» (٥).

قال محمد تقي الدين: والراجح هو الذي أسلفت ذكره، وهو أننا لا نشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار إلا من شهد له رسول الله على أدلك: ما رواه أحمد والبخاري: «عن أم العلاء قالت: «فاشتكى عثمان بن مظعون عندنا، فمرَّضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله على فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتى عليك: لقد

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ومر بأخرى».

⁽۲) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «رواية كرر».

⁽٣) أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، باب ثناءِ النَّاسِ عَلَى الميت برقم (١٣٦٧)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب فيمن يُثنى عليه خيرٌ أو شر من الموتى (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك عليه.

⁽٤) أخرجه ابن ماجه (٢٢١)، وأحمد (٣/٤١٦، ٢/٢٦٤)، وابن أبي شيبة (٢١٠١)، وعبد بن حميد (٤٤٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٦٠١، ١٦٠١)، وابن والطحاوي في «المشكل» (٣٣٠٦، ٣٣٠٠)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩٠٨)، وابن حبان (٧٣٨٤)، والطبراني (٢٠/رقم ٣٨٢، ٣٨٣)، والحاكم (١/١٢٠ و٤/٤٣١)، والبهقي (١/١٢٠) من حديث أبي زهير الثقفي، وهو صحيح.

⁽٥) انظر: «شرح الطحاوية» (٤٢٦ ـ ٤٢٧).



أكرمك الله على، فقال رسول الله على: «وما يدريك أن الله تعالى أكرمه؟» فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي، فقال رسول الله على: «أما هو فقد جاءه اليقين من ربه» وإني لأرجو له المخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي». قالت: فقلت: والله لا أزكي أحداً بعده أبداً، وأحزنني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري، فجئت إلى رسول الله على فأخبرته بذلك، فقال رسول الله على: «ذاك عمله»(١) انفرد به البخاري دون مسلم. وفي لفظ له (٢): «وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به» وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، ثم ذكر جماعة من أخبر النبي على بدخولهم الجنة. انتهى من «تفسير ابن كثير»(٣) في سورة الأحقاف [٧]».

فصل

"وقد ظهر في آخر الزمان من يضمن دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب لكل من أحبه أو أطعمه أو سقاه أو قضا له حاجة، كما يزعم التجانيون فيما نسبوه إلى شيخهم أحمد بن محمد التجاني (١٤٥٥) (المتوفى سنة ١٢٣٠) المدفون في مدينة فاس بالمغرب الأقصى، والطريقة التجانية من طرق المتصوفة المشهورة في هذا الزمان (٥٠)، وأتباعها يعدون بالملايين، وأكثرهم في إفريقية السوداء، ويوجدون في مصر والشام والحجاز وبلاد الأتراك، وقد ألفت كتاباً سمَّيته «الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية» قام بطبعه ونشره صاحب (٢٠) السماحة الوزير المفوض للإفتاء العام والبحوث العلمية والدعوة والإرشاد في الوقت الحاضر، وكان قبل ذلك رئيساً للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ألا وهو الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وهو من بقية السلف الصالح في هذا الزمان علماً

⁽۱) أخرجه البخاري كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت، إذا أدرج في كفنه (۱۲٪)، وأطرافه بالأرقام (۲۲۸۷، ۳۹۲۹، ۷۰۰۸، ۷۰۱۸).

⁽۲) في «صحيح البخاري» رقم (۱۲٤٣). (۳) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۲/۹ ـ ۱۰).

⁽٤) انظر ترجمته في: «الأعلام» للزركلي (١/ ٢٤٥).

⁽٥) رد عليهم جمع، مثل: الشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الإفريقي في «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية» وعلي بن محمد الدخيل لله في كتابه «التيجانية دراسة لأهم عقائد التيجانية على ضوء الكتاب والسنّة» وهاشم رجب في «القنديل لكشف ما في كتب التيجانية من الزيغ والأباطيل» وكلها مطبوعة، وظفرتُ بردود نفيسة عليهم في مجلة «الشهاب» الجزائرية، فلتنظر، والله الموفق، لا ربّ سواه.

⁽٦) في الأصل: «صاحبه»!



وعملاً وورعاً ()، أمتع الله المسلمين يطول بقائه ودوام ارتقائه، وقد رأيت أن أنقل شيئاً من الكتاب المذكور فقد جاء في صفحة (٨١) منه ما نصُّه:

الفصل الثاني: في فضل المتعلقين بالشيخ أحمد التجاني

اعلموا أن التجانيين رووا عن شيخهم فضائل تحصل للمتعلقين به مصادمة للكتاب والسنة وإجماع الأمة، وزعموا أن الشيخ التجاني كتب تلك الفضائل بيده، وسلمها إلى النبي وطلب منه أن يقرأها ويضمنها له، فقرأها وضمنها له، وقع ذلك يقظة لا مناماً. انظر (صفحة ٤٤) من (الجزء الثاني) من «الرماج»، وهذه الفضائل زعموا أن الله يعطيهم إياها بسبب تعلقهم بشيخهم، وسأسرد هنا هذه الفضائل، وعددها تسع وثلاثون، أربع عشرة فضيلة تحصل لكل من اعتقد فيه الخير ولم يعترض على طريقه، وكان محباً له ولأصحابه ولكل من أطعمه أو سقاه أو قضى له حاجة إذا استمر على محبته حتى الموت، وأن يأخذ ورده ولم يصر من أصحاب طريقته، وسائر الفضائل وهي خمسة وعشرون خاصة بمن أخذ الطريقة والتزم شروطها:

الفضيلة الأولى: أن النبي على ضمن لهم أن يموتوا على الإيمان والإسلام. الفضيلة الثانية: أن يخفف الله عنهم سكرات الموت.

الفضيلة الثالثة: لا يرون في قبورهم إلا ما يسرُّهم.

الفضيلة (٢) الرابعة: أن يؤمنهم الله تعالى من جميع أنواع عذابه وتخويفه وجميع الشرور، من الموت إلى المستقر في الجنة.

الخامسة: أن يغفر الله لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر.

السادسة: أن يؤدي الله تعالى عنهم جميع تبعاتهم ومظالمهم من خزائن فضله كالله لا من حسناتهم.

111

⁽۱) مَدْحُ الهلالي للشيخ العلامة ابن باز ـ رحمهما الله تعالى ـ كثير، ومما ظفرت به بخط الهلالي على طرة كتابه: «الطريق إلى الله» إهداءاً لابن باز، وعليه ما صورته «هدية من المؤلف إلى الإمام المصلح الداعي إلى صراط الله على بصيرة سماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مع أطيب التحيات»، وله فيه وفي ذويه مدح في شعر مشهور متداول.

⁽٢) في مطبوع «الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية» بدون: «الفضيلة».



السابعة: أن لا يحاسبهم الله تعالى ولا يناقشهم ولا يسألهم عن القليل والكثير يوم القيامة.

الثامنة: أن يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم القيامة.

التاسعة: أن يجيزهم الله تعالى على الصراط أسرع من طرفة عين على كواهل الملائكة.

العاشرة: أن يسقيهم الله تعالى من حوضه ﷺ يوم القيامة.

الحادية عشرة: أن يدخلهم الله تعالى إلى الجنة بغير حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى.

الثانية عشرة: أن يجعلهم الله تعالى مستقرين في الجنة في عليين من جنة الفردوس وجنة عدن.

الثالثة عشرة: أن النبي ﷺ يحب كل من كان محباً له.

الرابعة عشرة: أن محبه لا يموت حتى يكون ولياً، قال ـ أي: «أحمد التجاني ـ قد أخبرني سيد الوجود على أن كل من أحبني فهو حبيب للنبي على، ولا يموت حتى يكون ولياً قطعاً، وقال لي سيد الوجود على: أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين، وأنت حبيبي ومن (١) أحبك حبيبي، وكل من أخذ وردك فهو محرر من النار، وقال: أبشروا إن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان، ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله، وقال: وأما من كان محباً ولم يأخذ الورد، فلا يخرج من الدنيا حتى يكون من الأولياء»(٢).

ثم قلت في الرد على هذه الأباطيل في صفحة (٨٦) ما نصه:

«قال محمد تقي الدين: لم يستوف صاحب «الرماح» الفضائل التي وعد بذكرها بل اقتصر على ذكر ثلاث وثلاثين، وفي ما ذكره من الطوام والضلالات ما لا يبقي شكاً في أن هذه الطريق على الحال الراهنة يستحيل أن تجتمع في قلب شخص واحد مع ما جاء به رسول الله على من الدين الحنيف، المبني على الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وسنعقب عليها بالنقد والنقض حتى يتضح بطلانها وتنجلي ظلمتها، بحول الله وقوته وحسن توفيقه.

اعلم _ أيها القارئ الموفق لمعرفة الحق واتباعه مع من كان، وحيث كان _

⁽۱) في مطبوع «الهدية الهادية» بدون: «و». (۲) انظر: «الهدية الهادية» (۸۱ ـ ۸۳).



أن ما ذكره صاحب «الرماح» من الفضائل؛ بزعمه له ولإخوانه في الطريقة، ولشيخهم بزعمهم، مردود من وجوه: بعضها إجمالي، وبعضها تفصيلي، ولنبدأ بالإجمالي، فنقول:

كل ما نسبوه إلى النبي على من الأخبار هو من شر أقسام الموضوع المفترى، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾، فإن الأمة بعلمائها وأئمتها من أبي بكر الصديق الله إلى أن تقوم الساعة، أجمعت الأمة على أنه لا طريق لتلقي خبر من الأخبار عن النبي الله إلا بالسماع والمشاهدة في حياته الدنيوية، أو بواسطة الثقات (۱) الأثبات بالسند المتصل، وما ذكروه من الأخبار ليس له سند أصلا، وما زعموه من السماع كذب بإجماع الأئمة، ومن خرق إجماعهم ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم، وكان مشاقاً للرسول و ومتبعاً غير سبيل المؤمنين، ومن ذلك أن تلك الأخبار مناقضة لكتاب الله وللأخبار الصحيحة المروية بأسانيد كالشمس، معلومة التواتر أو الصحة العالية، إذا قرأت ما تقدم من الرد تبين لك خلاله فساد تلك الأخبار وبطلانها واضمحلالها» (۲). اه.

ومن شاء أن يطلع على الرد التفصيلي يجده في كتابي «الهدية الهادية»^(٣).

التحذير من اتباع جهلة المتصوفة فيما أحدثوه من البدع

قال شارح «الطحاوية» صفحة (٥٥٦): «وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برئاسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم، ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء، ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء أو⁽³⁾ يدّعي لنفسه أنه (٥) خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، ولكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية (٢)، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو

⁽١) في الأصل: «الثقافة»! والتصويب من «الهدية الهادية».

⁽۲) انظره (ص۸۷ ـ ۱۰۱). (۳) انظر: «الهدية الهادية» (۸٦ ـ ۸۷).

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «و».

⁽٥) سقط من الأصل، والمثبت من مطبوع «شرح الطحاوية».

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «بالكلية لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم؛ فإنه كان مثبتاً للصانع».



الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تُختم!

وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها كما قال:

مـقـام الـنـبـوة فـي بـرزخ فويـق الـرسـول ودون الـولـي!!

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى في سورة يونس الآية [٦٢ - ٦٣]: ﴿أَلَا إِنَ أَوْلِيَاءُ اللّهِ لاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَعْرَنُونَ ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ الله أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه (١١ على ذلك، وقال ابن عربي أيضاً في «فصوصه»: «ولما مثل النبي على النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلا موضع لبنة (٢٠)، فكان هو على موضع اللبنة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه المؤيا، فيرى ما مثله النبي على ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين، ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فيكمل الحائط، والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين، أن (١٣) الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضية (١٤) هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في الشرع ما هو في الصورة موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلك موضع اللبنة الذهبية في الرسول على قال: «فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك الغلم النافع» (٥٠).

قال محمد تقي الدين: «فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب،

⁽١) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «تنبيه».

⁽٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الفضائل، باب ذكر كونه على خاتم النبيين (٢٨٧) بسنده إلى جابر بن عبد الله، عَنِ النَّبِيِّ عَلَى قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَّنبِياءِ، كَمَثَلِ رَجُلِ بَنَىٰ دَاراً فَأَتَمَهَا وأَكَمْلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ!». قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَى: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ؛ جِثْتُ فَخَتَمْتُ الأَّبْيَاء».

⁽٣) سقط من الأصل. (٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «الفضة».

⁽٥) انظر: «فصوص الحكم» (ص٦٣).

all the first of the same



وللرسل المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل؟ تلك أمانيهم وإن في متُدُورِهِم إِلَّا كِبَرُ مَا هُم بِبَلِغِيثُ الآية [٥٦] من سورة غافر. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير، وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿ لَن نُوْيِنَ حَتَّى نُوْقَى مِثْلَ مَا أُوتِى رُسُلُ الله الأسفل من النار، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدَّرْكِ الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين، لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي على ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد، ولكن في قبول توبته خلاف (۱)، والصحيح عدم قبولها) (۱).

⁽۱) لا تقبل توبته عند مالك، وهو مذهب الليث، وهو المنصور من الروايتين عن أبي حنيفة، وهو إحدى الروايات عن أحمد، نصرها كثير من أصحابه بل هي أنص الروايات عنه، قاله أبن القيم في «الإعلام» (٣/ ١٤٤). وانظر بسط المسألة في: الالإشراف» للقاضي عبد الوهاب (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٣) رقم (١٥٢٦) وتعليقي عليه، و«الصارم المسلول» (ص ٣٤٠ وما بعد)، و«الحدود والتعزيرات عند ابن القيم» (ص ٤٤٤ ـ ٤٥٤).

⁽۲) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٥٦ ـ ٥٥٨).





-0000000000000-



الإيمان بأشراط الساعة

قال شارح «الطحاوية» قوله: «(ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم على من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض [من] موضعها).

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي على في غزوة تبوك، وهو في قُبَّة من أدّم، فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص^(۱) الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً» وروي: «راية» بالراء (۱)، وهما بمعنى، رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والطبراني.

وعن حذيفة بن أسِيد، قال: اطلع النبي على علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكُرُ الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى تروا^(٤) قبلها عشر آيات...» فذكر: «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» (٥) رواه مسلم، وفي «الصحيحين» ـ واللفظ للبخاري ـ عن

⁽١) الموت المفاجئ يصيب الغنم فيقتلها جميعاً. (منه).

⁽۲) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب ما يُحذَرُ من الغَدر برقم (٣١٧٦)، وأبو داود (٥٠٠٠) مختصراً، وابن ماجه (٤٠٤٢)، والطبراني (١٨/رقم ٤٠) وغيرهم من حديث عوف بن مالك.

⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «بالراءِ والغين».

⁽٤) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «ترون».

⁽٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة =



ابن عمر (۱) قال: ذكر الدجال عند النبي على ، فقال: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور عين اليمني، كأن عينه عنبة طافية (۱) . وعن أنس بن مالك (۱) قال رسول الله على: «ما من نبي إلا وأنذر قومه الأعور الدجال، ألا إن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) (٤) ، فسره في رواية: «أي كافر»، وروى البخاري وغيره، عن أبي هريرة (٥) قال: قال رسول الله على: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَإِن يَنْ أَهْلِ ٱلْكِنْبِ إِلّا لَيُؤْمِنَنَ بِهِ قَبّلُ مَوْتِهِ وَيَوْمَ ٱلْقِينَةِ وَعِيسى ابن مريم على المناك من السماء ويقتله، ويخرج (۱) يأجوج ومأجوج في وعيسى ابن مريم على ، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج (۱) يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم أيامه بعد قتله المختصر عن بسطها.

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿ وَ وَإِذَا وَقَعَ الْفَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَمُمْ دَابَةً مِنَ ٱلأَرْضِ ثُكَلِمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِاَيَنَتِنَا لَا يُوفِئُونَ ۗ ﴿ وَالْمَالِمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ لَا يَعُلُمُونَ إِلَا أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ أَوْ يَأْتِيكُمُ الْمَلَتِمِكُمُ الْمُلْوَالِقِيقِيقُونَ الْمَلْتِمِكُونَ اللَّهُ اللّهُ اللّهُو

خديفة بن أسيد الغفاري. =

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «وَيُؤْهَا».

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٧٤٠٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذِكر النمسيح ابن مريم والمسيح الدجال (١٦٩) من حديث عبد الله بن عمر.

 ⁽٣) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «غُيْنَانه».

⁽٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَهَامُ ﴾ (٧٤٠٨)، ومسلم كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وجامعه (٢٩٣٢) من حديث أنس ﷺ.

 ⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة: «ﷺ».

⁽٦) أخرجه البخاريُّ في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ (٣٤٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٥) من حديث أبى هريرة ﷺ.

⁽٧) كذا في مطبوع «شرح الطحاوية»، وفي الأصل: «يخرج» دون واو في أوله.



بَعْشُ اَيْنَتُ رَيِّكُ يَوْمَ يَأْتِى بَعْشُ اَيْنَتِ رَبِّكَ لا يَنَعُعُ نَفْسًا إِينَهُم الَّرَ تَكُنْ اَمَنَتْ مِن فَبَلُ أَوْ النَّطِرُوا إِنَّا مُنَظِرُونَ ﴿ الآية [١٥٨] من سورة الأنعام، وروى البخاري عند تفسير الآية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمنوا(۱) عليها، فذلك حين عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ عقول: «إن أول(۱۳) الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على يقول: «إن أول(۱۳) الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى ﷺ من السماء قبل نالياس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، مشاهدة مثلهم مألوفة، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها وذلك أول الآيات الأرضية؛ كما أن طلوع الشمس (۵) على خلاف عادتها المألوفة وأل الآيات الأرضية؛ كما أن طلوع الشمس (۵) على خلاف عادتها المألوفة وأل الآيات السماوية، وقد أفرد الناس في أحاديث أشراط الساعة مصنفات ولك الآيات السماوية، وقد أفرد الناس في أحاديث أشراط الساعة مصنفات مشهورة يضيق عن (۱۲) بسطها هذا المختصر (۱۷). اهد.

⁽١) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «آمنَ».

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنْهَا لَرَ تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِن فَبَلُ﴾ (٢٥) ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان (١٥٧) من حديث أبى هريرة ﷺ.

⁽٣) من مطبوع «شرح الطحاوية» ومصادر التخريج، وسقطت من الأصل.

⁽٤) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه... برقم (٢٩٤١) من حديث عبد الله بن عمرو وانظر: «المجالسة» (٢١٥٦ ـ بتحقيقي)؛

⁽٥) في مطبوع «شرح الطحاوية» زيادة بعدها: «من مغربها».

⁽٦) في مطبوع «شرح الطحاوية»: «على».

⁽٧) انظر: «شرح الطحاوية» (٥٦٤ ـ ٥٦٦)، وانظر في (المصنفات في أشراط الساعة): «معجم الموضوعات المطروقة» (٢/ ٩١٤ ـ ٩١٥ و ١٠٢٢ ـ ١٠٢٢).







فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ

اعلم أن أهل السنة يحبون أزواج النبي على وأهل بيته ويكرمونهم، ولا يذكرونهم إلا بأحسن الذكر، بدون إفراط ولا تفريط، قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿النِّيُ أُوِّكُ إِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِمٍ مُّ وَأَزْوَنَجُهُ أَمْهَا لَهُمُ الآية [1].

قال الميسِّر «لاختصار ابن كثير» ما نصُّه: «عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما(۱) من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿النَّيِّ اللَّهُ فِلِينَ مِنْ أَنفُسِمٍ مُّ ﴾، فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك دَيناً أو ضياعاً، فليأتني فأنا مولاه»(۲). تفرد به البخاري.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَزْوَجُهُ الْمَهَا اللهُ أَي الحرمة والاجترام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهم بالإجماع» (٣).

قال تعالى في سورة الأحزاب [٢٨ ـ ٣٤]: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِإَرْوَبِكَ إِن كُنتُنَ تُرِدْكَ الْحَيْوة الدُّنِيَ وَزِينَتَهَا فَنَعَالَيْكَ أُمَيِّعَكُنَ وَأُسَرِّحْكُنَ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿ وَلِن كُنتُنَ تُرِدْكَ اللّهَ وَرَسُولُهُ وَالدَّارَ الْآخِرَة فَإِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ وَلِنَاهُ يَنِسَلَهُ النّبِي مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَحِسَةٍ شُبَيِّنَةٍ يُضَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنُ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ النّبِي مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَحِسَةٍ شُبِينَةٍ يُضَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنُ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيدًا ﴿ وَمَن يَقْبُتُ مِنكُنَّ لِلّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلُ صَلِيحًا نُوْتِهَا أَجْرِهَا مَرَّيَّنِ وَأَعْتَدُنَا لَيْنَ وَمَن يَقْبُدُ وَلَا مَنْ وَلَا مَنْ وَاللّهِ مَن النّبَاءِ إِن النّقَيْقُ وَلَا مَعْرُونًا ﴿ وَمَا لِللّهَ وَرَسُولُهُ وَالْعَنَ اللّهَ وَرَسُولُهُ وَاللّهُ مَا يُرْبَعُ مَن اللّهَ وَرَسُولُهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مَن وَقُلْ مَعْرُوفًا ﴿ وَوَلَا مَن وَقُلْ مَعْرُوفًا فَي وَقُلْ مَعْرُوفًا فَا اللّهِ مَن اللّهُ وَرَسُولُهُ وَاللّهُ وَلَا مَعْرُوفًا فَا اللّهُ وَلَا مَعْرُوفًا وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا مَعْرُوفًا وَاللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَلَا مَعْرُوفًا وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ مِنْ وَاللّهُ مَا اللّهُ لَكُمُ اللّهُ وَاللّهُ مَا مُعْرُولًا عَلَى اللّهُ وَلَا مَا يُسْلَى فِي اللّهُ وَلَا مَا مُنْ اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ لَلْ اللّهُ وَاللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَلْهُ الللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَلَا مَا الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللهُ اللللهُ اللللهُ اللّهُ اللللهُ الللهُ الللهُ اللللهُ اللللهُ اللللهُ الللهُ اللللهُ الللهُ اللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ ال

⁽١) كذا في مطبوع «تيسير العلي القدير»، وفي الأصل: «وما»!

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب (٤٧٨١) من حديث أبي هريرة ﴿ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللّل

⁽٣) انظر: «تيسير العلى القدير» (٣/ ٤٧٧).



بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَنتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكَمَةُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿ ﴿ ﴿ .

قال: المحقق محمد صديق حسن في «تفسيره»: «قال الواحدي^(۱): «قال المفسرون: إن أزواج النبي على سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه الزيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فآلى رسول الله على منهن شهراً، وأنزل الله آية التخيير هذه (۲)، وكنَّ يومئذ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة، وسودة، وهؤلاء من نساء قريش، وصفية الخيبرية، وميمونة الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقيّة».

﴿إِن كُنْتُنَ تُرِدْكَ الْحَيَوْةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ أي: سعتها ونضارتها ورفاهيتها وكثرة الأموال والتنعم فيها ﴿فَنَعَالَيْكَ ﴾ أي: أقبلن إليَّ بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين ﴿أُمَتِّعَكُنَ ﴾ أي: أعطكن المتعة ﴿وَأُسَرِّمَكُنَ ﴾ أي أطلقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ المراد به هو الواقع من غير ضرار على مقتضى السنة، ﴿وَلِن كُنتُنَ تُرِدْكَ اللهَ وَرَسُولُهُ ﴾ أي: تردن رسوله، وذكر الله للإيذان بجلالة محمد على عنده تعالى ﴿وَالدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ أي: الجنة ونعيمها ﴿فَإِنَّ (٣) اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِئَتِ مِنكُنَ ﴾ أي: اللاتي عملن عملاً صالحاً ﴿أَجًا عَظِيما ﴾ لا يمكن وصفه، ولا يقدر (١) قدره، وذلك بسبب إحسانهن وبمقابلة صالح عملهن.

وقد خيرهن رسول الله على بإذن الله في البقاء على الزوجية أو الطلاق، وفي «الصحيحين» عن عائشة قالت: «خيرنا رسول الله على فاخترناه، فلم يعده طلاقاً» (٥). وقد أخرج مسلم عن جابر قال: «أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله على والناس ببابه جلوس والنبي على جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر، فدخلا والنبي على جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن النبي على النفقة آنفاً فوجأت في عنقها؟ رسول الله! لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفاً فوجأت في عنقها؟

⁽۱) في «الوسيط» (٣/٧٦٧).

⁽٢) انظر ما ورد في ذلك عند البخاري كتاب التفسير، باب ﴿ قُل لِأَزْوَبَكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْكَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ . . . ﴾ (٤٧٨٦)، وباب ﴿ وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْكَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ . . . ﴾ (٤٧٨٦)، ومسلم كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنيّة (١٤٧٥).

⁽٣) في الأصل: «كان»! (٤) في مطبوع «فتح البيان»: «يقادر».

⁽٥) أُخَرِجه البخاريُّ في كتاب الطلاق، باب مَن خَيَّر نساءَه (٥٢٦٢)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنيّة (١٤٧٧) من حديث عائشة عَيِّناً.



فضحك رسول الله على حتى بدت نواجذه وقال: "هن حولي يسألنني" النفقة القام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان رسول الله على ما ليس عنده؟! فنهاهما رسول الله على فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله على بعد هذا المجلس ما ليس عنده" وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة أن رسول الله على جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، قالت: فبدأ بي، فقال: "إن الله قال قالت فبدأ بي، فقال: "إن الله قال: "إن الله قال: "إن الله قال: "إن الله قال: أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى ويتأيم النّي قُل لِرْوَبِك الله الله الله الله الله وسوله والدار الآخرة، وفعل أزواج النبي على مثل ما فعلت (أن ثم لما اختار نساء رسول الله على إلى تمام الآية منكن أن إبن الله الله وتعظيماً المحقهن؛ فقال: ﴿ يَنِسَاءَ النّي مَن يَأْتِ مِنكُنّ ﴾ (مِنْ) بيانية لأنهن كلهن محصنات الحقهن؛ فقال: ﴿ يَنِسَاءَ النّي مَن يَأْتِ مِنكُنّ ﴾ (مِنْ) بيانية لأنهن كلهن محصنات الحقهن؛ فقال: ﴿ يَنِسَاءَ اللّه عَن ذلك وبرأهنّ وطهرهنّ ، فهو كقوله تعالى: ﴿ لَهِنْ أَشَرَكْتَ لَيَحْطَنُ عَلَى الله عن ذلك وبرأهنّ وطهرهنّ ، فهو كقوله تعالى: ﴿ لَهِنْ أَشَرَكْتَ لَيَحْطَنُ عَمَلُكُ ﴾ [الزمر: 10].

﴿ يُضَنعَفَ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي: يعذبهن الله مثلي عذاب غيرهن من النساء إذا أتين بمثل تلك الفاحشة، وذلك لشرفهن وعلو درجتهن وارتفاع منزلتهن، ولأن ما قبح من سائر النساء كان منهن أقبح، فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل، وليس لأحد من النساء مثل فضل نساء النبي على ولذا كان الذم للعاصي العالم أشد من العاصي الجاهل؛ لأن المعصية منه أقبح، ولذا فضل حد الأحرار على العبيد، وقد ثبت في هذه الشريعة في غير موضع أن تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه إذا عصى تضاعف العقوبات، والمراد

⁽١) في الأصل: «يسألني».

⁽٢) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حَرَّم امرأته ولم ينوِ الطلاق (١٤٧٨) من حديث جابر بن عبد الله.

⁽٣) في مطبوع «فتح البيان»: «ففي أي».

⁽٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب ﴿ قُل لِآزُوكِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْكَ الْحَيَوْةَ الدُّنِيَا . . . ﴾ (٤٧٨٥)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب ﴿ وَلِن كُنْتُنَ تُرِدْكَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ . . . ﴾ (٤٧٨٦)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنية برقم (١٤٧٥) من حديث عائشة ﷺ .



بالعذاب هنا الحد^(۱)، وقال مقاتل: هذا التضعيف في العذاب إنما هو في الآخرة، كما أن إيتاء الأجر مرتين في الآخرة، وهذا حسن؛ لأن نساء النبي عليه لل الأخرة، كما أن إيتاء الأجر مرتين في الآخرة، وهذا حسن؛ لأن نساء النبي عليه لم يأتين بفاحشة توجب حد، وقد قال ابن عباس: «ما بغت امرأة نبي قط؛ وإنما خانتا في الإيمان والطاعة» (۱) (۱۳) .

قال محمد تقي الدين: قول ابن عباس: «ما بغت امرأة نبي قط» أي ما زنت، وخيانة امرأة نوح وامرأة لوط المذكورتين في سورة التحريم ليس معناها الزنى، وإنما هي عدم الإيمان وعدم طاعة زوجيهما نوح ولوط على.

"﴿وَمَن يَقْنُتُ والقنوت الطاعة؛ أي: يطع، ﴿مِنكُنَّ لِلَهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلُ صَلِحًا نُوْتِهَا الْمَرَهَا مَرَّيَّيْ وَلَهُ والقنوت الطاعة؛ أي: يطع، ﴿مِنكُنَّ لِلَهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلُ صَلِحًا نُوْتِهَا الْجَرَهَا مَرَّيَيْ يعني أنه يكون لهن من الأجر على الطاعة مثلي ما يستحقه غيرهن من النساء إذا فعلن تلك الطاعة، وفي هذا دليل قوي على أن معنى ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾، أنه يكون العذاب مرتين لا ثلاثاً؛ لأن المراد إظهار شرفهن ومرتبتهن في الطاعة والمعصية، لكون حسنتهن كحسنتين وسيئتهن كسيئتين، ولو كانت كثلاث سيآت لم يناسب ذلك كون حسنتهن (٤)، فإن الله أعدل من أن يضاعف العقوبة عليهن مضاعفة تزيد على مضاعفة أجرين. قيل: الحسنة بعشرين حسنة وتضعيف ثوابهن لرفع منزلتهن، وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين.

﴿ يَنِسَانَهُ ٱلنِّي لَسَنُنَ كَأَحَدِ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ﴾ قال الزجاج: «لم يقل: كواحدة من النساء؛ لأن (أحد) لفظ (٥) عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة (٢٠). وقد يقال على ما ليس بآدمي، كما يقال: ليس فيها أحد لا شاة ولا بعير، والمعنى: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف، قال ابن عباس: «يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، أنتن أكرم علي وثوابكن أعظم لدي " ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد فقال: ﴿ إِنِ التَّهَيُّانُ ﴾ الله وثوابكن أعظم لدي " ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد فقال: ﴿ إِنِ التَّهَيُّانُ ﴾ الله

⁽١) في مطبوع «فتح البيان»: «والعذاب بمعنى الحد».

⁽۲) أخرجه أبن جرير (۲۱/ ۳۳۶ و۲۳/ ۱۱۲)، وابن عساكر (۳۱۸/۵۰) وما سبق من «فتح البيان» (۳۵۹ - ۳۹۲) بتصرف.

⁽٣) انظر: "فتح البيان" (٥/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢). (٤) كذا في الأصل، ولعل بعدها "حسنتين".

⁽٥) في مطبوع «معاني القرآن وإعرابه»: «نفي»؛ وهو الصواب.

⁽٦) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢٢٤/٤).



فأطعنه، فإن الأكرم عند الله هو الأتقى، فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهن للتقوى؛ لا لمجرد اتصالهن بالنبي على طريقة رسول الله على الحمد ـ التقوى البينة والإيمان الخالص والمشي على طريقة رسول الله على عياته وبعد مماته، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: إن اتقيتن فلستن كأحد من النساء، ﴿فَلَا تَغْضَعُنَ بِالْقَوْلِ والمعنى: لا تَلِنّ القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المريبات من النساء، ولا ترققن الكلام. قال ابن عباس يقول: «لا ترضخن بالقول ولا تخضعن بالكلام»، وعنه قال: «مقارنة الرجال بالقول فإنه يتسبب عن ذلك مفسدة عظيمة وهي قوله: ﴿فَيَطْمَعُ اللّذِي فِي قَلْمِهِ مَرَضُ أي أي فجور وشهوة أو شك وريبة أو نفاق». والمعنى: لا تقلن قولاً يجد المنافق فجور وشهوة أو شك وريبة أو نفاق». والمعنى: لا تقلن قولاً يجد المنافق فاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا عند الناس؛ أي: حسناً مع كونه خشناً بعيداً من الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئاً، ولا يطمع فيكن أهل الفسق والفجور بسببه، أو قولاً يوجبه الإسلام والدين عند يطمع فيكن أهل الفسق والفجور بسببه، أو قولاً يوجبه الإسلام والدين عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَ ﴾ أي: الزمن بيوتكن (١٠).

قال محمد تقي الدين: وفي «الصحيح» أن النبي ﷺ لما حج بأزواجه قال لهن: «هذه وأحلاس البيوت»(٢). ولذلك التزمت بعض أزواج النبي ﷺ وهي

⁽۱) ما مضى من «فتح البيان» (٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٣) بتصرف واختصار.

⁽۲) أخرجه الطيالسي (۱۹۲۷، ۱۳۱۷)، وأحمد (۲/٤٤)، وأبو يعلى (۱۹۵۷، ۱۹۱۷)، وابن الخرجه الطيالسي (۱۹۷۸، ۱۹۲۷)، والطحاوي في والبزار (۱۰۷۷، ۱۰۷۸)، والطحاوي في «المشكل» (۵۹۰۳) بإسناد حسن من حديث أبي هريرة قال: إن رسول الله على لما حج بنسائه، قال: «إنما هي هذه الحجّة، ثم الْزَمْنَ ظُهُورَ الحُصُر».

وبنحوه من حديث أبي واقد الليثي، عند أحمد (٥/ ٢١٨، ٢١٩)، وأبي داود (٢١٧٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٠٣)، وأبي يعلى (١٤٤٤)، والطحاوي في «المشكل» (٥٦٠٤)، وابن قانع (١/ ١٧٣)، والطبراني (٣٣١٨)، والبيهقي (٤/ ٣٢٧ و ٥/ ٢٠٠٨)، والخطيب (٧/ ١١٠، وإسناده حسن في المتابعات والشواهد.

وبنحوه عند أحمد (٢/ ٣٢٤)، والحارث بن أبي أسامة (٣٥٨ ـ زوائده)، وأبي يعلى (٢٥٨) في «مسانيدهم»، وابن سعد (٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠٨)، والطبراني (٢٤/ رقم ٨٩) وفيه زيادة: «فكلهن يَحْجُجْنَ إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة، وكانتا تقولان: والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من النبي على الساده حسن.

وفي الباب عن أم سلمة عند أبي يعلى (٦٨٨٥)، والطبراني (٢٣/رقم ٢٠٦)، وعن =



سودة _ أن لا تخرج من حجرتها حتى تموت، وكذلك فعلت. ثم نعود إلى كلام القنوجي قال: «﴿ وَلَا تَبَرَّحُ لَنَبُّحُ الْجَلِهِلِيَّةِ الْأُولَٰكُ ﴾ التبرج أن تبدي المرأة زينتها (١) ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة (١) الرجل.

والجاهلية الأولى، هي: ما قبل الإسلام، إذا كانت المرأة تكشف محاسنها وتتزين للناس، والجاهلية الأخرى: قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان»^(٣).

قال محمد تقي الدين: وقد بلغ السيل الزُّبى، واتسع الخرق على الراقع في هذا الزمان، ومحيت الغيرة والشرف من قلوب الرجال، وأصبح أكثرهم ديوثين، وفي الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة ديوث» (٤). اه. وهو جدير بذلك، فإذا ذهب الدين والعرض فلا خير في الحياة. اه.

"﴿وَأَوْمَنَ الصَّلَوْةَ ﴾ الواجبة ﴿وَءَاتِينَ الرَّكُوٰةَ ﴾ المفروضة ﴿وَأَطِعْنَ اللّه وَرَسُولُهُ ﴾ فيما أمر وفيما نهى، وخص الصلاة والزكاة ثم عمم فأمرهن بالطاعة ولرسوله في كل ما هو شرع؛ لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية، ولأن من واظب عليهما جرّتاه إلى ما وراءهما ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله ﴾ أي: إنما أوصاكن الله بما أوصاكن من التقوى، وأن لا تخضعن بالقول، ومن قول المعروف، والسكون في البيوت، وعدم التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والطاعة ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ البيوت، والمراد بالرجس الإثم والذب المدنسان للأعراض، الحاصلان بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه، فيدخل في ذلك كل ما ليس فيه رضا الله ﴿ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ نصبه على النداء أو المدح ﴿ وَيُطَهِّرُهُ ﴾ من الأرجاس والأدناس

⁼ ابن عمر عند ابن حبان (٣٧٠٦)، والطبراني في «الأوسط» (٧٩٢٦).

⁽١) في مطبوع «فتح البيان»: «من زينتها».

⁽٢) كذا في مطبوع "فتح البيان"، وفي الأصل: "تستدعي بشهوة"!

⁽٣) انظر: «فتح البيان» (٥/ ٣٦٤ _ ٣٦٥) بتصرف.

⁽٤) أخرجه الطيالسي (٦٤١)، وعبد الرزاق (٢٠٤٣) من حديث عمار، وإسناده ضعيف. والحديث صحيح بشواهده، منها: ما أخرجه النسائي (٥/٥٠ ـ ٨١)، وأحمد (٢/١٣٤)، والبزار (١٨٧٦)، وأبو يعلى (٥٥٥١) في «مسانيدهم»، وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٧٥، ٥٧٥)، والحاكم (١/٢٧ و٤/٢٤٦)، والطبراني (١٣١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٥، والحاكم (١/٢٧ و٤/٢٤٦)، والطبراني (١٣١٨)، والبيهقي في «الشعب» (وعند الضياء زيادة: عن عمر رفعه: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: المعاق ... والدّيوث ورَجُلة النساء»)، وإسناده صحيح، وصححه الذهبي في «الكبائر» (ص٢٥١ ـ بتحقيقي/التحقيق الثاني)، وجوده المنذري في «الترغيب» (٢٥١٨ ـ بعنايتي).



﴿ تَطْهِيرًا ﴾ كاملاً، وفي استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتطهير تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلها شديد. وقد اختلف أهل العلم في أهل البيت المذكورين في في الآية، فقال ابن عباس وجماعة (١) من التابعين: إن أهل البيت المذكورين في الآية هن (٢) زوجات النبي على خاصة، قالوا: والمراد بالبيت بيت النبي على ومساكن زوجاته لقوله: ﴿ وَاذْكُرُنَ مَا يُتَلَى فِي بُيُوتِكُنَ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وأيضاً ومساكن زوجاته لقوله: ﴿ وَاذْكُرُنَ مَا يُتَلَى فِي بُيُوتِكُنَ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وأيضاً السياق في الزوجات من قوله: ﴿ يَتَأَيُّهُا النَّيِّ قُل لِآزُونِدِكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَطِيفًا السياق في الزوجات من قوله: ﴿ يَتَأَيُّهُا النَّيِّ قُل لِآزُونِدِكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَطِيفًا

وقال (٢) أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين (١)؛ أن أهل البيت المذكورين في الآية هم: على وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب في الآية بما يصلح للذكور لا للإناث وهو قوله: ﴿عَنكُم﴾ و﴿ لِيُطَهِّرَكُمُّ ﴾، ولو كان للنساء خاصة لقال: (عنكن) و(ليطهركن)، وأجاب الأولون عن هذا بأن التذكير باعتبار لفظ الأهل، كما قال سبحانه: ﴿أَعَجُينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَكَنُهُ عَلَيْكُمُ أَهَلَ ٱلبَيْتِ ﴾ [هود: ٣٧] وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ يريد زوجته أو زوجاته، فيقول: هم بخير. ولنذكر ههنا ما تمسك به كل فريق.

أما الأولون؛ فتمسكوا بالسياق، فإنه في الزوجات كما ذكرنا، وبما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال: «نزلت في نساء النبي على خاصة» (٥) وقال عكرمة: «من شاء باهلته، إنها نزلت في أزواج

أخرجه ابن جرير (٢٢/٥)، وابن أبي حاتم والطبراني _ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٤) _ والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٣٩)، و«الوسيط» (٣/ ٤٧٠)، وهو عند ابن أبي حاتم موقوفاً ومرفوعاً، وإسناده ضعيف، مداره على عطية العوفي.

⁽١) في مطبوع «فتح البيان»: «وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير».

⁽٢) في مطبوع «فتح البيان»: «هم».

⁽٣) في مطبوع "فتح البيان": "وقاله أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة".

⁽٤) في مطبوع «فتح البيان»: «وروي عن الكلبي أن أهل...». وروي عن أبي سعيد مرفوعاً أنه قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ (أي رسول الله ﷺ)

⁽۵) أخرجه ابن أبي حاتم _ كما في «تفسير ابن كثير» (۱۱/۱۵) _، وابن عساكر (۷۳/ ۱۸۱) و النزول» (ص۲۳۹)، وابن مردويه _ كما في «الدر المنثور» (٦٠٣/٦) _ من طريقين عن ابن عباس، إحداهما حسنة.



النبي ﷺ^(۱)، وروي هذا عنه بطرق.

وأما ما تمسك به الآخرون؛ فأخرج الترمذي وصححه (٢) عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله الآية، وفي البيت: فاطمة وعلي والحسن والحسن، فجللهم رسول الله على بكساء كان عليه، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً» (٣). وأخرج ابن جرير وجماعة (١) من المحدثين والمفسرين عن أم سلمة أيضاً: «أن النبي على كان في بيتها على منامة له، عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فقال رسول الله على منامة له، عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة، فقال يأكلون إذ نزلت على النبي على في النبي المنه بين بينها هم يأكلون إذ نزلت على النبي الله بين بفضلة كسائه، فعشاهم إياها، ثم أخرج البي يك بفضلة كسائه، فعشاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: «إنك سلمة: فأذحلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول الله وأنا معكم، فقال: «إلى خير»(٢). وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وغيرهم (٧) عن عائشة قالت:

⁽۱) قولة عكرمة هذه، عند ابن أبي حاتم على إثر أثر ابن عباس السابق، أفاده ابن كثير في «تفسيره» (۱۱/۱۵۳)، وأسنده بنحوه عن عكرمة: ابن جرير (۷/۲۲)، ۸)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص ٢٤٠)، و«الوسيط» (٣/ ٤٧٠)، وخرجته في جزء مفرد لي عن (المباهلة)، يسر الله إتمامه ونشره.

⁽٢) في مطبوع "فتح البيان": "فأخرج الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في "سننه" من طرق".

⁽٣) أخرجه الترمذيُّ (٣٧٨٧)، وأحمد (٢/ ٢٩٢، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٠٥)، وابن راهویه (١٩٧٤)، وأبو یعلی (١٩٨٨، ٢٩١٦) في «مسانیدهم»، وابن أبي شیبة (١١/ ٢٦٢) و ابن جریر (١٩١٥)، ط. هجر)، وابن عدي (٥/ ١٩١٧)، والطبراني (٢٦٢٢، ٢٦٦٢، ٢٦٦٦، ٢٦٦٧، ٢٧٩، ٧٧٠، ٧٧٠، ٧٧٩ طرق، والدولابي (٢/ ١٢١)، والحاكم (٢١٦/١)، والبيهقي (٢/ ١٥٠)، من طرق، هو بها حسن إن شاء الله تعالى.

⁽٤) في مطبوع «فتح البيان»: «ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه».

⁽٥) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «فدعوتهم»!.

⁽٦) أخرجه الطبريُّ في «تفسيره» (١٩/ ١٠٥) بهذا اللفظ، وسبق تخريجه.

⁽٧) في مطبوع «فتح البيان»: «وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم».



«خرج النبي عَلَيْهُ غداة وعليه مِرطٌ مرحّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاء علي فأدخله معه، ثم قال: «﴿إِنَّمَا يُرُيدُ اللَّهُ ﴾ الآية»(١).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله على قال: «أذكركم الله في أهل بيتي» فقيل لزيد: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده، آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس»(۲).

ثم قال (٣): «وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين، فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلي وفاطمة والحسن والحسين. أما الزوجات؛ فلكونهن المرادات في سياق هذه الآيات كما قدمنا ولكونهن الساكنات في بيوته والنازلات في منازله، ويعضد ذلك: ما تقدم عن ابن عباس وغيره. وأما دخول علي وفاطمة والحسن والحسين، فللمحديث (١) الذي تقدم ذكره» (٥).

قال محمد تقي الدين: وهذا القول هو الصحيح، وهو واضح لا شك فيه، أما أزواج النبي على فالقرآن يدل عليهن دلالة لا تقبل الشك. وأما فاطمة فهي بنت النبي على وسيدة نساء العالمين، وقد قال فيها النبي على: "إن فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها"، وفي لفظ: "يسوؤني ما ساءها" (أ)، وأما الحسن والحسين فقد سماهما النبي على ابنيه (۷)، وأبناء الإنسان من أهل بيته، وأما

⁽۱) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة في، باب فضائل أهل بيت النبي في (۲۲۲٪)، وابن أبي شيبة (۲۲٪)، وأحمد (۲۲٪۱٪)، وأبو داود (۲۳٪٪)، والترمذي (۲۸۱۳)، وفي «الشمائل» (۲۷)، والحاكم (۱۸۸٪)، والبيهقي (۲۸٪).

⁽٣) أي: صديق حسن خان ـ رحمه الله تعالى ـ.

⁽٤) في مطبوع «فتح البيان»: «فلكونهم قرابته وأهل بيته في النسب».

⁽٥) انظر: «فتح البيان» (٥/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨).

⁽٦) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع (٣٧٢٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة.

⁽٧) ورد ذلك في حديث أحرجه الترمذيُّ برقم (٣٧٦٩) وغيره، وهو قوله ﷺ: «هٰذان ابناي...»، والحديث مضى تخريجه.



عليّ؛ فقد نشأ في بيت النبي واختاره بعلاً لابنته، وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» (١) كما تقدم في ذكر الخلفاء الراشدين، ولما خرج النبي والمباهلة وفد نجران بعد ما أمره الله تعالى بقوله: ﴿فَقُلْ تَمَالُواْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَنْسَكُمُ وَأَنْسَكُمُ وَأَنْسَكُمُ أَخَذَ معه فاطمة وعلياً والحسن والحسين، وقد تقدم ذكر ذلك في (القسم الأول) من هذا (الكتاب)، وهؤلاء الأربعة أخص من غيرهم، ويليهم المذكورون في حديث زيد بن أرقم، الذين حرمت عليهم الصدقة، فمن كان يحب النبي فلا بدّ أن يحب آل بيته، الذين توفى وهو عنهم راضٍ، ومن اتبعهم من ذرياتهم يلحقه الله تعالى بهم، أما من أشرك بالله أو ابتدع في دين الله؛ فليس من أولياء الله ولا من أولياء أما من أشرك بالله أو ابتدع في دين الله؛ فليس من أولياء الله ولا من أولياء قال: «إن آل أبي فلان _ يعني أبا طالب _ ليسوا لي بأولياء، إنما ولي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها» (١)، انظر (الباب الأخير) من وسورة الشعراء) من (القسم الأول) من هذا (الكتاب).

وأما الذين يعتمدون على الانتساب المجرد، فقد ضلوا ضلالاً بعيداً، مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

فصل في ذكر أزواج النبي رهي الله عنهن وذكر بعض فضلهن رضى الله عنهن

وسأنقل ذلك من كتاب «كشف الغمة عن جميع الأمة»؛ لأني وجدته أحسن ترتيباً وأسهل على القراء من «سيرة ابن هشام» وغيرها، ممن جمع تراجم الأزواج الطاهرات.

ولا ينقصه إلا عدم عزو الأحاديث وذلك لا يضر^(٣)؛ لأن أكثر ما ذكر هنا مرويٌّ في كتب الحديث المعتبرة.

⁽١) سبق تخريجه.

⁽٢) سبق تخريجه.

⁽٣) لا سيما أنا قد عملنا _ ولله الحمد _ على تخريجها .



الأولى: خديجة بنت خويلد(١) ﴿ اللَّهُا:

«قال أنس^(۲): «كان رسول الله ﷺ: يذكر خديجة كثيراً بعد موتها ويستغفر لها، ويقول: «كانت وكانت»، وكان يكرم صدائقها بعد موتها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما دخلت عليه العجائز اللاتي كن يدخلن على خديجة؛ فيكرمهن (۳).

قال ابن عباس (٤): «وكانت قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ زوجين، ولم يتزوج رسول الله ﷺ عليها حتى ماتت (لثلاث سنين قبل الهجرة) (٥)، وأرسل الله ﷺ لها السلام مع جبريل ﷺ (٦).

⁽۱) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤/ ٣٧٤/ ٣٣٤٧)، و«الإصابة» (١٠٨٦)، وأسد الغابة (٦٨٧٥، ط. دار المعرفة).

⁽٢) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: « رَفِيْهُمْ».

⁽٣) أخرجه يونس بن بكير في «زياداته على السيرة» (ص٣٤٣ _ ٣٤٣)، وأحمد (٢/ ٥٨، ٢٠٢)، وفي «القضائل» (١٥٨٩)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» حديث (٣٩، ٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٥١)، وإسناده صحيح، وانظر الحديث الآتي.

⁽٤) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «رَفِيْظُنِهُ».

⁽٥) (لثلاث سنين قبل الهجرة) غير موجودة في مطبوع «كشف الغمة».

⁽٦) أخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٧/ ٤٩٢) برقم (١٤٠٠٣).

⁽V) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: « وَقُلْهَا». (٨) في مطبوع «كشف الغمة»: «كفرني».

⁽٩) أخرجه البخاريُّ في كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها الله المؤمنين المؤ



قال ابن عباس^(۲): كان رسول الله ﷺ يقول لما توفيت خديجة: «نزل جبريل بصورة عائشة^(۳) في سرقة^(٤) حرير خضراء، فقال: يا محمد؛ هذه زوجتك في الدنيا والآخرة، عوضاً عن خديجة بنت خويلد»^(٥) وقالت عائشة^(۲): قال لي رسول الله ﷺ: «إنْ جبريل يقرئك السلام» فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته (٧).

وقالت عائشة (^^): «وكان أزواج النبي ﷺ (٩) يرسلن فاطمة إليه كثيراً، ويقُلُن لها: قولي لأبيك إن أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة وأنا ساكتة، فتأتي فاطمة إليه، فيقول لها رسول الله ﷺ: «أي بنيتي (١٠٠ ألست تحبين ما أحب؟» فتقول: بلى، قال: «فأحبي هذه»، فترجع فاطمة فتخبرهن بما قال لها رسول الله ﷺ، فيقُلُن لها: ما أغنيتِ عنا من شيء، فارجعي إليه ثانياً، فلما أكثرن على فاطمة، قالت: لا أكلمه فيها أبداً؛ فسكتن (١١٠).

امرأة إلا خديجة؟ فيقول: "إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد"، وما سبق من "كشف الغمة" (١٠٧ ـ ١٠٨).

⁽٤) سَرَقَة على وزن خشبة. (منه).

⁽٥) أخرجه الترمذيُّ برقم (٣٨٨٠) وأصله عند مسلم (٢٤٣٨) من حديث عائشة نفسها.

⁽٦) في مطبوع «كشف الغمة»: «وكانت رَبِي الله عَلَيْهُا تقول».

⁽٧) أخرجه البخاريُّ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة ﷺ برقم (٣٧٦٨)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ (٣٤٤٧) من حديث عائشة ﷺ.

 ⁽٨) في مطبوع «كشف الغمة»: «قالت رقياً». (٩) في مطبوع «كشف الغمة»: «أزواجه رقيلية».

⁽١٠) في مطبوع «كشف الغمة»: «بنية».



وقالت عائشة على (۱): «وكان الناس يتحرون بهداياهم إلى رسول الله على يوم نوبتي، فغارت أم سلمة وصواحبها، وقلن: نكلّم رسول الله على في ذلك يكلم الناس، ويقول: ألا من أراد أن يهدي هدية إلى رسول الله على فليهدها إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلّمته أم سلمة، فسكت (رسول الله)(۲) على فأعادت عليه القول مرة أخرى، فقال: «لا تؤذيني في عائشة» فقالت: يا رسول الله أتوب إلى الله»(۳).

وقالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول لي^(١): «إني لأعلم إذا كنت عني راضية؛ فإنك تقولين إذا كنت راضية: لا وربِّ محمد! وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم». فأقول له: نعم يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك فقط(٥).

وقالت عائشة: «كان^(١) رسول الله ﷺ يسابقني؛ فأسبقه، فلما لحقني اللحم كان يسبقني» (٧).

وقال أنس (^): «لما (٩) قربت وفاة عائشة رسي اللها: ندفنك مع رسول الله رسول الله وقالت: إنّي أحدثت بعده أموراً» (١٠٠٠). فلما توفيت سنة ثمان

⁽١) في مطبوع «كشف الغمة»: «قالت ريجيُّهَا».

⁽٢) في مطبوع «كشف الغمة» من غير: «رسول الله».

⁽٣) أخرج البخاريُّ بعضاً منه في كتاب الهبة، باب قَبولِ الهدية (٢٥٧٤)، وأخرجه كاملاً في الكتاب نفسه، باب مَن أهدى إلى صاحبه وتحرّى بعض نسائه دون بعض (٢٥٨١) وأخرج مسلم بعضاً منه في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٢٤٤٢) من حديث عائشة على الله المناسبة المناسبة

⁽٤) في مطبوع «كشف الغمة»: «وكانت تقول: قال لي رسول الله ﷺ».

⁽٥) أخرجه البخاريُّ في كتاب النكاح، باب غَيرةِ النساءِ ووجدهنَّ (٥٢٢٨)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة ﷺ.

⁽٦) في مطبوع «كشف الغمة»: «قالت وكان...».

⁽۷) أخرجه الحميدي في «مسنده» (۲٦١)، وابن أبي شيبة (٥٠٨/١٢)، وأحمد (٦/ ٩٠٨)، وأحمد (٦/ ٩٠٩)، وأبو داود برقم ٩٣، ١١٤٩، ١٨٢، ٢٦٤، ٢٨٠)، والبطيب السبي (١٤٦٢)، وأبو داود برقم (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩)، وأبو القاسم البغوي في «التجعديات» (١٩٧٤)، والبيهقي والطحاوي في «المشكل» (٤٠١٣ ـ الهندية)، وابن حبان (١٣١٠ ـ موارد)، والبيهقي (١٣١٠ ـ ١٧/١٠)، وإسناده صحيح. انظر: «الفروسية» (ص٨٥ ـ بتحقيقي)، «الصحيحة» (١٣١٠)، «الارواء» (٥/٣١٧).

⁽٩) في مطبوع «كشف الغمة»: «ولما».

⁽١٠) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٥، ط. دار الكتب العلميَّة)، وبنحوه عند ابن أبي =



وخمسين؛ دفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة، وكان خليفة لمروان بالمدينة، وكان عمرها ستاً وستين سنة ﷺ^(۱).

الثالثة: حفصة بنت عمر بن الخطاب(٢) على:

"قال عمر": "لما تأيّمت ابنتي حفصة من زوجها خنيس بن حذافة السهمي، عرضتُها على عثمان. فقال: سأنظر في ذلك، فلبثتُ ليالي؛ فلقيني. فقال: ما أريد أن أتزوَّج يومي هذا، قال عمر (ئ): فلقيت أبا بكر فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فلم يرجع إليَّ شيئاً، فكنت أوجد عليه من عثمان، فلبثتُ ليالي فخطبها إليَّ رسولُ الله عَلَيْ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وَجَدْتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة، فلم أرجع إليك شيئاً (حين عرضتها علي) (٥)؛ لأني معت رسول الله عَلَيْ يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله عَلَيْ، ولو تركها لنكحتها)".

⁼ شيبة (٧/ ٥٣٦)، وابن سعد (٨/ ٧٤) كلاهما من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: قالت عائشة به، وظاهر إسناده الصحة.

⁽۱) انظر: «كشف الغمة» (۱۰۸ ـ ۱۱۱).

⁽٢) انظر ترجمتها في: «طبقات خليفة» (٣٣٤)، و«طبقات ابن سعد» (٨١/٨)، و«نسب قريش» (٢٤)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» (٤٥)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة (٢٩)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤١)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/٧٢)، و«السمط الثمين» (٩٥).

⁽٣) بعدها في مطبوع «كشف الغمة»: «فَيْطُهُ».

⁽٤) بعدها في مطبوع «كشف الغمة»: «غَلَيْهُ». (٥) غير موجود في مطبوع «كشف الغمة».

⁽٦) في مطبوع «كشف الغمة»: «إني».

⁽٧) أخرجه البخاريُّ في كتاب المغازي، باب (٤٠٠٥) من حديث عبد الله بن عمر ﴿

⁽٨) أخرجه الحاكم (٤/٥٣)، وإسناده واه بمرة، فيه داود بن المحبَّر، ذاهب الحديث.

⁽٩) بعده في مطبوع «كشف الغمة»: « ﴿ اللهُ اللهُ



طلق حفصة حثا على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعد اليوم فنزل جبريل على من الغد على رسول الله على وقال: «إن الله تعالى يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر، رحمة لعمر؛ فإنها صوامة (۱)، وإنها زوجتك في الجنة فراجعها (۲)» (۳).

الرابعة: ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية (٦) على الما

«تزوجها رسول الله عَلَيْ في سنة سبع من الهجرة، كان اسمها بَرِّة فسمًّاها النبي عَلَيْ ميمونة (٧)، توفيت سنة إحدى وخمسين بوادي سَرف وهو بينه وبين مكة عشرة أميال وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها (٨) وبنو أخواتها عَلَيْنًا» (٩).

⁽١) في مطبوع «كشف الغمة»: «لصوامةٌ قوامةٌ».

⁽٢) في مطبوع «كشف الغمة»: «فراجعها ﷺ».

⁽٣) أخرجه أبن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٥٢)، والبزار (٢٦٦٨ ـ زوائده)، والطبراني (٢٦٦٨ ـ زوائده)، وابو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ رقم ٧٤٠٢) من طريق الحسن بن أبي جعفر عن عاصم عن زر عن عمار بنحوه، وإسناده ضعيف، فيه الحسن بن أبي جعفر، واضطرب فيه، فكان يرويه أيضاً عن ثابت عن أنس، كما عند الحاكم (٤/ ١٠)، ط. العلمية)، وتطليق النبي على لحفصة ومراجعته لها، صحيح ثابت.

⁽٤) في مطبوع «كشف الغمة» بدون قوله: «حفصة».

⁽٥) انظر: «كشف الغمة» (١١١ ـ ١١٢).

⁽٦) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٣٢)، و«طبقات خليفة» (٣٣٨)، و«تاريخ خليفة» (٨٦٨)، و«المنتخب في كتاب أزواج النبي ﷺ» (٣٤)، و«المنتخب في مناقب أرواج النبي ﷺ» (٣٥)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١٣١)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٢٣٨)،

⁽۷) أخرج البخاري، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه (٦١٩٢)، ومسلم كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن (٣١٤١) عن أبي هريرة أن زينب كان اسمها برَّة، فقيل: تُزكى نفسها، فسماها رسول الله ﷺ زينب.

هذا هو الصحيح أن النبي عَلَيْ غَير اسم (برة) إلى (زينب) وليست بميمونة، كما في «كشف الغمة» وأقره المصنف عليه!!

⁽A) في مطبوع «كشف الغمة»: «قبرها هو وبنو...».

⁽٩) انظر: «كشف الغمة» (١١٢).

الخامسة: أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية(١) عَيْهًا:

قال الحافظ في «الإصابة»: «كانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد، فمات عنها فتزوجها النبي ﷺ في جمادى الآخرة سنة أربع، كانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها وهاجرا إلى الحبشة»(٢).

قال صاحب «كشف الغمة»: «قالت أم سلمة: ولما خطبني رسول الله على قلت: يا رسول الله إني امرأة كبيرة ذات عيال! فقال: «أما الذي ذكرت من السن؛ فقد أصابني الذي أصابك، وأما عيالك؛ فإنهم عيالي» فقلت: سلمت نفسي إلى رسول الله على فتزوجني من ابني، فأرسل إليَّ رسول الله على جرتين أصنع فيهما حاجتي، ورحى ووسادة من أدم حشوها ليف، ثم قال رسول الله على «إني آتيكم الليلة إن شاء الله تعالى» قالت: فقمت فأخرجت حبات من شعير كان عندي في جرة (٢)، وأخرجت شحماً فعصدته له، قالت: ثم جاء رسول الله على فبات عندي إلى الصبح، ثم فعل ذلك ثلاثة أيام» (٤).

قالت عائشة (٥): وكان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر، ودار على نسائه، يبدأ بأم سلمة؛ لأنها أكبرهن سناً، وكان يختم بي (٦).

⁽۱) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (۸٦/۸)، و«طبقات خليفة» (٣٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٠٠)، و«المنتخب مِن كتاب أزواج النبي ﷺ» (٥٠)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة (٢٧)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (٩٩)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٢)، و«الإصابة» (٤٢٣/٤)، و«مَن وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة» لابن حَيَويه (ت٣٦٦ه) (٧٩) وتعليقنا عليه.

⁽٢) انظر: «الإصابة» (٤٢٣/٤). (٣) في مطبوع «كشف الغمة»: «في جر».

⁽³⁾ أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٩٢٦)، وأحمد (٢/٧٠)، وعبد الرزاق (١٠٦٤)، والشافعي (٢٦/٢ ـ ٢٧ ـ ترتيب السندي)، وابن سعد (٨/ ٩٠، ٩٣ ـ ٩٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٨٢)، والطحاوي (٣/٣)، وابن حبان (٤٠٦٥)، والطبراني (٣٢/رقم ٤٩٩، ٥٨٥، ٥٨٥،)، والبيهقي (٣/٢٦)، وفي «الدلائل» (٣/٣٤٤ ـ ٤٦٤)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/رقم ٢٤١٣). (٧٤١٠)، وهو صحيح، وانظر: «الصحيحة» (٢٩٣).

 ⁽٥) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «وَ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ الللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّل

⁽٦) أخرجه مسلم كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث (١٤٧٤) (٢١) عن عائشة: «... كان إذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن».

وبنحوه عند البخاري (٢٦٨، ٢٨٤، ٥٠٦٨، ٥٢١٥)، ومسلم (٣٠٩)، من حديث أنس.



وكان رسول الله (۱) عَلَيْ كثيراً ما يَعِد نساءه بالشيء يطلب رضاهن، ولما تزوج أم سلمة قال لها: «يا أم سلمة إني قد أهديت إلى النجاشي حُلة، وأواقي مسك، وإني لا أراه إلا قد مات وما أرى الهدية إلا ستردُّ إليَّ، فإن ردت إليَّ فهي لك» قالت أم سلمة: فكان الأمر كما قال، فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية أوقية، وأعطاني بقية المسك والحُلَّة (۲).

قال المسور بن مخرمة: وكان رسول الله على يشاور أم سلمة في بعض أموره، وهي التي (أشارت إليه) عام الحديبية بنحر البدن والحلق حين استشار الصحابة وسكتوا، وقالت: يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك؛ فيحلق رأسك، ففعل وقال لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا» هيا الله المحلق المنابعة الله المحلق المنابعة ال

قال محمد تقي الدين: هذه الرواية مخالفة لما في «الصحيح» وهو أن النبي على لما منعه المشركون من دخول مكة عام الحديبية، واتفق معهم على أنه يرجع في تلك السنة ويعود من قابل؛ صار محصراً، فأمر الناس أن ينحروا بُدنهم ويحلقوا رؤوسهم، فلم يفعلوا ما أمرهم، فدخل على أم سلمة، فقال لها: «هلك الناس» وأخبرها أنه أمرهم فلم يمتثلوا، فأشارت عليه أن ينحر بدنه دون أن يكلم أحداً ويدعو الحلاق يحلق رأسه، فقعل النبي على أشارت عليه به، وقاموا كلهم فنحروا وحلقوا (٥)، وهذا من فضائلها، ورجاحة عقلها.

⁽١) في مطبوع «كشف الغمة» بدون قوله: «رسول الله».

⁽۲) أخرجه سعيد بن منصور (٤٨٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٤٥٩)، وابن سبعد (٨/ ١٠٥)، وأحمد (٢/ ٤٠٤)، والطبراني (٢٥/ رقم ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٦)، والطحاوي في «المشكل» (٣٤٧، ٣٤٧)، وابن حبان (٥١١٤)، والحاكم (١١٨/١)، والبيهقي (٢/ ٢٦٠)، وفي «المعرفة» (٨/ ٢٠٠)، وإسناده ضعيف، فيه مسلم بن خالد، ووالدة موسى بن عقبة لم أقف لها على ترجمة.

⁽٣) في مطبوع «كشف الغمة»: «أشار إليها في عام».

⁽٤) «كشف الغمة» (١١٢)، وسيأتي تنبيه المصنف على اللفظ المحفوظ في دواوين السنة في حديث المسوّر، وهو عند البخاري كما سيأتي قريباً، والله الموفّق، لا ربَّ سواه.

⁽٥) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (٢٧٣١، ٢٧٣٢).



قال الحافظ (١): «قال ابن حبان (٢): ماتت في آخر سنة إحدى وستين بعدما جاءها نعي الحسين بن علي».

السادسة: أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية (٣):

قال صاحب "كشف الغمة": "وقالت (أم حبيبة) (ئ) والت تحت عبيد الله بن جحش، فهاجر بي إلى الحبشة الهجرة الثانية، فارتد عن الإسلام وتنصر ومات هناك (٥) فبقيت على ديني إلى أن أرسل رسول الله والله الله الله يخطبني من النجاشي مع عمرو بن أمية الضمري، وكنت قد رأيت تلك اللهة يقال لي: يا أم المؤمنين! ففرحت بذلك المنام، فأولت (٢) الرؤيا أن رسول الله ويتزوجني فما هو إلا أن انقضت عِدَّتي، وإذا رسول النجاشي على بابي يستأذن ففتحت، فإذا هي جارية النجاشي، فقالت: يقول لك الملك: إن رسول الله والله كتب إليّ يخطبك مني، فأعطيتها سوارين من فضة وخلخالين وخواتيم كانت في يدي ورجلي سروراً بما بشرتني، فلما كان العشى أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين، فحضروا وأرسل يقول لي: "وكلي من يزوّجك فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن أبي العاص (٧) فوكلته فزوجني».

وفي رواية: عن أم حبيبة على قالت: «لما بعث النبي على كتابه إلى النجاشي (^^) أن يزوَّجني له، جاءني النجاشي حتى وقف على باب داري واستأذن،

⁽١) في «الإصابة» (٤/٤/٤).

⁽٢) في «الثقات» (٢/ ١٣٩): «ماتت أم سلمة سنة تسع وخمسين».

⁽٣) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٩٦/٨)، و«طبقات خليفة» (٣٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١٨/٢)، و«تاريخ خليفة» (٩٧ و٨٦)، و«المعارف» (١٣٦ و٣٤٤)، و«المعرفة والتباريخ» (٣١٨/٣)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي على (٥٩)، و«تسمية أزواج النبي النبي (٣١٠)، و«السمط النمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١١١)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٤ _ ٤٥).

⁽٤) في مطبوع «كشف الغمة» بدون: «أم حبيبة».

⁽٦) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «تلك الرؤية».

⁽V) انظر الخلاف في هذا: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٣٢١٦).

⁽A) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «رَهُ اللهُ الل



فأذنت له^(١)، فأخبرني بذلك فقلت له: بشرك الله بخير، فقالت لى أبرهةً ـ جاريةً النجاشي التي كانت تقوم على طيبه ودهنه _ يقول لك الملك: «وكلي مَنْ يزوجك»، فوكلت فقام النجاشي فخطب، فقال: الحمد لله، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسله، أرسله بالهدى، ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها بأربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، ثم خطب الوكيل، وقال: قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله عليه (٢)، وقبض الدنانير، فلما وصل إليَّ المال، أرسلتُ إلى جارية أبرهة (٢) التي كانت بشّرتني بكتاب رسول الله ﷺ فقلت لها: إنِّي كنت أعطيتك(٤)، يومئذ ما أعطيتُك، ولا مال لي، فهذه حمسون مثقالاً فخذيها فأبت، وأخرجت لي حقاً فيه كلما كنت أعطيتها وردته عليَّ، وقالت: عزم عليَّ الملك أن لا آخذ منك شيئاً، وقد تبعتُ دين محمد، وأسلمت لله رب العالمين، قالت أم حبيبة (٥): ولما قبض خالد المال أراد القوم أن يقوموا. فقال النجاشي: اجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا، ثم تفرقوا، ثم أمر النجاشي⁽¹⁾ نساءه أن يبعثن إليَّ بكل ما عندهن (٧) من أنواع العطر، فأرسلن إليَّ الورس والعود والعنبر والزَّباد(٨) مع جارية النجاشي فأعطتني ذلك، ثم بكت وقالت: أقرئي رسول الله ﷺ مني السلام إذا قدمت عليه، وما زالت تتردد إليَّ بأنواع الهدايا، وتقول: لا تنسي حاجتى، قالت أم حبيبة (٩): فلما (١٠٠) قدمت على رسول الله على أخبرته كيف

⁽١) في مطبوع «كشف الغمة»: «واستأذنت له»!

⁽٢) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله ﷺ».

⁽٣) في مطبوع «كشف الغمة»: «إلى أبرهة التي».

⁽٤) في مطبوع «كشف الغمة»: «إني أعطيتك».

⁽٥) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: « في الله الله العلم العلم

⁽V) في مطبوع «كشف الغمة»: «عندهم».

⁽٨) الزَّباد ـ بَفتح أوله ـ: نوع من الطيب. (منه).

⁽٩) في مطبوع «كشف الغمة» زيادة: «هُمّاً».

⁽١٠) في مطبوع «كشف الغمة»: «ولما».



كانت الخطبة، فتبسم رسول الله ﷺ وأقرأته سلام الجارية، فقال: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»(١).

قال أنس^(۲): وكانت أم حبيبة^(۳) تقول: «سَألت رسول الله ﷺ عن المرأة يكون لها زوجان، ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون للأول أو للآخر؟ فقال: «تخير أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا، يكون زوجها في الجنة» (٤٠).

قال عبد الله بن مسعود^(۵): «وكانت أم حبيبة^(۲) كلما يدخل عليها أبو سفيان بن حرب ـ أبوها ـ تطوي فراش رسول الله ﷺ دونه، فإذا سألها عنه تقول له: أنت امرؤ نجس مشرك^(۷) وذلك قبل إسلامه، وقد أسلم يوم فتح مكة ﷺ.

وكانت عائشة (^^) تقول: «لما قربت وفاة أم حبيبة دعتني، فقالت: قد كان بينا ما يكون بين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من (٩) ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز عنك، فقالت: سرَّيتني (١٠٠) سرك الله، ثم أرسلت إلى أم

⁽۱) أخرجه مختصراً: الزبير بن بكار في «المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ» (ص٥٠ و٥١ ـ ط الرسالة)، وابن سعد (٨/ ٩٧) والحاكم (٢٠/٤، ٢١) ووقع نحوه لسودة. انظر: «طبقات بن سعد (٨/ ٥٦، ٥٧) وكتابي «المقدمات الممهدات السلفيات في تفسير الرؤى والمنامات» (ص٣٩٠، ٣٩١)، ففيه التفصيل، والحمد لله وحده.

⁽٢) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: « رضي الله عليه العبيه العبيه العبيه العبيه العبيه العبيه العبيه الم

⁽٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ رقم ٤١١)، والبزار (١٩٨٠ ـ زوائده)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤٥)، وابن عساكر (٣٧١/٥) من حديث أم حبيبة، وإسناده ضعيف جداً، فيه عبيد بن إسحاق العطار متروك. انظر: «المجمع» (٢٤/٨)، وله شاهد من حديث أم سلمة، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣١٤١)، وفي «الكبير» (٣٣/ رقم ٠٨٠)، وابن جرير في «التفسير» (٣٢/ ٥٧)، وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعّفه أبو حاتم وابن عدي. انظر: «المجمع» (١١٩/٧).

⁽٥) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: «﴿ فَيُشْبُهُ». (٦) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: « فَيُشِّنًا».

⁽۷) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (۹۹/۸ ـ ۱۰۰) ـ ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (۲۹/۲۹)، والذهبي في «السير» (۳۵۳/۳)، ط. الفكر) من طريق الواقدي، وانظر: «تاريخ الطبري» (۲/ ١٥٤، ط. دار الكتب العلمية)، «ثقات ابن حبان» (۳۸/۲)، و«تاريخ الإسلام» (۲/ ۲۰۳).

⁽A) في مطبوع "كشف الغمة" بعدها "فَيْتَنا". (٩) سقطت من الأصل.

⁽١٠) كذا في «كشف الغمة»، وفي الأصل: «سررتني»!



سلمة، فقالت لها مثل ذلك (1)، رضي الله عنهن أجمعين، توفيت سنة أربع وأربعين في أيام معاوية، رضوان الله عليها (1).

السابعة: جويرية بنت الحارث المصطلقية (٣) عَيْهًا:

توفيت سنة ست وخمسين من الهجرة، وهي بنت خمس وستين سنة (١)، قالت عائشة (٥): «لما أصاب رسول الله على نساء بني المصطلق وقعت جويرية في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها على تسع أواق، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينا رسول الله على عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتُ دخولها على النبي على، وعلمتُ أنه سيرى منها مثل الذي رأيت؛ فكلَّمته، فقال رسول الله على: «أو نفعل بك خيراً من ذلك» قالت: وما هو؟ قال: «أؤدِّي عنك كتابتك؛ وأتزوَّجك» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «قد فعلت» ثم خرج الخبر إلى الناس، فقالوا: أصهار رسول الله على! فأعتقوا يا ناس ما في أيديكم من نساء بني المصطلق، فبلغ من عامة أهل بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها» (١).

⁽۱) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٤)، وابن سعد (٨/ ١٠٠) _ ومَن طريقه ابن عساكر (١٠٠/٨) _ ومَن طريقه ابن عساكر (١٥٠/٦٩) _ وإسناده فيه لين.

⁽٢) انظر: «كشف الغمة» (١١٢ ـ ١١٤).

⁽٣) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (١١٦/٨)، و«طبقات خليفة» (٣٤٢)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٢٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٦١)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي عليه» (٣٥)، و«تسمية أزواج النبي الله» (٣٢)، «والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١٣٥)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٣).

⁽٤) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: « ﴿ فَيُحْبَا ».

 ⁽٥) في مطبوع «كشف الغمة» بعدها: ﴿ وَإِنَّهَا ».

⁽٦) أخرجه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص٢٦٣) ـ وهو في «سيرة ابن هشام» (٣/ اعلا ١ معد ٢٩٥ ـ) وابن راهويه (٧٢٥)، والواقدي في «المغازي» (١/١١٤)، وأبن سعد (٨/ ١١٦)، وأحمد (٢/ ٢٧٧)، وأبو داود (٣٩٣١)، وابن الجارود (٧٠٥)، وأبو يعلى (٣٦٣)، وابن جرير في «التاريخ» (١/ ٦١٠)، والطحاوي (٣/ ٢١)، وفي «المشكل» (٤٧٤٨)، وابن حبان (٤٠٥٤، ٤٠٥٥)، والطبراني (٤٢/ رقم ١٥٥)، والحاكم (٤/ ٢٦ ـ ٧٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٤٩ ـ ٥٠)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/ رقم ١٩٤٧)، وإسناده حسن، وما سبق من «كشف الغمة» (١١٤).

الثامنة: سودة بنت زمعة القرشية العامرية(١) عَيْهًا:

قالت عائشة (٢): «لما أسنَّت سودة هَمَّ رسول الله ﷺ بطلاقها، فقالت: يا رسول! سألتُكَ الله لا تطلّقني، وأنت في حلِّ من شأني، وإنما أريد أن أحشر في أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، فأمسكها رسول الله ﷺ حتى توفي عنها مع سائر من توفي عنهن من أزواجه» (٣).

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: «توفيت في آخر زمان عمرَ، وقيل: سنة أربع وخمسين، ورجحه الواقدي»(٤).

هذه ترجمتها أنقلها من «الإصابة» للحافظ ابن حجر:

«زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين زوج النبي ﷺ، نسبها في ترجمة أخيها عبد الله، وأمها أمية عمة النبي ﷺ تزوجها النبي ﷺ، سنة ثلاث، وقيل: خمس^(۱)، ونزلت بسببها آية الحجاب (۷)، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة

⁽۱) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (۸/ ٥٢ ـ ٥٨)، و«طبقات خليفة» (٣٣٥)، و«أزواج النبي ﷺ» (٢٥)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١١٧)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٠).

⁽٢) بعدها في مطبوع «كشف الغمة»: «رَيُّتُهَا».

⁽٣) أخرجه أحمد (٦/ ٧٦)، والبخاري كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها (٣٥)، وكتاب النكاح، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرَّتها (٥٢١٢)، ومسلم في "صحيحه" كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لضرَّتها (١٤٦٣) وغيرهم، وما سبق من "كشف الغمة" (١١٤).

⁽٤) انظر: «الإصابة» (٤/ ٣٣٩).

⁽٥) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠١ و ١٠١)، و «طبقات خليفة» (٣٣٢)، و «سمية و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١١)، و «المنتخب من كتاب أزواج النبي عليه» (٥٧)، و «تسمية أزواج النبي عليه» (٣١)، و «السمط الثمين» (١٢٢)، و «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٣٦ _ ٤٤).

⁽٦) في مطبوع «الإصابة»: «سنة خمس».

⁽٧) في قصة تراها في «صحيح البخاري» كتاب التفسير، باب قوله ﷺ: ﴿لَا نَدْخُلُواْ بُيُوتَ النِّيِّ...﴾ (٤٧٩٣)، و«صحيح مسلم» كتاب النكاح، باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب (١٤٢٨).



وفيها نزلت (١) ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَلَّ زَوَّجْنَكُهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وكان زيد يدعى ابن محمد فلما نزلت ﴿أَدَعُوهُمْ لِآبَايِهِمْ هُو أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، وتزوج النبي ﷺ امرأته بعدما (٢) انتفى ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه: من أن الذي يتبنى غيره يصير ابنه، بحيث يتوارثان إلى غير ذلك، وقد وصفت عائشة زينب بالوصف الجميل في قصة الإفك، وأن الله عصمها بالورع، قالت: «وهي التي تُسَامِيني من أزواج النبي ﷺ (٣)، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ بأنها بنت عمته، وبأن الله زوّجها له، وهن زوجهن أولياؤهن.

وفي خبر تزويجها عند ابن سعد من (٤) طريق الواقدي بسند مرسل: «فبينا رسول الله ﷺ يتحدث عند عائشة إذ أخذته غشية، فسرِّي عنه وهو يتبسم، ويقول: «من يذهب إلى زينب يبشرها؟» وتلا: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي َ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكُ عَلَيْكُ زَوْجَكَ وَأَتَّى اللَّهَ ﴿ [الأحزاب: ٣٧] الآية، قالت عائشة: فأخذني ما قَرُب وما بَعُد؛ لما يبلغنا من جمالها، وأخرى هي أعظم وأشرف ما صنع لها، زوجها الله من السماء، وقلت: هي تفخر علينا بهذا (٥). وبسند ضعيف عن ابن عباس لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله ﷺ لها سجدت (٦).

ومن طريق عبد الواحد بن أبي عون قالت زينب: يا رسول الله! إني والله ما أنا كإحدى نسائك، ليست امرأة من نسائك إلا زوجها أبوها أو أخوها أو أهلها غيري زوَّجنيك الله من السماء(٧٧).

⁽١) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿وَتُحْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ (٤٧٨٧).

⁽٢) في مطبوع «الإصابة»: «بعده».

⁽٣) قطعة من آخر حديث الإفك الطويل، أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب حديث الإفك (٢١٤١)، ومسلم كتاب التوبة، باب في حديث الإفك (٢٧٧٠).

⁽٤) في الأصل: «بن» وهو خطأ، والتصويب من «الإصابة».

⁽٥) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٠٢)، وفي إسناده الواقدي وهو متروك، وثبت ما ورد في آخره، كما سيأتي قريباً.

⁽٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٠ و٦/ ٤٥٣)، وابن سعد (١٠٢/٨)، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب.

⁽٧) أخرج البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُم عَلَى ٱلْمَلَهِ ﴾ (٧٤٢٠) من حديث أنس، وفيه: «فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوَّجكنّ أهاليكن، وزوِّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات».

واللفظ المذكور لابن سعد (٨/ ١٠٢) قال: أخبرنا محمد بن عمر ـ وهو الواقدي ـ =



ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدي: إنها ذكرت زينب فترحمت عليها وذكرت ما كان يكون بينها وبين عائشة، فذكرت نحو هذا، قالت أم سلمة: وكانت لرسول الله على معجبة، وكان يستكثر منها، وكانت صالحة صوامة قوامة صناعاً، تصدق بذلك كله على المساكين (١).

وذكر أبو عمر (٢) كان اسمها برة، فلما دخلت على رسول الله على سماها زينب (٣)، قال الواقدي: ماتت سنة عشرين، وأخرج الطبراني من طريق الشعبي أن عبد الرحمٰن بن أبزى أخبره: أنه صلى مع عمر على زينب بنت جحش، وكانت أول نساء النبي على ماتت بعده (٤)، وفي «الصحيحين» ـ واللفظ لمسلم ـ من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله على: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن بداً»، قال: فكنَّ يتطاولن أيتهن أطول بداً، قالت: وكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيدها وتصَدَّق (٥).

ومن طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة نحو المرفوع، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله على نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذ أن النبي على إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله (٢).

حدثني عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون قال: قالت زينب... وذكره.
 وله ألفاظ سبقت في تقرير المصنف لعلو الله على خلقه ﷺ.

⁽۱) مضى تخريجه، وانظر: «المستدرك» (٤/ ٢٥)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٠٦)، «الحلية» (٢/ ٢٥)، «إثبات العلو» لابن قدامة» (٣١).

⁽٢) في «الاستيعاب» (ص٩٠٦ ـ ط. دار الأعلام).

⁽٣) ثبت ذلك عند البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (٢١٤١).

⁽٤) أخرجه الطبراني (٢٤/٥٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٨٥) وغيرهما من غير الطريق المذكور، وعزوه للطبراني من طريق الشعبي به خطأ، وهو عند ابن سعد (٨/ ١١١) من هذا الطريق.

⁽٥) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب منه (١٤٢٠)، ومسلم ـ واللفظ له ـ كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين ﴿ ٢٤٥٢) من حديث عائشة.

⁽٦) أخرجه الحاكم (٢٥/٤)، والطبراني (٢٤/رقم ١٣٣)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٨٦)، وابن سعد (١٠٨/٨)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/رقم ٧٤٢١) من طريق يحيى بن سعيد به، وإسناده صحيح على شرط مسلم، وأصله في «الصحيحين» كما =



وروينا في «القطعيات» (۱) من طريق شهر بن حوشب عن عبد الله بن شداد عن ميمونة بنت الحارث قالت: «كان رسول الله عليه يقسم مما (۲) أفاء الله عليه في رهط من المهاجرين، فتكلمت زينب بنت جحش، فانتهرها عمر، فقال رسول الله عليه: «خلّ عنها يا عمر؛ فإنها أواهة» (۲)، وأخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي عن القاسم بن محمد قال: قالت زينب حين حضرتها الوفاة: «إني قد أعددت كفني، وإن عمر سيبعث إليّ بكفن، فتصدّقوا بأحدهما، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي (٤) فافعلوا» (٥)، ومن وجه آخر عن عمرة قالت: «بعث عمر بخمسة أثواب، يتخيّرها (٢). ثوباً ثوباً من الحراني، فكفنت منها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذي كانت أعدته، قالت عمرة: فسمعت عائشة تقول: لقد

⁼ تقدم، وأخرجه ابن حبان (٣٣١٤، ٦٦٦٥)، وانظر: "إتحاف المهرة" (٧١/ ٧٦٩، ٧١٩).

⁽۱) كذا في الأصل بناءً على ما في «كشف الغمة»! وهو خطأ، صوابه «القطيعيات» نسبة لأحمد بن جعفر القطيعي (ت٣٦٨هـ)، واسم كتابه «الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان» المعروف بدجزء الألف دينار»، وطبع عن القسم المحفوظ من الظاهرية عن دار النفائس بالكويت بتحقيق أخينا البحاثة بدر البدر _ حفظه الله ورغاه _ والمثبت على طُرَّة المطبوع ما نصه:

[«]جزء الألف دينار وهو (الخامس)! من الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان» بينما المثبت على مصورة المخطوط المرفق به (ص١٥):

[&]quot;وهو الأول" بدل "وهو الخامس"، ووجدته معدلاً بخط محققه في نسخة من المطبوع أهداها لشيخنا الألباني على الجادّة، وعليها بعض الاستدراكات الحسنة بخطه. والحديث المذكور هنا، ليس في هذا القسم، وإنما في المفقود، ولا قوة إلا بالله.

⁽٢) في الأصل: «ما»! والمثبت في «الإصابة».

⁽٣) أخرجه بنحوه الطبراني (٢٤/رقم ١٠٨) بسند ضعيف عن راشد بن سعد قال: دخل النبي على منزله ومعه عمر بن الخطاب، فإذا هو بزينب بنت جحش تصلي، وهي في صلاتها تدعو، فقال النبي على: "إنها لأواهة"، فإسناده منقطع، وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف، وانظر: "المجمع" (٢٤٨/٩).

وفي إسناد «القطيعيات»: شهر بن حوشب، وهو ضعيف، وظفرت به من طريق شهر عند أبى نعيم في «المعرفة» (٦/ رقم ٧٤٢٤).

⁽٤) الحقو: الإزار. (منه).

⁽٥) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٠٩)، وإسناده ضعيف جداً.

⁽٦) كذا مطبوع «طبقات ابن سعد»: «يتخيّرها»، وهو الصواب، وفي الأصل: «بخرها»؛

ذهبت حميدة متعبدة، مفزع اليتامي والأرامل^(١).

وأخرج بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب: «كان عطاء زينب بنت جحش اثني عشر ألفاً، لم تأخذه إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر، فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها وأرسل بالسلام، وقال: بلغني ما فرَّقتِ، فأرسل بألف درهم تستبقيها، فسلكت به ذلك المسلك»(٢).

قال الواقدي: تزوجها النبي ﷺ، وهي بنت خمس وثلاثين سنة، وماتت سنة عشرين، وهي بنت خمسين، ونقل عن عمر بن عثمان الحجبي أنها عاشت ثلاثاً وخمسين (٣).

العاشرة: صفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية (٤) والله العاشرة:

كانت تحت سلام بن مِشْكَم، ثم خلَّف عليها كنانة بن أبي الحقيق، فقتل كنانة يوم خيبر، فصارت صفية مع السبي، فأخذها دحية، ثم استعادها النبي على الله فأعتقها وتزوجها (٥٠).

قال محمد تقي الدين: تفصيل ذلك _ كما في الأحاديث الصحيحة _ أن دحية الكلبي _ وهو تاجر مشهور _ جاء إلى النبي ﷺ بعدما نصره الله على يهود خيبر، وفتحها عنوة _ أي: بالسيف لا بالصَّلح _ جاءه دحية الكلبي، فقال: يا رسول الله أعطني جارية، فقال: اذهب إلى السبي وخذ جارية، فذهب واختار

⁽۱) انظر: «طبقات ابن سعد» (۱/ ۱۰۹، ۱۱۰)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦/ رقم ۷۶۲٥).

⁽٢) أخرجه ابن سعد (٨/١١٠)، وفيه الواقدي.

⁽٣) انظر: «الإصابة» لابن حجر (٢/٣١٣ _ ٣١٤).

⁽٤) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٢٠)، و«تاريخ خليفة» (٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣٨)، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين» (١٣٨)، و«المنتخب من كتاب أزواج النبي عليه (٥٨)، و«تسمية أزواج النبي عليه (٣٥)، و«الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٥٥).

⁽٥) انظر: «الآحاد والمثاني» (٣١١٠)، و«المعجم الكبير» (٢٤/ رقم ١٧٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٤٤٣، ٧٤٤٤).



صفية، فجاء رجل إلى النبي على فقال: يا رسول الله إنها زوجة أميرهم ولا تصلح إلا لك _ ومقصوده: أن النبي على سيكرمها، وأن ذلك التاجر ربما باعها، فلا تزال تتنقل من يد إلى يد وفي ذلك إهانة لها، ونزول من أشرف المنازل إلى أخسها وأحقرها؛ وفي الخبر: «ارحموا عزيز قوم ذل»(١) _ فقال لدحية: «دعها، وخذ غيرها»، فبعث إليها بلالاً، فجاء بها ومعها ابنة عم لها، ومر بهما على قتلى يهود، فلطمت ابنة عمها وجهها وحثت التراب على رأسها ووجهها.

أما صفية، فكانت عاقلة رزينة، فلم تفعل شيئاً من ذلك، فوصلتا إلى النبي وابنة عمها لا تزال تلطم وتصيح فقال لبلال: «ماذا صنعت أنزعت الرحمة من قلبك؟» وقال النبي الله لمن عنده: «أبعدوا عني هذه الشيطانة» (٢٠) يعني: ابنة عمها. كانت صفية رأت فيما يرى النائم أن القمر نزل من السماء فوقع في حجرها، فقصت الرؤيا على زوجها، فلطمها لطمة شديد ظهر أثرها في خدها، وفي عينها، وقال لها: أتتمنين مَلِكَ الحجاز _ يعني: محمداً من حير حتى رآها النبي في سألها عن ذلك الأثر، فأخبرته ولم يخرج النبي في من خيبر حتى طهرت صفية، ولما أراد النبي في أن يركب راحلته وضع ركبته على الراحلة، وأمر صفية أن تطأ على فخذه لتركب خلفه، فلم تشأ أن تضع قدمها على فخذ النبي إجلالاً وتعظيماً له، فوضعت ركبتها على فخذه وركبت، وقال بعض الصحابة لبعض: ما تظنون أن يفعل بها النبي في أيتخذها شرية أم يتزوج بها؟ فتكون من أمهات المؤمنين، فقال بعضهم: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، فإن لم يحجبها فهي سرية، فلما ركب النبي في وهي خلفه ألقى عليها ثوبه؟ فظهر أنها من أمهات المؤمنين.

⁽۱) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (۱۱۸/۲)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٥/ ٣٣٠٩/٢٠٩٩): «رواه ابن حبان في «الضعفاء» من رواية عيسى بن طهمان عن أنس. وعيسى ضعيف. ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال: «عالم يتلاعبُ به الصبيان»، وفيه أبو البختري واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين»، وانظر: «كنز العمال» (٥/رقم ٤٣٢٩٩)، و«كشف الخفاء» (١/٤٢١)، و«الفوائد المجموعة» (٢٧٨)، وأخرجه البيهقي في «المدخل» رقم (٢٩٩) من كلام الفضيل بن عياض، وهو أشه.

⁽٢) انظر: «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٧، ط. مكتبة المعارف)، «وتاريخ الطبري» (٢/ ٣٧، ط. دار الكتب العلمية).

 ⁽٣) قصة زواج النبي ﷺ من صفية مطولة عند: مسلم في "صحيحه" كتاب النكاح، باب =



قال الحافظ في «الإصابة»: «فلما صار إلى منزل على ستة أميال من خيبر مال يريد أن يُعرِّس بها، فأبتْ عليه، فوجَدَ في نفسه؛ فلما كان بالصهباء وهي على بريد من خيبر نزل بها هناك، فمشطتها أم سُلَيم وعطّرتها، قالت أم سنان الأسلمية: وكانت من أضوء ما يكون من النساء، فدخل على أهله، فلما أصبح سألنها عما قال لها، فقالت: قال لي: «ما حملك على الامتناع من النزول أولاً؟» فقلت: خشيتُ عليك من قرب اليهود، فزادها ذلك عنده محبة (١).

وعن عائشة: إن رسول الله على كان في سفر، فاعتلَّ بعير لصفية، وفي إبل زينب بنت جحش فضل، فقال لها: «إن بعيراً لصفية اعتل، فلو أعطيتها بعيراً» فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية، فتركها رسول الله على ذا الحجة والمحرم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها، قالت زينب: حتى يئست منه»(٢).اه.

قال محمد تقي الدين: وهذا العقاب الذي عاقب به النبي ﷺ زوجته وابنة عمته زينب، هو من عدله ومكارم أخلاقه عليه الصلاة والسلام.

وفي «الصحيح»: إن بعض أزواج النبي ﷺ قلن لصفية: ما أنت إلا يهودية، فأخبرت النبي ﷺ فقال لها: «هلا قُلتِ لهنّ : أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي

⁼ فضيلة إعتاقه أمّته ثم يتزوجها (١٣٦٥)، وأما قصة رؤيتها أن القمر نزل فوقع في حجرها ولطم زوجها لها، فقد أخرحها ابن سعد (٨/ ١٢٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣١١٣، ٣١١٣)، وابن راهويه (٢٠٨٦)، والطبراني (٢٤/ رقم ٢٧١، ١٧٧)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٦/ رقم ٧٤٤، ٢٤٤٠) وقال عنها الهيثمي في «المجمع» (٩/ رقم ٢٥١): «رجاله رجال الصحيح»، وانظر: «المطالب العالية» (٣/ ٤١)، وكتابي «المقدمات الممهدات السلفيات» (١٩٩ ـ ٢٠٠٠).

وأما قصة ابنة عمها ولطمها وجهها، وفيها قوله ﷺ: «أبعدوا عني هذه الشيطانة»، فنقلها ابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٧٣٩) عن ابن إسحاق _ من «زيادات يونس بن بكير» _ قال: حدثني والدي إسحاق بالخبر جميعه، وهو معضل، ولم أقف عليه موصولاً.

⁽۱) أخرجه ابن سعد (۱/ ۱۲۱ ـ ۱۲۲) من طريق الواقدي، وهو متروك، وانظر: «الإصابة» (۷/ ۷۳۹، ط. الجيل).

⁽۲) أخرجه أحمد (٦/ ١٣١ و ٢٦١)، وابن راهويه (١٤٠٩)، وابن ماجه (١٩٧٣)، وابن سعد (٨/ ١٢٦ ـ ١٢٦)، والطبراني (٢٤/ رقم ١٨٧)، وفي «الأوسط» (٢٦٢٩) ـ وبعضهم اختصره ـ وفي إسناده شُمَية، وسماها حماد بن سلمة مرة (سمية) وهي مجهولة، فإسناده ضعيف، وانظر: «النكت الظراف» (٣٩٣/١٢) لابن حجر، وما سبق في «الإصابة» (٧/ معيف، وانظر: «النكت الظراف» (٣٩٣/١٢) لابن حجر، وما سبق في «الإصابة» (٧/



محمد»(۱)، فلقَّنها النبي ﷺ حجة دامغة؛ لأنها تفتخر بنبيين لا يشاركها فيها أحد من أزواج النبي ﷺ، وهي تشاركهن فيه، فشتان ما بينها وبينهن.

وعن عطاء بن يسار قال: «لما قدمت صفية من خيبر، أنزلت في بيت لحارثة بن النعمان فسمع [بها]^(۲) نساء الأنصار [وبجمالها]^(۲)، فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة متنقبة [حتى دخلت عليها فعرفها]^(۲)، فلما خرجت خرج النبي عليها فقال: «كيف رأيتها يا عائشة؟» قالت: رأيت يهودية! فقال: «لا تقولى ذلك؛ فإنها أسلمت، وحَسُن إسلامها»^(۳).

وقال أبو عمر بن عبد البر: «كانت صفية عاقلة حليمة فاضلة، روينا أن جارية لها أتت عمر، فقالت: إن صفية تحبُّ السبت، وتَصِلُ اليهود، فبعث إليها فسألها عن ذلك، فقالت: أما السبت، فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود؛ فإن لي فيهم رَحِماً، فأنا أصلها. ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا؟ قالت: الشَّيطان. قالت: اذهبي فأنت حرة»(٤).

وأخرج ابن سعد بسند حسن عن زيد بن أسلم قال: «اجتمع نساء النبي ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، واجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيى: إني والله يا نبي الله! لوددت أن الذي بك بي، فعمزن أزواجه ببصرهن، فقال: «مضمضن»

⁽۱) أخرجه بهذا اللفظ: الترمذي (٣٨٩٢)، والحاكم (٤/ ٢٩)، والطبراني (٢٤/ رقم ١٩٦) من حديث صفية، وفي إسناده هاشم بن سعيد الكوفي، ضعيف، ولذا قال الترمذي عقبه: «وهذا غريب لا نعرفه من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذلك القوى»، وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٩٦٣).

وقول المصنف: «في «الصحيح»...» فيه تجوّز؛ نعم، ثبت الحديث بلفظ: «إنّكِ ابنة نبيًّ، وإنّ عمَّكِ لنبيًّ، وإنك لتحت نبيًّ، ... تفخر عليك» وقال لحقصة القائلة لها: «ابنة يهودي» ـ وليس «ما أنتِ إلا يهودية»! ـ: «اتّقي الله يا حقصة»، أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٢١) وعبد بن حميد (١٢٤٨)، وأحمد (١٣٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٨٩٨)، والترمذي (٣٨٩٤)، وأبو يعلى (٣٤٣٧)، وابن حبان (٢١١١)، والطبراني (٢٤٨رقم ١٨٦)، وأبو نعيم (٢/٥٥)، والضياء في «المختارة» (١٧٩٣ ـ ١٧٩٧) من حديث أنس، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

⁽٢) سقطت من الأصل، وأثبتها من مصدر التخريج.

⁽٣) أخرجه ابن معد (٨/ ١٢٦)، وإسناده ضعيف جداً، فيه الواقدي، وهو متروك، وشيخه أسامة بن زيد بن أسلم العدوي، ضعيف من قبل حفظه، وهو من مرسل عطاء.

⁽٤) ما سبق من «الاستيعاب» (٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) رقم (٣٤٣٩) وعنه في «الإصابة» (٧٤١/٧، ط. الجيل).



فقلن: من أي شيء؟ فقال: «من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة»(١).

اختلف في سنة وفاتها، والراجح أنها توفيت سنة اثنتين وخمسين، كان عمرها تقريباً اثنتين وستين سنة.

ملحق في فضائل صفية: ذكر الحافظ في «الإصابة» في ترجمة أم سنان الأسلمية أن ابن سعد روى عنها قالت: «كنت فيمن حضر عرس صفية فمشطناها وعطرناها وكانت من أضوء ما يكون من النساء فأعرس بها رسول الله عليها فشرت أن سُرَّ بها، ولم ينم تلك الليلة، لم يزل يتحدث معها، وأصبح فأولم عليها»(٢).

الحادية عشرة: زينب بنت خزيمة الهلالية (٣) والمالية (٣)

قال الحافط في «الإصابة»: «أم المؤمنين زوج النبي عَلَيْهُ، وكانت يقال لها: أم المساكين، لأنها كانت تطعمهم وتتصدق عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأُحد فتزوجها النبي عَلَيْهُ، وكان دخوله بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر، ثم لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، وماتت (٤).

قال ابن الأثير: «ذكر ذلك ابن منده في ترجمتها حديث: «أولكن لحاقاً بي أطولكن يداً» (ما الحديث، وقد تقدم في ترجمة (زينب بنت جحش) وهو بها أليق؛ لأن المراد بلحوقهن به: موتهن بعده، وهذه ماتت في حياته (٢). اهد.

قال محمد تقي الدين: فجملة النساء اللاتي تزوج بهن النبي ﷺ ودخل بهن وصرن أمهات المؤمنين إحدى عشرة امرأة، اثنتان ماتتا قبله _ وهما: خديجة وزينب بنت خزيمة _ وتسع عشن بعده صلاة الله وسلامه عليه.

⁽۱) أخرجه ابن سعد (۲/۳/۲) و(۸/۸۲)، وحسن إسناده ابن حجر في «الإصابة» (۷/ (1) ، ط. الجيل)، وهو من مرسل زيد بن أسلم.

⁽٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢٢) بسندٍ ضعيف، وانظر: «الإصابة» (٤٦٣/٤).

⁽٣) انظر ترجمتها في: «الإصابة» (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٦، أو ٨/ ٢٧٢، ط. الجيل)، «طبقات ابن سعد» (٨/ ١١٥)، «الآحاد والمثاني» (٥/ ٤٣١)، «أسد الغابة» (٧/ ٢١٩)، «السير» (٢/ ٢١٨).

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٩٥)، والطبراني (٢٤/رقم ١٤٨)،
 والحاكم (٣٣/٤) عن الزهري، ورجاله ثقات، وبنحوه عند الحاكم عن قتادة.

⁽٥) سبق تخريجه.

⁽٦) انظر: «أسد الغابة» (٧/ ١٢٩)، «الإصابة» (٤/ ٣١٥).





-000000000000000



أسماء الله الحسني

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْخُسْنَىٰ فَأَدْعُوهُ بِهَا ﴾ الآية [١٨٠] من سورة الأعراف: «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله علي الله عليه: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»(١)، أخرجاه في «الصحيحين» ورواه البخاري وأخرجه الترمذي عن شعيب. . فذكر بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «يحب الوتر»: «هو الله الذي لا إلَّه إلا هو الرحمٰن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت (٢)، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولى، الحميد، المحصى، المبدئ، المعيد، المحيى، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالى، البر، التواب، المنتقم، العفق، الرؤوف، مالك، الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»، ثم قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث»(٣). ورواه ابن حبان في

⁽۱) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة (٦٤١٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل مَن أحصاها برقم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة، والترمذيُّ برقم (٣٥٠٨).

⁽٢) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «المقيت، الحسيب، الجليل».

⁽٣) سبق كلامه، وبيان أن الأسماء المذكورة مدرجة في الحديث. انظر لزاماً تعليقنا على (٣/ ٣٩ _ ٤٥)، فهناك التفصيل.



«صحيحه»(١) من طريق صفوان به.

ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير (٢) منحصرة في تسعة وتسعين (٣)، بدليل ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله على أنه قال: «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجِلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدل مكانه فرحاً»، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: «بلى، ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» (٤٠).

فصل في شرح هذا الأسماء المباركة

قال المحقق أحد أئمة المحدثين في هذا العصر الأخير محمد صديق حسن القنوجي في أول تفسيره المسمى «فتح البيان» في شرح اسم الجلالة وبيان معناه:

۱ ـ الله: «علم عربي مرتجل جامد عند الأكثر، خاص لذات الواجب الوجود، تفرد به الباري سبحانه، لم يطلق على غيره، ولا يشركه فيه أحد» (٥).

قال محمد تقي الدين: وهذا هو الصحيح خلافاً لمن قال: إنه مشتق؛ لأنه اسم الله سبحانه مع اختلاف قليل في اللفظ في جميع أخوات اللغة العربية، كالعبرانية والسريانية والآشورية وغيرهن.

۲، ۳ ـ الرحمٰن: «من الصفات (٢) لم يستعمل لغير الله (٧) كان، قال (٨)

⁽۱) برقم (۸۰۸ ـ «الإحسان») ولأبي نعيم جزء مفرد في طرقه، وهو مطبوع ـ ولله الحمد ـ بتحقيقي، وجهدتُ في تخريجه وحصر طرقه، ولابن حجر مجلس مفرد في تخريج الحديث المفصل، وتتبع الأسماء الواردة فيه، على وجه حسن، وهو منشور بتحقيقي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

⁽۲) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «ليست».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «التسعة والتسعين».

⁽٤) أخرجه الإمام أحمد (٣٩١/١)، وسبق تخريجه مفصلاً، وما سبق من «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٦٤ ـ ٤٦٤).

⁽٥) انظر: «فتح البيان» (١/ ٣٣).

⁽٦) في مطبوع «فتح البيان»: «الصفات الغالبة».

⁽٧) في مطبوع «فتح البيان»: «في غير الله». (٨) في مطبوع «فتح البيان»: «وقال».



أبو علي الفارسي: الرحمٰن اسم عام في جميع أنواع الرحمَّة، يختص به الله تعالى، و ﴿ اَلرَّحِيمُ ﴾ إنما هو في جهة المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ عِللهِ اللهُ وَعِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وعن ابن عباس قال: هما اسمان، أحدهما أرق من الآخر. وقيل: معناهما ذو الرحمة جمع بينهما للتأكيد، وقيل غير ذلك، والأول أولى، وفي الرحمٰن من المبالغة ما ليس في الرحيم » (١).

3 - مالك: ثم قال القنوجي: «قد اختلف العلماء أيهما أبلغ^(٣) «ملك» أو «مالك»، والقراءتان مرويتان عن النبي الشرفة وأبي بكر وعمر، وذكرهما الترمذي، فذهب إلى الأول: أبو عبيد والمبرد ورجحه الزمخشري، وإلى الثاني: أبو حاتم والقاضي أبو بكر ابن العربي، والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر، فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له، بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر على ما لا يقدر على ما لا يقدر على المالك من التصرفات بما هو مالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية، فأحدهما أقوى من الآخر في بعض الأمور، والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله» (٥).

• - القدوس: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «القدوس» هو الطاهر المنزه عن العيوب، وفعُول^(٢)، من أبنية المبالغة، وقد تفتح القاف، وليس بالكثير، ولم يجئ منه إلا قَدُّوس، وسَبُّوح، وذَرُّوح»(٧).

7 ـ السلام: قال: «في أسماء الله تعالى «السلامُ» قيل: مَعناهُ سلامتُه مما

⁽۱) انظر: «فتح البيان» (۱/ ٣٣ ـ ٣٤).

⁽٢) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٢١٠) باب الراء مع النحاء تحت مادة «رحم».

⁽٣) في مطبوع «فتح البيان»: «أيما أبلغ». (٤) في مطبوع «فتح البيان»: «وآله وسلم».

⁽٥) انظر: «فتح البيان» (١/٣٧).

⁽٦) كذا في مطبوع "فتح البيان"، وفي الأصل: "نقول"!!

⁽٧) انظر: «النهاية» (٤/ ٢٣) باب القاف مع الدال تحت مادة «قدس».



يلحق الخلَق من العَيب والفَناء، والسلام في الأصل السلامَةُ، يقال: سَلِمَ يسلَم سلكم سلكم سلكم وسلامَة وسلاماً. ومنه قيل للجنة: (دار السلام)؛ لأنهاء دارُ السلامة من الآفات»(١).

٧ ـ [المؤمن]، قال: «في أسماء الله تعالى (المؤمن) هو الذي يصدُق عبادَه وعده، فهو من الإيمان بمعنى (٢) التصديق، أو يؤمِّنهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان والأمن ضِدُّ الخوف» (٣).

قال محمد تقي الدين: الثاني هو الصحيح؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنَ خَوْفٍ﴾ ولقول النبي ﷺ: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»(٤).

٨ - المهيمن: قال ابن كثير في آخر «سورة الحشر»: «﴿الْمُهَيِّمِنُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: هو (٥) الشاهد على خلقه: بمعنى (٦) رقيب عليهم (٧) اه.

٩ ـ العزيز: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ ٱلْعَرِيزُ ﴾: هو الغالب القوي الذي لا يغلب، والعزة في الأصل: القوة والشدة والغلبة ، تقول: عَزَّ يَعِزُ بالكسر إذا (^) صار عزيزاً، وعزَّ يَعزُ بالفتح إذا اشتدَّ (٩).

١٠ ـ الجبار: قال: «في أسماء الله تعالى: «الجبار» ومعناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي، يقال: جَبَر الخَلْقَ وأجبرهم، وأجبر أكثر، وقيل: هو العالي فوق خلقه، وفَعَال من أبنيةِ المبالغة، منه قولهم: نخلة جَبَّارة، وهي العظيمة التي تَفُوت يد المتناول، ومنه حديث أبي هريرة: «يا أَمَةَ

⁽١) انظر: «النهاية» (٢/ ٣٩٢) باب السين مع اللام تحت مادة «سلم».

⁽۲) في مطبوع «النهاية» بدون: «بمعنى».

⁽٣) انظر: «النهاية» (١/ ٦٩) تحت مادة «أمن».

⁽٤) أخرجه أحمد (٣/٣)، والبزار (٣١١٩ ـ زوائده)، وابن جرير (٢١/٢١) من حديث أبي سعيد الخدري، وللحديث شواهد هو بها صحيح، وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس وخباب الخزاعي، وقد صححه شيخنا في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٠١٨)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٢٠١٨).

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «أي الشاهد».

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «بمعنى هو رقيب».

⁽۷) انظر: «تفسير ابن كثير» (۱۳/ ٥٠٣).

⁽A) كذا في مطبوع «النهاية»، وفي الأصل: «ذا»!

⁽٩) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٨) تحت مادة «عزز».



الجبَّار»(١)»(٢).

11 _ المتكبر: قال ابن كثير في آخر «سورة الحشر» ﴿ الْجَبَّالُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾: «أي: الذي لا يليق الجبروت إلا لجلاله (٣) ، ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تقدم في «الصحيح»: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبته (٤) ، الجبار: المصلح أمور خلقه المتصرّف فيهم بما فيه صلاحهم ؛ والمتكبر يعني: عن كل سوء (٥).

۱۲، ۱۳، ۱۲ ـ قال ابن كثير: ﴿ هُوَ اللّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ اَلْمُصَوِّرُ ﴾، الخلق: التقدير. والبرء (٢)(٧) هو تنفيذ وإبرازُ ما قدره وقرره إلى (٨) عالم الوجود، والمصور: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها ويختارها، كقوله تعالى: ﴿ فِي آيِ صُورَةٍ مَا شَاءً رَكِّبَكَ ﴿ الْإِنفَظَارِ: ٨] (٩).

• 1 - الغفار: قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى: (الغفار والغفور) وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغَفْر: التغطية. يقال: غَفَر الله لك غَفْراً وَغُفْرَاناً ومغفرةً. المَغْفِرَة: إلباسُ الله العفو للمذنبين» (١٠٠).

17 ـ القهار: قال: "في أسماء الله تعالى: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ هو الغالب جميع الخلائق. يقال: قَهَره يَقْهَره قَهْراً فهو قَاهِر، وَقَهَّار للمبالغَة، وقهرت (١١١) الرجل: إذا وجدته مقهوراً، أو صار أمُره إلى القَهر، وقد تكرر في الحديث (١٢٠).

⁽۱) أخرجه أحمد (۲٤٦/۲)، والحميدي (۹۷۱) وعبد بن حميد (۱٤٦١)، وأبو يعلى (۱۳۸۵، ۱۳۳۸) في «مسانيدهم»، وابن ماجه (٤٠٠٢)، والبيهقي (۱۳۳/۳ ـ ۱۳۳) في «سننهما»، وابن خزيمة (۱۲۸۲)، وهو حسن إن شاء الله تعالى.

⁽٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٢٣٥) تحت مادة «جَبَر».

⁽٣) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «لا تليقُ الجبريةُ إلا له».

⁽٤) سبق تخریجه. (٥) انظر: «تفسیر ابن کثیر» (۱۳/ ۰۰۳).

⁽٦) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «البراء». (٧) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وهو».

⁽A) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «إلى الوجود».

⁽۹) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥٠٣/١٣) بتصرف.

⁽١٠) انظر: «النهاية» (٣/ ٣٧٣) تحت مادة «غفر».

⁽١١) في مطبوع «النهاية»: «أقهرت».

⁽۱۲) انظر: «النهاية» (۱۲۹/٤) تحت مادة «قهر».



١٧ ـ الوهاب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ ٱلْوَهَابِ ﴾ الهبة: العَطيَّةُ الخاليةُ عَنِ الأعواض (١) والأغراض، فإذا كَثُرت سُمِّيَ صاحبها وَهَاباً، وهو من أبنية المُبالغة» (٢).

قال محمد تقي الدين: الوهاب الكثير العطاء لخلقه، وهو غني عنهم لا يحتاج إلى عوض ولا مكافأة، وغيره لا يعطى عطاء إلا وهو يريد مكافأة، إما من الله أو من الناس، وعلى هذا لا يستحق أن يسمى في الحقيقة بهذا الاسم إلا الله تعالى.

1۸ ـ الرزاق: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿الرَّزَاقَ﴾ وهو الذي خلق الأرزَاق وأَعْطَى الخلائِق أرزاقها وأوصلها إليهم. وفَعَّال من أبنية المبالغة، والأرزاق نَوْعَان: ظَاهِرَةٌ للأبْدان كالأقوات؛ وباطِنَةٌ للقُلوبِ والنُّفوس كالمعارف والعُلُوم» (٣٠).

قال محمد تقي الدين: وأهم هذا النوع الهدى والتوفيق إلى العمل الصالح المقبول، فإن الإنسانَ أحوج إلى هداية الله في كل لحظة من لحظات حياته منه إلى الطعام والشرب.

19 ـ الفتاح: "في أسماء الله تعالى ﴿ ٱلْفَتَـاحُ ﴾ هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وقيل: معناه الحاكم بينهم، يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، والفاتح: الحاكِمُ، والفتَّاح: من أبنية المبالغة »(٤).

قال محمد تقي الدين: والدليل على ذلك في معنى الرحمة قوله تعالى في أول "سورة فاطر": ﴿مَّا يَفْتَح اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمُسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا وَمَا يُمُسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا وَمَا يُمُسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا وَمَا يَعْدِدُ وَهُو الْعَرِيزُ الْفَكِيمُ ﴿ إِنَّا الْفَاطِر: ٢]، وفي معنى الحكم قوله تعالى في "سورة الأعراف [٨٩]: ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَنِحِينَ ﴾.

٢٠ ـ العليم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ هو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، وفعيل من أبنية المبالغة »(٥).

⁽١) كذا في مطبوع «النهاية»، وفي الأصل: «الأعراض».

⁽٢) انظر: "النهاية" (٥/ ٢٣١) تحت مادة "وهب".

⁽٣) انظر: «النهاية» (٢/ ٢١٩) تحت مادة «رزق».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٣/ ٤٠٦ _ ٤٠٧) تحت مادة «فتح».

⁽٥) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٩٢) تحت مادة «علم».



قال تعالى في «سورة الطلاق»: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَلِيْلٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

۲۱ ـ القابض: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «القابض»، هو الذي يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات، ومنه الحديث: «يقبض الله الأرض ويقبض السماء»(١) أي: يجمعها، وتُبض المريض إذا تُوفِّي، وإذا أشرف على الموت»(٢).

۲۲ ـ الباسط: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الباسط» هو الذي يَبْسُطِ الرزق لعباده ويُوسّعه عليهم بجؤده ورحمته، ويَبْسُط الأرزواحَ في الأجساد عند الحياة» (٣)، قال تعالى في «سورة البقرة» [٢٤٥]: ﴿وَاللّهُ يَقَبِضُ وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ وَرَجْعُونَ ﴾.

٢٣ ـ الخافض: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الخافض» هو الذي يخفض الجبارين والفراعنة، أي: يضعهم ويهينهم، ويخفض كل شيء يريد خفصه، والخفض ضد الرفع، ومنه الحديث: «إن الله يخفض القسط ويرفعه» (٤)، القسط: العدل ينزله إلى الأرض مرة، ويرفعه أخرى» (٥).

٢٤ ـ الرافع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الرافع» هو الذي يرفع المؤمنين بالإسعاد، وأولياء والتقريب وهو ضد الخفض» (٦).

قال محمد تقي الدين: قال تعالى في «سورة البقرة» [٥٣] في شأن الرسل: ﴿ وَرَفَعَ بَقِضَهُمْ دَرَجَدَتِ ﴾ وقال تعالى في «سورة يوسف» [٧٦] ﴿ فَرَفَعُ دَرَجَدَتِ مَّنَ لَمُاءً وَفَوْقَ حَكُلِ ذِي عِلْمِ عَلِمُ ﴾.

⁽۱) أخرجه البخاريُّ في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعُ اللَّهِ مَا لَقِيْكُ مَوْ الْقِيْكُ مَا فَي كتاب صفة القيامة والجنة والنار (۲۷۸۷) من حديث أبى هريرة.

⁽۲) انظر: «النهاية» (٦/٤) تحت مادة «قبض».

⁽٣) انظر: "النهاية" (١٢٧/١) تحت مادة "بسط".

⁽٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» برقم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعرى.

⁽٥) انظر: «النهاية» (٢/ ٥٣) تحت مادة «خفض».

⁽٦) انظر: «النهاية» (٢/٣٤٣) تحت مادة «رفع».



٢٥ ـ المعز: قال ابن الأثير: «من أسماء الله تعالى «الْمُعِزّ» وَهُوَ الذي يَهَبُ العَزَّ لِمَن يَشاءُ مِنْ عباده» (١).

قال محمد تقى الدين: وقال تعالى في «سورة فاطر» [١٠]: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَنَّةَ فَلِلَهِ الْعِنَّةُ مَرِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّلِحُ يَرْفَعُهُم وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْعَيْبَ وَالْعَمَلُ الصَّلِحُ يَرْفَعُهُم وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْعَيْبَ وَالْعَمَلُ الصَّلِحُ يَرْفَعُهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكُرُ أُولَتِكَ هُو يَبُورُ ﴿ اللَّهِ مَاللَّ عَلَى اللَّهُ مَا لَكُلُكُ مِمَا تَشَاءً وَتَذِعُ الْمُلْكَ مِمَا تَشَاءً وَتَذِعُ الْمُلْكَ مِمَا تَشَاءً وَتُدِعُ مَن تَشَاءً وَتَذِعُ الْمُلْكَ مِمَا تَشَاءً وَتُدِدُ مَن تَشَاءً وَتَذِعُ اللَّهُ مَن تَشَاءً إِيدِكَ الْعَذِيدُ إِنْكَ عَلَى كُلُ شَيْءٍ قَدِيدٌ ﴿ اللَّهِ اللَّهُ مَا تَشَاءً اللَّهُ مَا تَشَاءً اللَّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

٢٦ ـ المذل: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المذل» هو الذي يُلْحِقُ الذُّلَّ بمن يشاء من عِبادِه، ويَنْفِي عنه أنواع العِزِّ جميعها»(٢).

قال محمد تقي الدين: قال الله تعالى في «سورة المنافقين»: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمِزَةُ وَلِرَسُولِهِ وَاللَّهُ وَعَدَهُ وَأَعْزَ الْمؤمنين في كل وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقين: ٨]، وقد صدق الله وعده وأعز المؤمنين في كل زمان ومكان، وأذل المعرضين عن الإسلام الذين أعز الله أسلافهم به وأذلهم بالأعراض عنه، وذلك مشاهد في هذا الزمان لا يخفى على أحد.

۲۷ ـ السميع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «السميع»، وهو الذي لا يَعْزُب عن إدراكه مسموع وَإن خفى، فَهُو يَسْمَعُ (٣)، وفعيل من أبنية المبالغة.

وفي دعاء الصلاة: «سمع الله لمن حمده» أي: أجابَ من حَمِدَه وتقبله يقال: «اسمع دعائي» أي: أجب؛ لأن غرض السائل الإجابة والقبولُ» (٤٠).

٢٨ ـ البصير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «البصير»، هو الذي يشاهد الأشياء كلَّها ظاهرها وخافيها (٥)، والبصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها نعوت (٦) المبْصَرَات» (٧).

٢٩ - الحكم: قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى: "الحَكَم والحكيم"

⁽۱) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٢٨) تحت مادة «عزز».

⁽٢) انظر: «النهاية» (٢/ ١٦٦) تحت مادة «ذلل».

⁽٣) في مطبوع «النهاية»: «بغير جارحة».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٢/ ٤٠٠) تحت مادة «سمع».

⁽٥) في مطبوع «النهاية»: «وخافيها بغير جارحة».

⁽٦) في مطبوع «النهاية»: «كمال نعوت».

⁽۷) انظر: «النهایة» (۱/ ۱۳۱) تحت مادة «بصر».

4"



هما بمعنى الحاكم وهو القاضي، (والحكيم: فعيل، بمعنى: الحاكم، وهو القاضي)^(۱)، والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يُحْكِمُ الأشياء ويتقنها، فهو فَعِيلٌ بمعنى، مُفْعِل، وقيل: الحكيمُ: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال: لمن يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويتقنها: حكيم، ومنه حديث صفة القرآنَ: «وهو الذكر الحكيم»^(۱) أي: الحاكم لكم وعليكم، أو هو المُحْكَمُ الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب، فعِيلُ بمعنى مُفْعَل، رسول الله عَلَي عمد حديث ابن عباس: «قرأتُ المحْكَمَ على عهد رسول الله عَلَيْ»، يريد: المفَصَّلَ من القرآن؛ لأنه لم يُنْسخَ منه شيء، وقيل: هو ما لم يكن مُتشابهاً؛ لأنه أُحْكِمَ بَيَانُه بنفسه ولم يَفْتَقِر إلى غيره»^(۱).

٣٠ ـ العدل: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «العَدْل»، هو الذي لا يميل به الهَوَى فيجور في الحُكْم، وهو في الأصل مصدرٌ سُمِّي به فُوضِع مَوْضِعَ العَادِل، وهو أبلغ منه؛ لأنه جُعِلَ المُسمَّى نفسه عدلاً»(٤).

٣١ ـ اللطيف: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «اللطيف» هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وَإِيصَالها إلى مَن قدّرها له مِنْ خُلْقه، يُقالُ: لَطَف به وله، بالفتح، يَلْطُف لُطْفاً إذا رَفَق به، فَأَمَّا لَطُف بالفتح (٥) يلطُف، فمعناه: صَغُرَ وَدَقً (٦).

٣٢ ـ الخبير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الخبير» هو العالم بما كان وبما يكون، خَبَرت الأمر أخبُره: إذا عرَفته على حقيقته»(٧).

٣٣ _ الحليم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الحَليمُ» هو الذي

⁽١) هذه الجملة غيرُ موجودة في مطبوع «النهاية».

⁽۲) أخرجه الترمذيُّ برقم (۲۹۰٦)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٢٥)، وأحمد (١/ ٩١)، والدارمي (٢٣٣٤) أحرجه الترمذيُّ برقم (٣٦٧)، والبزار (٣٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦)، وأبو يعلى (٣٦٧)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٢/ ٣٢٥)، وإسناده ضعيف مرفوعاً، وقد صح عن عليٍّ قوله، كما سبق بيانه في التعليق على (٣/ ٩٩).

⁽٣) انظر: «النهاية» (١/ ٤١٨ ـ ٤١٩) تحت مادة «حكم».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٣/ ١٩٠) تحت مادة «عدل».

⁽٥) في مطبوع «النهاية»: «بالضم».

⁽٦) انظر: «النهاية» (٢٥١/٤) تحت مادة «لطف».

⁽٧) انظر: «النهاية» (٦/٢) تحت مادة «خبر».



لا يَسْتَخِفَّه شيء من عصيان العباد، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو منته إليه»(١).

٣٤ - العظيم: قال القنوجي: ««العظيم»: الكبير الشأن، الجليل القدر، رفيع الذكر، مطاع الأمر».

٣٥ ـ الغفور: بمعنى الغفار، وقد تقدم شرحه.

٣٦ ـ الشكور: قال القنوجي في قوله تعالى في سورة التغابن: ﴿وَأَلَقُهُ شَكُورُ وَاللَّهُ شَكُورُ مَا لَا اللهُ عَلَيْهُ ﴾ [التغابن: ١٧]: «يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة»(٢).

قال محمد تقي الدين: شكر المخلوق أن يكافئه على نعمته عليه بإحسان من قول وعمل بالجوارح وبالقلب، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المُحَجَّبا(٣)

أما شكر الله عبيده، فهو تفضله عليهم بالثواب على طاعتهم، وهو غني عن طاعتهم.

٣٧ ـ العلي: قال ابن الأثير في النهاية: «في أسماء الله تعالى «العَليُّ المُتعالى» فالعَليُّ: الذي ليس فوقه شيء في المرتبة والحكم، فَعِيل بمعنى فَاعل، من علا يعلو، المتعالي^(٤): الذي جَلَّ عن إفك المفترين وعَلا شأنه. وقيل: جَلَّ عن كل وصف وثناء، وهو متفاعل من العلو، وقد يكون بمعنى العالى»^(٥).

قال محمد تقي الدين: وقد تقدم في (صدر هذا القسم) من «سبيل الرشاد» من أدلة علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه الذي هو فوق المخلوقات كلها ما يشفي صدور أهل الحق، ويشوي قلوب المعطلة، كابن عطية الذي يزعم أنه مفسر، وهو مكسِّر جهمى ضال!!.

٣٨ ـ الكبير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المُتَكبّر والكبير» أي:

⁽۱) انظر: «النهاية» (۱/ ۲۳۳ _ ۲۳۴) تحت مادة «حلم».

⁽۲) انظر: «فتح البيان» (۷/ ۱۱٤).

⁽٣) ذُكِر دون نسبة في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٣٧٨)، و«طريق الهجرتين» (١/ ٥٠٨)، و«شرح الحكم العطائية» (١/ ٦٥)، و«البداية والنهاية» (١/ ١١٨) و(١١٩/٧).

⁽٤) في مطبوع «النهاية»: «والمتعالى».

⁽٥) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٩٣ _ ٢٩٤) تحت مادة «علا».

Company of the Compan



العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المُتعَالي عن صفات الخلق»(١).

٣٩ ـ الحفيظ: قال القنوجي في تفسير قوله تعالى في سورة هود: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظُهُ مِن كِل شَيءٍ ﴾ [هود: ٥٧]: «أي (٢): رقيب مهيمن عليه، يحفظه من كل شيءٍ » (٣).

• ٤ - المقيت: قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِينًا ﴾ [النساء: ٥٥]: «مقتدراً، من أقات على الشيء: إذا قدر عليه، قال الشاعر (٤):

وَذِي ضُغْنِ كَفَفْتُ الضَّغْنَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتا (٥) الله وَذِي ضُغْنِ كَفَفْتُ الضَّغْنَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتا (١٥) أو شهيداً حافظاً، واشتقاقه من (القوت) فإنه يقوي البدن ويحفظه (١٦) .

الكافي، فعيل بمعنى مُفْعِل، من أحْسَبني الشيءُ: إذا كَفَاني، وأحْسَبْتَهُ وَحَسَّبْتَهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبُ وَالْعَبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبُتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَحَسَّبْتُهُ وَالْعَبْتُهُ وَالْعَبْتُهُ وَالْعَبْتُهُ وَالْعَبْدُ وَالْعَلْمُ وَالْعَبْدُ وَالْعَلْمُ وَلَا اللَّهُ مِنْ الْعَلْمُ اللَّهُ وَالْعَلْمُ وَالْعَلْمُ وَالْعَلْمُ وَالْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْعُلْمُ وَالْعُلْمُ والْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْعُلْمُ وَالْمُولُ وَالْعُلْمُ وَالْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ والْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُوالِمُ الْعُلْمُ وَالْمُوالِمُ وَالْمُولُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْمُلْمُ وَالْمُولُ وَالْمُ الْعُلْمُ وَالْمُ الْمُعْلِمُ وَالْمُولُولُ وَالْمُولُ وَالْمُ الْمُعْلِمُ وَالْمُل

الموصوف بِنُعُوتِ الجَلال، والحَاوِي جَمِيعَها، هو الجليلُ المُطلَق، وَهُو راجع الموصوف بِنُعُوتِ الجَلال، والحَاوِي جَمِيعَها، هو الجليلُ المُطلَق، وَهُو راجع إلى كمال الطّفات، كما أنَّ الكبيرَ رَاجعٌ إلى كمال الذات والصفات (١٠) (١٠).

27 ـ الكريم: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الكريم» هو الجواد المُعْطي الذي لا ينفُد (١٠) عطاؤه، وهو الكريم المُطلَق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشَّرَف والفضائل»(١١).

⁽۱) انظر: «النهاية» (٤/ ١٣٩) تحت مادة «كبر».

⁽٢) كذا في مطبوع «فتح البيان»، وفي الأصل: «إلى»!

⁽٣) انظر: «فتح البيان» (٣/ ٣٢٩).

⁽٤) كلمة (الشاعر) ساقطة من مطبوع «تفسير البيضاوي».

⁽٥) قاله أُحَيحَة بن الجلّاح (ت١٢٩ق.هـ)، وعُزي إلى أبي قيس بن رِفاعة. انظر: "طبقات فحول الشعراء" (١/ ٢٨٩)، وهو في "إصلاح المنطق" لابن السكيت، ولم ينسبه.

⁽٦) انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ٢٨٨، ط. دار الكتب العلمية).

⁽V) انظر: «النهاية» (١/ ٣٨١) تحت مادة «حَسِبَ».

⁽A) في مطبوع «النهاية»: «كمال الذات».

⁽٩) انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) تحت مادة «جَلل».

⁽١٠) كذا في مطبوع «النهاية»، بالدال المهملة في آخره، وفي الأصل بالذال المعجمة!

⁽۱۱) انظر: «النهاية» (١٦٦/٤) تحت مادة «كرم».



٤٤ - الرقيب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الرقيب»، وهو الحافظُ الذي لا يَغِيب عنه شيءٌ، فعيلٌ بمعنى فاعل» (١).

25 - المجيب: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المُجيب»، وهو الذي يُقابل الدعاء والسؤالَ بالقُبول والعَطاء، وهو اسم فاعل مِن أجابَ يُجيب» (٢).

٤٦ - الواسع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الواسع»، هو الذي وَسِعَ غِنَاه كُلَّ فَقير، وَرَحمَتُه كُلَّ شَيءٍ» (٣).

٤٧ ـ الحكيم: تقدم معناه في شرح (الحَكَم).

٤٨ ـ الودود: قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى "الودود"، وهو (٤) فعُول بمعنى مفعول، من الودِّ: المحبَّة، يقال: وَدِدْتُ الرجلَ أَوَدُّهُ وُدَّاً، إذا أحببته، فالله تعالى مَودودٌ، أي: مَحْبوب في قلوب أوليائه، أو هو فَعُول بمعنى فاعل، أي: إنه يحبُّ عباده الصالحين، بمعنى أنه يَرْضَى عنهم "(٥).

قال محمد تقي الدين: كنت أظن أن ابن الأثير سلفي العقيدة بريء من التعطيل والتجهم؛ لأني رأيت المتأخرين من المشتغلين ينقلون من كتابه «شرح غريب الحديث»، ولما رأيتُ شرحه لأسماء الله الحسنى وجدته من شرار الجهمية المعطلة، فانظر كيف أنكر محبة الله تعالى لخلقه وفسرها بالرضا "، وغلاة الجهمية ينكرون أيضاً صفة الرضا والسخط، قاتلهم الله ونحن نثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الصفات والأسماء بدون تشبيه، بل كما يليق بجلاله سبحانه، لا إله إلا هو.

29 ـ المجيد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المجيدُ والماجد» المَجْد في كلام العرب: الشَّرفُ الواسع، ورجُلٌ ماجِد: مِفْضَال كثير الخير شريف، والمجيد، فعيل منه للمبالغة»(٧).

⁽۱) انظر: «النهاية» (۲/ ۲٤٨) تحت مادة «رقب».

⁽٢) في الأصل: «مجيب»! والمثبت من «النهاية» (١/ ٣١٠) تحت مادة «جوبَ».

⁽٣) انظر: «النهاية» (٥/ ١٨٤) تحت مادة «وسع».

⁽٤) في مطبوع «النهاية»: «هو».

⁽٥) انظر: «النهاية» (٥/ ١٦٥) تحت مادة «ودد».

⁽٦) انظر ـ لزاما ـ كتابي: «الردود والتعقبات» (ص١٤٣) في رد تأويل صفة المحبة.

⁽V) انظر: «النهاية» (٢٩٨/٤) تحت مادة «مجد».



• • - الباعث: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الباعث»، هو الذي يبعث الخلق، أي: يُحْيِيهم بعد الموت يوم القيامة»(١).

الشهيد، قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الشهيد» هو الذي لا يغيب عنه شيء، والشاهد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا أعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وَإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشَّهيدُ» (٢).

قال محمد تقي الدين: وقد أسندت الشهادة إلى الله تعالى في مواضع من كتابه قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَا هُو وَالْمَلَتَهِكَةُ وَأُولُوا الْمِنْدِ قَابِمًا بِالْقِسْطِ لَا كَتَابه قال تعالى: ﴿ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ إِلَهُ إِلّا هُو الْمَرْبِينُ الْمَكِيمُ ﴿ وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١].

٢٥ ـ الحق: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الحقُّ» هو الموجود حقيقة المُتَحقق وجُودُه وإلاهيته، والحقُّ: ضد الباطل»(٣).

٣٥ ـ الوكيل: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الوكيل» هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقتُه أنَّه يَسْتَقِلُ بأمر المَوْكُول إليه»(٤).

٤٥ ـ القوي: قال محمد تقي الدين: معناه واضح، قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوتَةَ لِلَهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وكل قوي سوى الله فإن الله هو الذي وهبه تلك القوة، وهو في الحقيقة ضعيف، قال الله تعالى في سورة الكهف [٣٩]: ﴿مَا شَآءَ ٱللّهُ لَا قُوَّةَ إِلّا بِٱللّهِ﴾، وقوة الله تعالى من ذاته ﴿إِنَّ ٱللّهَ هُوَ ٱلرَّزَاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿ الذاريات: ٥٨].

• • - المتين: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المتينُ» هو القويُّ الشديد، الذي لا يَلْحَقُه في أفعاله مَشَقَّة، ولا كُلْفَة ولا تَعَب، والمتانة: الشدَّة والقوَّة، فهو من حيث إنه بالِغُ القُدرةِ تامُّها قَوِيٌّ، ومن حيث إنه شديدُ القوَّة مَتين» (٥).

٦٥ ـ الولي: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الوَلِيّ» هو النَّاصر،
 وقيل: المُتَولِّى لأمور العَالَم والخلائِق القَائمُ بها.

⁽۱) انظر: «النهاية» (۱/ ۱۳۸) تحت مادة «بعث».

⁽٢) انظر: «النهاية» (٢/ ٥١٣) تحت مادة «شهد».

⁽٣) انظر: «النهاية» (١/ ٤١٣) تحت مادة «حقق».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٢١) تحت مادة «وكل».

⁽٥) انظر: «النهاية» (٢٩٣/٤) تحت مادة «متن».



ومن أسمائه ﷺ: «الوالي» وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرفُ فيها. وكأن الولايةَ تُشْعِرُ بالتَّدبير والقُدرة والفِعْل، وما لم يَجْتَمِع ذلك فيها لم يطلق^(۱) عليه اسمُ الوالي»^(۱).

٧٥ ـ الحميد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الحميد» أي: المحمودُ على كل حال، فعيل بمعنى مفعول، والحمد والشكر مُتقاربان، والحمد أعمُّهما؛ لأنك تحمَدُ الإنسان على صفاته الذَّاتية وعلى عطائه، ولا تَشْكَره على صفاته»(٣).

٥٨ ـ المحصي: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المحصي» هو الذي أحصى كل شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفُوتُه دقيق منها ولا جليل. والإحصاء: العدُّ والحفظ»(٤).

٩٥ ـ المبدئ: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «المبدئ»، هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال»(٥).

• ٦ - المعيد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «المُعِيد» هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدُّنيا، وبعد الممات إلى الحياة يومَ القيامة» (٢).

٦١ ـ المحيي: قال محمد تقي الدين: المحيي، هو: الذي يهب الحياة لكل حى.

قال الله تعالى في سورة الحج [77]: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي ٓ أَخْبَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ فَي عَلِيكُمْ أُمَّ يُعِيكُمْ أُمَّ أَعْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى الْمُعْمِى الْمُعْمِى الْمُعْمِى الْمُعْمِى اللهُ عَلَى الْمُعْمِى الْمُعْمِى الْمُعْمِى عَلَى الْمُعْمِى عَلَى الْمُعْمِى الْمُعْمِى عَلَى الْمُعْمِى الْمُعْمِى

٦٢ ـ المميت: يفهم معناه من شرح الذي قبله، والذي بيده الإماتة، قال تعالى في سورة المؤمن: ﴿هُوَ اللَّذِى يُحْيَى وَيُمِيثُ فَإِذَا قَضَى آمَرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ إِنَّ فَإِذَا قَضَى آمَرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ إِنَّ فَإِذَا قَضَى آمَرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ إِنَّ إِنَّا فَإِذَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُولَا اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ال

⁽۱) في مطبوع «النهاية»: «لم ينطلق». (٢) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٢٧) تحت مادة «ولا».

⁽٣) انظر: «النهاية» (٢/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧) تحت مادة «حمد».

⁽٤) انظر: «النهاية» (١/ ٣٩٧) تحت مادة «حصا».

⁽٥) انظر: «النهاية» (١/٣/١) تحت مادة «بدا».

⁽٦) انظر: «النهاية» (٣/٣١٦) تحت مادة «عود».

⁽٧) في مطبوع «تفسير البيضاوي»: «عناصر ونُطفاً».

⁽A) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٩٥، ط. دار الكتب العلمية).



٦٣ ـ النحي: قال القاسمي: «الحي» أي: الباقي الذي (١) لا سبيل عليه للفناء.

٦٤ ـ القيوم: الدائم القيام بتدبير الخلق»^(٢).

٦٥ ـ الواجد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الواجد»، هو الغَنِيُّ الذي لا يفتقر، وقد وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً، أي: استغنى غنَّى لا فقرَ بَعُده»(٣).

٦٦ ـ الماجد: تقدم معناه في شرح (المجيد).

الفَرْد الذي لم يَزَل وَحْدَه، ولم يكن معه آخَرُ، قال الأزهريُّ: الفرق بين الواحد الفَرْد الذي لم يَزَل وَحْدَه، ولم يكن معه آخَرُ، قال الأزهريُّ: الفرق بين الواحد والأحد، أن الأحَد بُنِيَ لِنَفْي ما يُذْكَر مَعه من العَدَد، تقول: ما جاءني أحدٌ، والواحدُ: اسمٌ بُنِيَ لِمُفْتَتَح العدَد، تقول: جاءني واحدٌ من الناس، ولا تقول: جاءني واحدٌ، فالواحد منفردٌ بالذاتِ، في عدم المِثل والنَّظير، والأَحَدُ مُنْفَرِدٌ بالمعنى.

وقيل: الواحد: هو الذي لا يتجزأ ولا يُثنَّى، ولا يقبل الأنقسام، ولا نظير له ولا مثل، ولا يَجْمَعُ هذين الوصفين إلا اللهُ تعالى»(٤).

79 ـ الفرد: قال محمد تقي الدين: «الفرد» هو الذي تفرد بصفات الكمال لا يشاركه فيها أحد، وهو بمعنى الواحد والأحد^(٥).

٧٠ ـ الصمد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الصّمد» هو السيّد الذي انتهى إليه السُّؤدَد، وقيل: هو الدائم الباقي (٦٠)، وقيل: الذي يُصْمَدُ في الحوائح إليه؛ أي يُقصد» (٧٠).

٧٧، ٧١ ـ القادر، والمقتدر، والقدير: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «القادِر، والمقتدِر والقَدير» فالقادر اسم فاعل، مِنْ قَدَرَ يَقْدِرُ، والقَدير:

⁽١) من مطبوع «تفسير القاسمي»، وسقط من الأصل.

⁽٢) انظر: «تفسير القاسمي» (٣/ ٣١٨) وفيه بعد كلمة (الخلق): «وحفظه».

⁽٣) انظر: «النهاية» (٥/ ١٥٥) تحت مادة «وجد».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٥/ ١٥٩) تحت مادة «وحد».

⁽٥) لم يثبت، ولم يرد إلا في السياق المدرج، وعند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١١٦ ـ ١١٧): «أشهد أنك فرد أحد صمد» وإسناده ضعيف.

⁽٦) في مطبوع «النهاية»: «الباقي، وقيل: هو الذي لا جوف له، وقيل: الذي يُصمد...».

⁽٧) انظر: «النهاية» (٣/ ٥٢) تحت مادة «صمد».



فَعيل منه، وهو للمبالغة والمقتدر: مُفْتَعِل من اقْتَدَر، وَهُوَ أَبْلَغ»(١).

قال محمد تقي الدين: هذه الأسماء الثلاثة تدل على ما ذكره ابن الأثير، وتدل على أن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وقدرته من ذاته وقدرة غيره منه سبحانه.

٧٣ ـ المقدم: قال ابن الأثير: ««المُقَدِّم» هو الذي يُقَدِّمُ الأشياءَ ويَضَعها في مواضِعها، فمن استحقَّ التقديمَ قَدَّمه» (٢).

٧٤ ـ المؤخر: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «الآخر والمؤخر» فالآخر هو الذي يُؤَخِّرُ هو الذي يُؤَخِّرُ الله في مَوَاضعها، وهو ضد المقدِّم».

٧٥ ـ الأول: قال القاسمي في تفسير أول سورة الحديد: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ ﴾: «أي: السابق على كل موجود، من حيث إنه موجده (١) ومحدثه (٥).

٧٦ - الآخر: قال القاسمي: ««الآخر» أي: الباقي بعد فناء كل شيء».

وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة، أن رسول الله على كان يدعو عند النوم: «اللهم رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، خالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس (٢) دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر»(٧). رواه مسلم»(٨).

٧٧ ـ الظاهر: قال القاسمي في «تفسيره»: ««والظاهر» أي: وجوده بالأدلة

⁽۱) انظر: «النهاية» (۲۲/٤) تحت مادة «قدر».

⁽۲) انظر: «النهاية» (۲٥/٤) تحت مادة «قدم».

⁽٣) انظر: «النهاية» (١/ ٢٩) تحت مادة «أخر».

⁽٤) كذا في مطبوع «تفسير القاسمي»، وفي الأصل: «موجودة».

⁽٥) انظر: «تفسير القاسمي» (٣١/١٦).

⁽٦) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «ليس».

⁽٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨١ و٥٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة المشهد.

⁽۸) انظر: «تفسير القاسمي» (۱۱/۱۳ ـ ۳۲).



الدالة عليه، وقال ابن جرير: أي: الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوقَ كل شيء فلا شيء أعلى منه»(١).

٧٨ ـ الباطن: قال القاسمي في «تفسيره»: ««والباطن» أي: باحتجابه بذاته وماهيته، أو العالم بباطن كل شيء، قال ابن جرير: أي: الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب (٢) منه، كما قال: ﴿وَغَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبِّلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ٢٦] (٣).

٧٩ ـ الوالى: تقدم معناه في شرح (الولي).

٨٠ - المتعالى: تقدم معناه في شرح (العليّ).

٨١ ـ البر: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «البَرُّ» هو العَطوف على عباده بِبرّه ولُطفه. والبَرُّ والبارُ بمعنى، وإنما جاء في أسماء الله تعالى البَرُّ دُونَ البار والبرُّ بالكسر: الإحسان»(٤٠).

٨٢ ـ التواب: الذي يقبل توبة كل تائب مخلص، وهو من أبنية المبالغة، أي: كثير التوبة على من تاب. وقال تعالى في أول سورة المؤمن: ﴿ فَافِرِ ٱلذَّنْ وَقَالِ ٱلتَّوْبِ ﴾ [غافر: ٣] وهذا المعنى في القرآن كثير، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُهُ ۚ إِنَّكُمْ كَانَ نَوَّابُـا ﴾ [النصر: ٣].

٨٣ ـ المنتقم: الذي يعاقب عباده بذنوبهم، حسب مشيئته وإرادته سبحانه.

٨٤ ـ العفو: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «العفُوُّ» هو فَعُول، من العَفُوُ، وهو التَّجاوزُ عن الذَّنب وتركُ العقابِ عليه، وهو من أبنية المبالغة» (٥٠).

٨٥ ـ الرؤوف: الرحيم، وقيل: الرأفة أبلغ من الرحمة. أ

٨٦ _ مالك الملك: تقدم معناه في شرح (الملك).

٨٧ _ ذو الجلال والإكرام: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «ذو

⁽۱) انظر: «تفسير القاسمي» (٢/١٦).

⁽٢) في مطبوع «تفسير القاسمي»: «أقرب إلى الشيء منه».

⁽٣) انظر: «تفسير القاسمي» (٣٢/١٦).

⁽٤) انظر: «النهاية» (١١٦/١) تحت مادة «برر»، وورد (البار) في إدراج الوليد ضمن سرده الأسماء، وهو عند أبي نعيم في «جزئه» (رقم ١٨ ـ بتحقيقي)، واستدل ابن منده عليه بما عند البخاري (٢٧٠٣): «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»، ثم وجدته منصوصاً عليه عند ابن ماجه أيضاً (٣٩٠٧) وليس إسناده بذاك.

⁽٥) انظر: «النهاية» (٣/ ٢٦٥) تحت مادة «عفا».



الجلال والإكرام» الجلال: العظمة، ومنه الحديث: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»(١)»(٢). اه.

ومعنى «ألطوا» أي: لازموا وداوموا على قول: «يا ذا الجلال والإكرام» في دعائكم وابتهالكم إلى الله تعالى.

٨٨ - المقسط: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى: «المُقْسط» هو العادل، يقال: أَقْسَط يُقسِط فهو مُقْسِط، إذا عَدَلَ، وَقَسَط ويَقسِط (٣) فهو قاسط إذا جارَ» (٤).

٨٩ ـ الجامع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الجامع» هو الذي يَجْمَعُ الخلائق ليَومِ الحساب، وقيل: هو المؤلّف بين المتماثِلاتِ، والمَتَباينات، والمتضادّات في الوُجُود» (٥).

قال محمد تقي الدين: والراجح الأول؛ لقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمِ لَا رَبِّ فِيدًى ﴿ [آل عمران: ٩].

• ٩ ، ٩ ، ٩ ، العني، المعني: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الغَنِيُ» هو الذي لا يَحْتاج إلى أحد في شيء، وكُلُّ أحد يحتاج إليه، وهذا هو الغِنى المُطْلَق، ولا يشارِك الله تعالى فيه غيره، ومن أسمائه «المُعْني» وهو الذي يُعْني مَنْ يشاء من عِبادِه» (٦).

97 ـ المانع: قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى: "المانع" هو الذي يمنع عن أهل طاعته، ويحُوطُهُم وينصُرُهُم، وقيل: يمنع مَنْ يُريدُ من خَلقِه ما يُريدُ، وفيه: "اللهم من مَنَعْتَ ممنُوعٌ" أَي مَن حَرَمْتَهُ فهو

⁽۱) أخرجه أحمد (٤/١٧٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢٨٠)، والترمذي (٣٥٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٢١٥٦، ١١٥٦٣)، والطبراني (٤٥٩٤)، وفي «الدعاء» (٩٢)، والحاكم (١/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٩٦)، وغيرهم من حديث ربيعة بن عامر، وهو صحيح.

⁽٢) انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٧) تحت مادة «جلل».

⁽٣) في مطبوع «النهاية» من غير: «و».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٤/ ٦٠) تحت مادة «قسط».

⁽٥) انظر: «النهاية» (١/ ٢٩٥) تحت مادة «جمع».

⁽٦) انظر: «النهاية» (٣٩٠/٣) تحت مادة «غنا».

وأشياسه



مَحْرُوم، لا يُعطيه أحدٌ غَيرُك»(١).

٩٣ ـ الضار: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الضَّارُّ» هو الذي يَظُو من يشاء من خلقه، حيثُ هو خالِقُ الأشياءَ كلها خَيرِها وشَرِّها وَنْهُعها وَضَرِّها» (٢٠).

٩٤ ـ النافع: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «النافع» هو الذي يُوصِّل النفع إلى مَن يشاء مِنْ خَلْقِه، حيثُ هو خالقُ النَّفْع والضَّر، والخِيرِ والشَّر» (٣).

٩٥ ـ النور: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «النُّور» هو الذي يبصر بنوره ذو العَماية ويَرْشُد بهُداهُ ذُوْ الغَوَاية، وقيل: هو الظاهر الذي به كلُّ ظُهورٍ.
 فالظاهر في نفسِه المُظْهرُ لغيره يُسَمَّى نُوراً» (٤٠).

97 ـ الهادي: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الهادي» هو الذي بَصَّرَ عِبَادَه وَعَرَّفَهُم طريقَ معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بُدَّ له منه في بَقائِه وَدَوَام وجودِه»(٥).

٩٧ ـ البديع: «هو الخالق المخترع لا عن مِثال سَابق، فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِل، يقال: أبدَع فَهُوَ مُبْدِع» (٦). اه من «النهاية».

٩٨ ـ الباقي: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «البّاقي» هو الذي لا ينتهي تقدير وُجوده في الاستقبال إلى آخر يَنْتَهي إليه، ويُعبَّر عنه بأنه أبديُّ الوُجود» (٧٧).

قال محمد تقي الدين: ويفسر معناه قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجُهُ رَبِّكَ ذُو لَلْمَالِلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۞ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

99 - الوارث: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الوارث» هو الذي

⁽۱) انظر: «النهاية» (٤/ ٣٦٥) تحت مادة «منع».

⁽۲) انظر: «النهاية» (۳/ ۸۱) تحت مادة «ضرر».

⁽٣) انظر: «النهاية» (٩٨/٥) تحت مادة «نفع».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٥/ ١٢٤) تحت مادة «نور»، والثابت في النصوص (نور السماوات والأرض) وهو من الأسماء المضافة، انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٥).

⁽٥) انظر: «النهاية» (٥/ ٢٥٣) تحت مادة «هدا».

⁽٦) انظر: «النهاية» (١٠٦/١) تحت مادة «بدع».

⁽V) انظر: «النهاية» (١٤٧/١) تحت مادة «بقيَ».



يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم»(۱).

الرشيد: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الرشيد» هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم: أي هداهم ودَلَّهم عليها، فَعِيل بمعنى مُفْعِل، وقيل: هو الذي تنساق^(۲) تدبيراته إلى غاياتها على سنن السَّداد، من غير إشارة مُشِير ولا تَسْديد مُسدّد»^(۳).

۱۰۱ ـ الصبور: قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى «الصَّبُور» هو الذي لا يُعاجل العُصَاة بالانتِقام، وَهُوَ من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحَليم، والفرق بينهما أَنَّ المُذْنب لا يَأْمَنُ العُقُوبة في صفة الصبور، كما يأمَنُها في صِفَة الحَلِيم» (٤٠).

المغيث: هو الذي يغيث من استغاث به من عباده ويفرج كربه ويجعل له مخرجاً من كل ضيق وكل شدة، كما أغاث خير خلقه محمداً على لما استغاث به في غزوة بدر، والاستغاثة من أفضل العبادات فمن استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر، قال تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن يُعِيبُ اللهُ صَلَّمَ اللهُ وَيَكَشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلفَاءَ الأَرْضِ أَولَكُ مَّعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا لَذَكُرُونَ اللهُ [النمل: ٢٢].

انظر تفسير هذه الآية مبسوطاً في (الباب الثالث) من (سورة النمل) من (القسم الأول) من هذا الكتاب.

1.٣ ـ القريب: القريب من عباده بعلمه ولطفه، والله تعالى يقرب من عباده كيف يشاء بلا تشبيه ولا تمثيل، وليس المراد قرب المسافة؛ لأن الله تعالى لا يحل في خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعُوةً ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِي ﴿ [البقرة: ١٨٦].

قال (ك): في تفسير هذه الآية: «روى^(ه) أحمد والشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فجعلنا لا نصعد شرفاً، ولا نعلو

⁽۱) انظر: «النهاية» (٥/ ١٧٢) تحت مادة «ورثَ».

⁽٢) كذا في مطبوع «النهاية»، وفي الأصل: «تتناسق»!

⁽٣) انظر: «النهاية» (٢/ ٢٢٥) تحت مادة «رشد».

⁽٤) انظر: «النهاية» (٣/٧) تحت مادة «صبر».

⁽٥) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «وقال الإمام أحمد: . . . عن أبي موسى».



شرفاً، ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال: «يا أيها الناس! ارْبَعُوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنَّما تدعون سميعاً بصيراً، إنَّ الذي تدعون أقربُ إلى أحدكم من عُنُقِ رَاحِلَتِه (١) ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»(٢).

قال محمد تقي الدين: الأسماء التسعة والتسعون التي قصدها النبي يه لا نعلم أعيانها بيقين، وقد ذكر الترمذي بدل تسعة وتسعين مائة وواحداً (المعنيث والقريب) بعض من نظم أسماء الله الحسنى شعراً اسمين آخرين وهما (المعنيث والقريب) فزدتهما أنا فبلغت الأسماء مائة وثلاثة، وقد تقدم أن أسماء الله ليست محصورة في التسعة والتسعين ولا في المائة والثلاثة، وإنما جمعتها وشرحتها ليتوسل بها إخواننا الموحدون إلى الله الكريم امتثالاً لأمره، وطمعاً في رحمته، فإن المبتدعين يتوسلون إلى الله تعالى بذوات المخلوقين، والمؤمنون المتبعون لكتاب ربهم وسنة نبيهم إنما يتوسلون إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته وبأعمالهم الصالحة، ولذلك قال عمر في: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فنعوا ودعا العباس عم النبي في فسقاهم الله تعالى، فالتوسل إنما كان بدعاء النبي في فلما انتقل إلى دار البقاء توسل عمر إلى الله تعالى بدعاء العباس، وهذا ثابت في «صحيح البخاري»؛ أعني: حديث عمر تعالى بدعاء العباس، وهذا ثابت في «صحيح البخاري»؛ أعني: حديث عمر

⁽۱) في مطبوع «تفسير ابن كثير»: «راحلته يا عبد الله بن قيس ألا».

⁽٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٠٢/٤)، والبخاريُّ في كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، حديث (٢٩٩٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استجباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري هي، وما سبق من «تفسير ابن كثير» (٢٧٠٢).

⁽٣) الراجح أن سرد الأسماء من إدراج الوليد بن مسلم، ولذا وقع التخلاف فيها، فهي مستنبطة لا منصوصة، وقد قدمت ما يدل على ذلك من الصنعة الحديثية، مع تنصيص فحول المحدثين على الإدراج، والرد على من خالف. انظر تعليقي على (٢/ ٣٩ _ ٤٥). وللعلماء _ قديماً وحديثاً _ جهودٌ في جمعها وشرحها، يصعب حصرها واستقصاؤها في هذا المقام، وعرف بمنهج جماعة منهم: الأستاذ عبد الله الغصن في كتابه المطبوع «أسماء الله الحسنى»، ولأخينا الشيخ محمد بن حمد الحمود «النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» وهو مطبوع بالكويت في مجلدين.

⁽٤) أخرجه البخاريُّ في كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا برقم (١٠١٠) من حديث أنس رفيه.



وتوسله بالعباس وأما حديث الأعمى (١) الذي يموّه به المبتدعون فلا حجة لهم فيه، لأن الأعمى سأل النبي الشفاعة والدعاء في حال حياته، وهذا لا نزاع فيه على فرض صحة الحديث، وفيه مقال، وقد قتل هذه المسألة بحثاً وتحقيقاً شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتابه المسمى «التوسل والوسيلة»، ودليل التوسل بالأعمال حديث النفر الثلاثة الذين دخلوا في الغار فانطبقت عليهم الصخرة، فدعا الله كل واحد منهم بصالح عمله، ففرج الله عنهم، وهذا الحديث مشهور في «صحيح البخاري» (٢).

وهؤلاء المبتدعون _ وأكثرهم مشركون _ يتسترون بحديث الأعمى لِعُمْي بصائرهم، وإلا فباب التوسل إلى الله مفتوح، فمحبة النبي على واتباعه والعمل بسنته ونصر شريعته من أعظم الوسائل إلى الله تعالى، فبدل أن يقول المشرك أو المبتدع: اللهم إني أتوسل إليك بأنبيائك أو أوليائك، يتوب إلى الله تعالى من الشرك والبدعة، ويوحِّد الله ويتبع سنة نبيه على، ويقول بصدق: اللهم إني أتوسل إليك بتوحيدي لك واتباعي لسنة نبيك، فيكون على الصراط المستقيم ويخرج من الظلمات إلى النور ولا ينكر ذلك عليه أحد.

والله يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم، ويبعدنا عن طريق أصحاب الجحيم.

⁽۱) وهو مما أخرجه أحمد (۱۳۸/۶) وغيره بسند صحيح عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريرَ البصر أتى النبيَّ عَلَيُّ فقال: ادع الله أن يُعافيني. قال: "إن شئت دعوتُ لك وإن شئت أخّرتُ ذاك، فهو خير"، (وفي رواية: "وإن شئت صبرتَ فهو خير لك")، فقال: ادعهُ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم فشفّعه في "وشفعني فيه" قال: ففعل الرجل، فبرئ". وقد أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" (٢/٩٠٦)، والترمذي (٣٥٧٨)، والنسائيُ في "عمل اليوم والليلة" (٢٥٩)، وابن ماجه (١٣٨٥)، وابن خزيمة (١٢١٩)، وعبد بن حميد (٣٧٩)، والطبراني في الكبير (١٣١٨)، والحاكم (١٣١٣)، وللاستزادة انظر تخريجنا:

⁽٣٧٩)، والطبراني في الكبير (٨٣١١)، والحاكم (٣١٣/١)، وللاستزادة انظر تخريجنا: لا الحنائيات، رقم (٩٣) فقد فصّلت الكلام عليه، وانظر في توجيهه كلام شيخنا الألباني في: «التوسل أنواعه وأحكامه» (٧٦ ـ ٨٥، ط. مكتبة المعارف). أخرجه البخاريُّ في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فتركَ أَجْرَهُ، فَعملَ فيهِ

⁽٢) أخرجه البخاريُّ في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فتركَ أَجْرَهُ، فَعملَ فيهِ المُستأجرُ فزاد أوْ مَن عَملَ في مالِ غيره فاستفضلَ برقم (٢٢٧٢) من حديث عبد الله بن عمر على «فنون العجائب» للنقاش رقم عمر على «فنون العجائب» للنقاش رقم (٣٥ _ ٤٨)، وهو مطبوع ضمن «مجموعة أجزاء حديثية»، فانظره إن أردت الاستزادة.



قال محمد تقي الدين: وقفت على أسماء الله الحسنى منظومة شعراً في قصيدتين كل منهما اشتملت عليها، إحداهما: تنسب إلى الدمياطي ولا أدري من هذا الدمياطي، وفي أسماء حفاظ الحديث رجل يسمى الدمياطي نسبة إلى مدينة مشهورة في مصر، ولا أدري هل هو الذي نظم هذه القصيدة، فإن قوله في أولها؛ أي في البيت الثالث منها:

وبعد روينا أن لله تسعة وتسعين اسماً فضلُها قد تَحَصَّلا يدل على أنه هو الحافظ الدمياطي (١) ، ولهذه القصيدة مزية على القصيدة الثانية التي سأذكرها ، وهي أن ناظمها جعل كل شطر يتضمن اسماً واحداً من أسماء الله الحسنى مثال ذلك قوله في ذكر الاسم الأول «الله» والثاني «الرحمن»: من الله أرْجُو أمنَ قَلْبِ تَوجّلا فبالأمن يَا رَحمنُ لا تُبْقِ موجّلا في غير أن هذه القصيدة ليس فيها انسجام ولا بلاغة ؛ فلذلك تركت نقلها . والقصيدة العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي السَّجلماسي (٢) كَالله ، وقد

⁽۱) الدمياطي الإمام العلامة الحافظ الحجة الفقيه النَّسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التُّوني الشافعي، ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة، وتفقه، وبرع وطلب الحديث، فرحل وجمع فأوعى، وتخرّج بالمنذري وألّف، قال المزني: ما رأيت في الحديث أحفظ منه، وكان واسع الفقه رأساً في النَّسب، جيّد العربية، غزير اللغة، مات فجأة سنة خمس وسبعمائة. الظر: "حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للحافظ جلال الدين السيوطي (١٩٨/١، ط. دار الفكر).

وظفرتُ بالقصيدة مطبوعة مع شرح لها باللغة التركية سنة ١٢٥٨ه، واسمه «فرائلا اللآلي في بيان أسماء المتعالي» لإبراهيم نور الدين القادري ابن محمد صالح القسطموني، وفي أوله (ص٣): «لله در الناظم، وهو الشيخ الولي الصالح، والمولى الناصح نور الدين الشهير بدمياطي» وقرّظه جمع _ كما في أوله _ ونسبه واحد منهم _ وهو محمد عارف الحلمي _ إلى محمد نور الدين الدمياطي، فالظاهر أنه غير الذي ترجمناه، والله أعلم.

⁽٢) هو العالم العلامة المحقق المشارك والصَّالح الناصح أحمد بن عبد العزيز الهلالي نزيل مدغرة سجلماسَّة ودفينها كان _ كَلَّلَهُ _ إماماً في تحصيل العلوم وتحقيقها من نحو وبيان ومنطق ولغة وفقه وحديث وتفسير وهندسة وأدب وتاريخ ونسب. قرأ بسجلماسَّة على العلامة أحمد الحبيب وبفاس على الشيخ أحمد بن مُبارك وأبي عبد الله ابن الرخا وأبي عبد الله الجندوز، وكان يحضر مجلس الشيخ السَّرغيني في التفسيز، وكان كَلَّهُ كثير العبادة مقتصراً على ما يعني، فلا تراه إلا مُطالعاً أو مدرساً أو ذاكراً، وغالب أحواله المطالعة أو التقييد، ولا نظير له في علماء زمانه زهداً وورعاً وديناً ومروءةً ومحبة في أهل البيت والصالحين، والعلماء وطلبة العلم والضعفاء والمساكين، حريصاً على نوائب =



عزمت على نقلها؛ تسهيلاً لحفظ أسماء الله الحسني، وهذا نصها:

"إِذَا نَابَنِي خَطْبٌ وَضَاقَ بِهِ صَدْدِي وَلَا سِيَّمَا إِنْ جِئْتُهُ مُتَوسًلاً فَيَلَّلهُ أَلَى لَذُو فَقْرٍ فَيَلَّلهُ أَلَى لَذُو فَقْرٍ فَيَلَّلهُ أَلَى لَذُو فَقْرٍ بِيقُدْسِكَ قُدُوسٌ سَلَامٌ وَمُؤْمِنٌ بِيقُدْسِكَ قُدُوسٌ سَلَامٌ وَمُؤْمِنٌ عَنزِينٌ وَجَبَّارٌ وَيَا مُتَكَبِّرٌ وَيَا مُتَكبِّرٌ وَيَا مُتَكبِّرٌ وَيَا مُتَكبِّرٌ وَيَا مَلكِمٍ وَلَكُ مُصَوِّرٌ وَيَا بَالِي سِواكَ مُصَوِّرٌ وَيَا يَا وَهَابُ رَزَّاقُ مَطْلَبِي وَيَا قَابِضٌ يَا بَاسِطٌ خَافِضُ العِدَا وَيَا قَابِضٌ يَا بَاسِطٌ خَافِضُ العِدَا مُعِيرٌ مُذِلٌّ يَا سَمِيعُ بَصِيرُ جُدْ مُعْذِلٌ يَا سَمِيعُ بَصِيرُ جُدْ

تَلاَفَاهُ لُطْفُ اللّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى المُعَظَّمَةِ القَدْرِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى المُعَظَّمَةِ القَدْرِ وَأَنْتَ رَحِيمٌ مَالِكُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ مُهَيْمِنُ قَدْ سَنَى لَدَى السِّرِ والجَهْرِ وَيَا خَالِقُ الخَلْقِ اكْفِنِي أَزْمَةَ الدَّهْرِ وَيَا خَالِقُ الخَلْقِ اكْفِنِي أَزْمَةَ الدَّهْرِ وَغَفَّارُ يَا قَهَارُ جَبْراً لِنِي كَسْرِ وَغَفَّارُ يَا قَهَارُ جَبْراً لِنِي كَسْرِ وَفَعَ ارْفَعُ بِاتِّبَاعِ الهُدَى فِكْرِي وَنَا رَافِعُ ارْفَعْ بِاتِّبَاعِ الهُدَى فِكْرِي وَيَا رَافِعُ ارْفَعْ بِاتِّبَاعِ الهُدَى فِكْرِي عَلَى مَا تَرَى مِنْ فَادِحِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ عَلَى مَا تَرَى مِنْ فَادِحِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ عِلَى السَّتْرِ عِلْيَا السَّتْرِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ عِلْيَ السَّتْرِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ عِلْيَا السَّتْرِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ المَالِي السَّتْرِ العَيْبِ بِالسِّتْرِ عِلْيَا السَّتْرِ الْعَيْبِ بِالسِّتْرِ الْعَيْبِ إِلْهِ السَّمْ الْعَيْبِ إِلْسَلْمُ الْمَالِي السَّنْ الْمُعْمِي الْمُلْمِ الْمُعْمِي الْمُلْمِ الْمَالِيْتِ الْمِيْبِ إِلْمُ الْمُولِي الْمُلْمِ الْمُعْمِ الْمُلْمِ الْمَالِي السِّلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُ الْمُعْمِي الْمُعْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُعْمِي الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمَالِمُ الْمُلْمِ الْمُعْمِي الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمِلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمِلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمِ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمُ الْمُلْمِ الْمُلْم

الخير وإهمال الفتن، وبعداً عن الرِّياسة والجاه والفضول، وقد رحل كَلَّلَهُ إلى الحجاز بقصد الحجِّ مرَّين وإلى مصر ولقي مشايخ مصر والحرمين، وقد ألف كَلَّلَهُ كتباً عديدة ومقيدات مفيدة، منها: «شرح خطبة القاموس»، و«المراهم في الدراهم» وشرحه لمنظومة عبد السلام بن الطيِّب القادري الحسني في المنطق سماه «الزواهر الأفقية على الجواهر المنطقية»، وشرح في «شرح مختصر خليل» فلم يكمله لوفاته، و«شرح الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي» لعبد السلام القادري، و«الياقوتة الفريدة في نظم لُبٌ واجب العقيدة»، وشرح على «إضاءة الأدموس في معرفة اصطلاح القاموس».

توفي كَالله بسجلماسة وَكُوْنَ بها يوم الثلاثاء واحد وعشرين من ربيع الأول عام خمسة وسبعين _ بموحدة _ ومائة وألف، وأفرده بترجمة مستقلة الفقيه رشيد المصلواتي الروداني، واسمها: «إتحاف المعاصر والتالي بجمع ترجمة الشيخ الهلالي» عام (١٤٨٢هـ ١٩٨٢م).

انظر ترجمته في: «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» (١٤٣/٤ ـ ١٥٢)، و«أتحاف المُطالع بوفيات و«شجرة النور» (٣٥٥)، و«معلمة الفقه المالكي» (١٠٨)، و«إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع» (١/٥٥).

(۱) لا يدخل في السَّعة حرف النداء على ما فيه (أل) إلا في صور، منها: اسم الجلالة، تقول: يا الله، بإثبات الألفين، و"يلَّله" بحذفهما، و"يالله" بحذف الثانية فقط. والأكثر أن يحذف حرف النداء، وتُعوَّض عنه الميم المشدَّدة، فتقول: "اللَّهمَّ"، وقد تُجمعُ بينهما في الضرورة النادرة، تقول أبي خِراش الهُذَلي.

إنَّ إذا مساحَ لَ أَلَ مَا تَ وَعَوْتُ يا اللَّهِمَ يا اللَّهُمَا أَفاده الأستاذ عبد الغني الدقر في كتابه «معجم القواعد العربية في النحو والصرف»، (ص٥١٦)، ط. الثانية).



لَنَا وَزَرٌ إِلَّاكَ فِي الضِّيقِ وَالعُسْرِ يَخِيبَ امْرُقُ يَرْجُوكَ لِللحِلْمِ وَالغَفْرِ لَنَا حِفْظَكَ الأَحْمَى لَدَى الحَادِّثِ الوَعْر سِوَاكَ نُرَجِّيهِ لخَلَّةِ ذِي فَفْس وَدُودُ دَعَا دَاعِ لِفَضْلِكَ مُضْطَرّ لَذِي نَرْتَجِي يَا حَقُّ مِنْ جُودِكَ الغَمْرِ وَلِيًّا لَعَبْدٍ مِنْ خَطَايَاهُ في أَسْرِ يَزَلْ مِنْكَ جُودٌ يَنْتَحِينَا بِلَا حَصْرِ وَيَا مَاجِدٌ لَا تُولِنِي الخِزْيَ في النَّشْر تَضِيقُ بِنَا يَا قَادِرٌ فُسْحَةُ العُمْر مُؤَخِّرُ أُخِّرْ كُلَّ مَنْ يَبْتَغِي ضَرِّي طِنٌ وال اجذِبْنِي إلى حَضْرَةِ الطُّهْر وَمُنْتَقِمٌ خُلْ بَيْنَنَا وَذَوِي الشَّرِّ جَلَالِ وَالاِكْرَامِ اعْفُ عَنْ كُلِّ مَا وِزْرِ غِنَى القَلْبِ يَا مُغْنِي لِنَّغْنَى عَنِ الوَفْرِ بنُورِكَ يَا نُورٌ وَهَادٍ إِلَى اليُسْرِ صَبُورُ أَتِحْ لِي الرُّشْدَ لِلشُّكْرِ وَالصَّبْرِ رِضَاكَ وَلُطْفاً في الحَيَاةِ وَفِي القَبْرِ تُحَاسِبُ فِيهِ الخَلْقَ يَا وَاسِعَ البرِّ كَذَلِكَ في حَالِ المُرُورِ عَلَى الجِسْرِ بِفَصْلِكَ في الدَّارَينِ يَا وَاسِعَ البِرِّ مُحَمَّدِ المَحْمُودِ في مَوْقِفِ الحَشْرِ بَلَا مُنْتَهَى وَالآلِ مَعْ صَحْبِهِ الغُرِّ وَأَحْبَابِهِ وَاسْتُرْهُمُ ذَائِمَ السِّتْرِ وَلِلَّهِ رَبِّي دَائِمُ الحَمْدِ وَالشُّكْرِ»

وَيَا حَكَمٌ عَدْلٌ لَطِيفُ خَبِيرُ مَا حَلِيمٌ عَظِيمٌ يَا غَفُورُ شَكُورُ لَنْ عَلِيٌّ كَبِيرٌ يَا حَفِيظُ مُقِيتُ هَبْ حَسِيبٌ جَلِيلٌ يَا كَرِيمُ رَقِيبُ مَنْ مُجِيبٌ أَجِبْ يَا وَاسِعٌ يَا حَكِيمُ يَا مُجِيدٌ فَجُدْ يَا بَاعِثٌ يَا شَهِيدُ بِالْ وَكِيلٌ قَوِيٌّ يَا مَتِينُ وَلِيٌّ كُنْ حَمِيدٌ وَمُحْصِي مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ لَمْ وَمُحْيِي مُمِيتٌ حَيُّ قَيُّومُ وَاجِدٌ وَيَا أَحَدٌ نَرْجُوكَ يَا صَمَدٌ إِذَا وَمُ قَتَدِر ارْفَعْ يَا مُقَدِّمُ رُتْبَتِي وَيَا أُوَّلُ يَا آخِرٌ ظَاهِرٌ وَبَا وَيَا مُتَعَال بَرُّ تَوَّابُ جُدْ وَثبْ عَفُوٌّ رَؤُوفٌ مَالِكُ المُلْكِ أَنْتَ ذُو الْـ وَمُقْسِطُ جَامِعٌ غَنِيٌّ فَأَغْنِنَا وَيَا مَانِعٌ يَا ضَرُّ يَا نَافِعُ اهْدِنَا بَدِيعٌ وَبَاقٍ وَارِثٌ يَا رَشِيدُ يَا بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى دَعَوْنَاكَ نَبْتَغِي وَفِي النَّشْرِ ثُمَّ الحَشْرِ وَالمَوْقِفِ الَّذِي وَفِي حَالِ أَخْذِ الصَّحْفِ وَالوَزْنِ بَعْدَهَا وَعَافِيَة دينا وَدُنْيَا وَرَحْمَةً وَختماً بِحُسْنَى مَعْ جِوَارِ نَبِيِّنَا عَلَيهِ صَلَاةُ اللهِ ثُمَّ سَلَامُهُ وَلِلنَّاظِمِ اغْفِرْ يَا إِلَّهِي وَأَهْلِهِ وقارئها والمسلمين جميعهم







جيوش الشعر

قال محمد تقى الدين: بدأت هذا القسم «بالجيوش الإسلامية» للإمام الحافظ ابن القيم هي نثر وأختمه بجيوش الشعر لأئمة مختلفين في أوطانهم وأزمانهم متفقين على العقيدة الحنيفية.

وأنقل هذه القصائد من «المجموعة المفيدة»، التي جمعها العالم السلفي الشاعر الأديب على بن سليمان القصيمي المتوفى بالدورة في جنوب العراق في نحو سنة ١٣٤١، ولما وصلت أنا إلى الدورة في نحو سنة ١٣٤٣ وهبني ابنه الشيخ حسين بن علي وسائر الورثة خزانة كتب والدهم، ولا يزال عندي أكثرها وبعضها تلف بكثرة التنقل الذي أنا مبتلى به طول عمري ـ منذ الصبا إلى أقصى الشيخوخة _، فرحم الله الشيخ عليًّا رحمة واسعة وبارك في أبنائه وأحفاده، وجزى الله من طبع هذه «المجموعة» ومن بعثها إليَّ، وهو الصديق الصادق الشيخ عبد الله الغنيمان، بارك الله في حياته.

القصيدة الأولى

أثبتها مختصرة؛ لأنى رأيت أن أحذف منها ما يتعلق بفروع المالكية، وهي للإمام عبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي:

اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الهُدَى وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي، وَأَخْلِصْ نِيَّتِي يَـسِّرْ بِـهِ أَمْـرِي وَأَقْـض مَـآرِبـي وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي، وَحَقِّقْ تَوْبَتِي

يَا مُنْوِلَ الآيَاتِ وَالفُرْقَانِ بَيْنِي وَبَيْنِكَ حُرْمَةُ القُرْآنِ وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَصْلِحْ شَانِي (١) وَأُجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ أَرْبِحْ (٢) بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانِ

⁽١) هنا يوجد تقديم وتأخير ففي مطبوع «كفاية الإنسان من القصائد الغرر الحسان» تقديم البيت الآتي على هذا البيت. ً

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «وأربح».

طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي، وَصَفِّ سَرِيرَتِي أَجْهِ وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي، وَشَرِّفْ هِمَّتِي كَثِّ أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي، وَأَظْمِ جَوَارِحِي أَسْبِ أَمْزُجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دُمِي " وَأَغْ أَمْزُجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دُمِي " وَأَغْ أَمْنُجُهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دُمِي " وَأَغْ أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي، وَخَلَقْتَنِي وَهَا أَنْتَ الَّذِي عَلَمْتَنِي، وَرَحِمْتَنِي وَهَا أَنْتَ الَّذِي عَلَمْتَنِي، وَرَحِمْتَنِي وَجَارُتَنِي وَجَارُتَنِي وَجَارُتَنِي وَجَارُتَنِي وَمَا أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي، وَسَقَيْتَنِي وَجَارُتَنِي وَجَارُتَنِي وَحَارُقَنِي وَجَارُتَنِي وَجَارُتَنِي وَحَبَرْتَنِي وَحَارَبَنِي وَحَبَرُتَنِي وَجَارُتَنِي وَعَامَ أَنْتَ اللّذِي آوَيْتَنِي، وَسَقَيْتَنِي وَحَارَبَنِي وَحَارَبَنَ مَا لَكِي بَيْنَ القُلُوبِ مَوَدَّةً وَعَهَ وَنَشِرْتَ لِي في العَالَمِينَ مَحَاسِناً وسَنَ وَجَعَلْتَ ذِكْرِي في العَالَمِينَ مَحَاسِناً وسَنَ وَحَعَي في البَرِيَّةِ شَائِعاً حَتَّ وَمَعَ وَمَضَى في الدَعاء إلى أن قال في القرآن: ومضى في الدَعاء إلى أن قال في القرآن: ومضى في الدَعاء إلى أن قال في القرآن:

أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي، وَأَعْلِ مِّكَانِي كَثُونِي كَثُونِي وَأَحْيِ جَنَانِي كَثُونِي وَأَحْيِ جَنَانِي أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي وَآغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَصْغَانِ وَهَدَيْ تَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ وَهَدَيْ تَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ القُّرْآنِ وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ القُّرْآنِ وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ القُّرْآنِ وَعَمَنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدِ وَلا دُكُانِ وَوَعَمَرْتَنِي بِالفَصْلِ وَالإِحْسَانِ وَعَمَرْتَنِي بِالفَصْلِ وَالإِحْسَانِ وَعَمَرُةِ البِحِدُدُلانِ وَعَمَرُةً البِحِدُدُلانِ وَعَمَلُ مِنْ جِهْرَةِ البِحِدُدُلانِ وَعَمَلُ مِنْ جَهْرَةِ البِحِدُدُلانِ وَعَمَلُ مَا الْمُعَلِيقِي مِنْ جِهْرَةِ البِحِدُدُلانِ وَعَمَلُونَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْمَانِي وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْمَانِي وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْمَانِي حَمِيْتَهُمُ مُ إِخْوَانِي وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عَصْمَانِي حَمِيْتَهُمُ مُ إِخْوَانِي حَمَّيْتُهُمْ إِخْوَانِي حَمَلَتَ جَمِيْتَهُمُ مُ إِخْوَانِي وَالْعَلَى تَعَالِي اللَّهُ عَلَيْ تَعِمِيْتُهُمُ مُ إِخْوَانِي حَمَلَتَ جَمِيْتُهُمْ أَوْحَانِي مِنْ جَعَلْتَ جَمِيْتُهُمْ أَوْحَانِي وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عَصْمَانِي خَمِيْتُهُمْ أَوْحَانِي وَالْمَانِي عَنْ أَبْصَارِهِمْ عَصْمَانِي عَلَيْتَ جَمِيْتُهُمْ أَوْحَانِي الْمَانِي وَالْمَانِي عَلَيْتَ جَمِيْتُهُمْ أَوْمُ الْمَانِي الْمَانِي الْمُعَلِي عَلَيْتَ جَمِيْتُهُمْ أَوْمِ الْمِي الْمُعْمَانِي وَالْمِيْسِلِي الْمُعْلَى الْمُعَمَّلِي وَالْمَانِي الْمُعْلِي الْمُعْمَلِي وَالْمِيْسِلِي الْمُعْلِي وَالْمِعْمُ الْمُعْلِي الْمُعْلِي وَالْمِيْسِلِي الْمُعْلِي وَالْمُعِلَى الْمُعْلِي وَالْمُعْلِي وَالْمُعْلِي وَالْمِيْسِي وَالْمُعْلِي وَالْمِي الْمُعْلِي وَالْمِي الْمُعْلِي وَالْمِي وَالْمِي وَالْمَانِي وَالْمُعْلِي وَالْمِي وَالْمَانِي وَالْمَانِي وَالْمِيْعِي وَالْمِي وَالْمِي وَالْمَانِي وَالْمَعْمِي وَالْمِيْعِيْمُ الْمُعْمِلِي وَالْمِي وَالْمِيْعِيْمِي وَالْمَعْمِي وَالْمَانِهُ وَالْمُلِي وَالْمِي وَالْمِي وَالْمُعْلِي وَالْمَانِي وَالْمِيْعِي وَالْمُعُلِي وَالْمَانِي وَالْمَانِي وَالْمِي وَالْمَالِي وَالْمُعْمِي وَالْمِيْ

وَلَأَحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي وَوَصَفْتَهُ بِالوَعْظِ وَالتِبْيَانِ وَوَصَفْتَهُ بِالوَعْظِ وَالتِبْيَانِ تَكْيِيفَهَا يَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الخَلْقِ في أَزْمَانِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الخَلْقِ في أَزْمَانِ حَقًا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ مُوسَى، فَأَسْمَعُ مُ فِي اللَّكِتْمَانِ مُوسَى، فَأَسْمَعُ صُوْتَهُ التَّقَلَانِ جَهْراً، فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ التَّقَلَانِ قَوْلُ الإلَه المَالِكِ التَّيَّانِ قَوْلُ الإلَه المَالِكِ التَّيَّانِ صِدْقاً بِلَا كَذِب وَلَا بُهْتَانِ صِدْقاً بِلَا كَذِب وَلَا بُهْتَانِ الْأَلْفَ مَنْ فَهُ بِعَيَانِ الْأَلْدُ مَنْ فَهُ أَلِي عَلَى الْفَارُ مَكَانِ أَبَدًا، وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ أَبَداً، وَلَا يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «والعطف».

مِنْ غَيْر إِغْفَالٍ وَلَا نِسْيَانِ (١) وَحَوَى جَمِيعَ المُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَحْياً عَلَى المَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ مَا لَاحَ في فَلَكَيْهِمَا القَمَرَانِ لَا تَعْتَريهِ نَوَائِبُ الحَدَثَانِ بشهادة الأحبار والرهبان أَحَدٌ، وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّفْصَانِ وَيَرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالهَذَيَانِ فَإِذَا رَأَى النَّظْمَينِ يَشْتَبِهَانِ رَبَّ البَريَّة، وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِراً بنهَ وَانِ سَمَّاهُ في نَصِّ الكِتَابِ مَثَانِي وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ في رَمَضَانِ وَتَسلَاهُ تَسْزِيلاً بِسلَا أَلْحَسانِ بفصاحة وبكاغة وبيان وَصِرَاطُهُ الهَادِي إِلَى الرِّضُوَانِ فَبِهِ يَصُولُ العَالِمُ الرَّبَّانِي رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ بِتَمَام أَلْفَاظٍ وَحُسْنِ مَعَانِ وَنَهَى عَنِ الآثَام وَالعِصيانِ فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْتَانِ فَغَدَا يُحَرَّعُ مِنْ حَمِيم آنِ

وَهُوَ المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ مَلِكاً عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى وَكَلَامُهُ السَّفُ إِنَّانُ أُنْسِزِلَ آيَسةً صلَّى عَلَيهِ اللَّهُ خَيْرَ صَلَاتِهِ هُوَ جَاءَ بِالقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ وَوَحْيُهُ وَكَلَامُ رَبِّي لَا يَجِيءُ بِمِثْلِهِ وَهُوَ المَصُونُ مِنَ الأَبَاطِل كُلِّهَا مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِي نَظْمَهُ فَلْيَاْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ فَلْيَنْفَردْ بِاسْمِ الأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ أَوْ فَلْيُهِرَّ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُ مَنْ لَا رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ اللَّهُ فَبِصَّلَهُ، وَأَحْكَمَ آيَهُ هُو قَوْلُهُ، وَكَلَامُهُ وَخِطَابُهُ هُوَ حُكْمُهُ، هُوَ عِلْمُهُ، هُوَ نُورُهُ جَمَعَ العُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا قِصَصاً عَلَى خَيرِ البَريَّةِ قَصَّهُ كَلِمَاتُهُ مَنْظُومَةٌ وَحُرُوفُهُ وَأَبَانَ فِيهِ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ قَوْلِهِ مَنْ قَالَ فِيهِ: عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ

⁽١) بعده في مطبوع «كفاية الإنسان»، بيت ساقط من الأصل، وهو:

[«]مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتَهُ؟! وَهُوَ القَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ»

مَنْ قَالَ: إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوفَةٌ لَا تَلْقَ مُبْتَدِعاً وَلَا مُتَزَنْدِقاً وَالوَقْفُ فِي القُرْآنِ خُبْثُ بَاطِلٌ وَالوَقْفُ فِي القُرْآنِ خُبْثُ بَاطِلٌ قُلُ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ إِلَهِنَا أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ وَتَجَنَّبِ اللَّقْظَيْنِ، إِنَّ كِلَيْهِمَا وَتَجَنَّبِ اللَّقْظَيْنِ، إِنَّ كِلَيْهِمَا يَا أَيُّهَا السُّنِّيُ، خُذْ بِوصِيَّتِي يَا أَيُّهَا السُّنِّيُ، خُذْ بِوصِيَّتِي وَاقْبَلْ وَصِيَّتِي وَاقْبَلْ وَصِيَّتِي مَنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوسِطاً كَنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوسِطاً وَاعْلَمَهُ مِنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوسِطاً وَاعْلَمُهُ مِنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوسِطاً وَاعْلَمُهُ مِنْ فِي اللَّوقِ اللَّهُ اللَّهُ وَجَلَالَةُ وَكَلِيهِ وَكَلَيْمِ بِهَا اللَّوقُ لَلَهُ وَجَلَالَةً وَكَلَامُهُ مِنْ إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَلَامُهُ مِنْ إِلَى أَنْ قَالَ:

وَاللّهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا وَالأَشْعَرِيُ (١) يَقُولُ: يَأْتِي أَمْرُهُ وَعَلَيْهِ عَرْضُ الخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ وَاللّهُ يَوْمَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَى واللّه يُومَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَى

قُلْ لِلطَّبِيبِ الفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدْتَ عَلِيقَةً أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً

فَالْعَنْهُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ الْعَبْسَانِ الْعَبْسَةِ مَالِكِ الْعَضْبَانِ وَحِدَاعُ كُلِّ مُنذَبْنَتٍ حَيْرَانِ وَاعْجَلْ، وَلَا تَكُ في الإجابَةِ وَانِي وَالْعَبَلْ، وَلَا تَكُ في الإجابَةِ وَانِي وَالْقَائِلُونَ بِحَلْقِهِ شَكْلَانِ وَالْقَائِلُونَ بِحَلْقِهِ شَكْلَانِ وَالْقَائِلُونَ بِحَلْقِهِ شَكْلَانِ وَالْقَائِلُونَ بِحَلْقِهِ مَنْ ذَنا سِيّانِ وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإخْوَانِ وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ عَدْلاً بِلَا نَقْصِ وَلَا رُجْحَانَ مَا لِنَا اللَّهُ فَيْ عَنْ ثَالِبٍ أَوْ ثَانِ وَالْآخِرُ المُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِي وَلَا مُنْ أَمْدِ وَلَا حَدَثَانِ

مَع أَنَّهُ في كُسَلِّ وَقُسِتٍ دَانِ يَأْتِي بِغَيسِ تَسَنَقُّ لِ وَتَسَدَانِ لِلْحُكْمِ كَي يَتَنَاصَفَ الخَصْمَانِ قَمَراً بَدَا لِلسِّنَّ بَعْدَ ثَمَانِ

إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِي في البَطْنِ إِذْ (٢) مَشَجَتْ بِهِ المَاآنِ في أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ ثَوَانِ في أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى العَدَدَانِ

⁽١) قال محمد تقي الدين: المراد بالأشعري هنا من ينتسب زوراً وبهتاناً إلى أبي الحسن الأشعري كَالله من المتأخرين. (منه).

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «إذا».

أَتَرَى الطَّبِيعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّراً أَتَرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّساً أَمْ فَجَرَتْ لَكَ مِنْ لِبَانِ^(۱) ثُدِيِّهَا أَمْ صَيَّرَتْ في وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الهُدَى ومضى إلى أن قال:

لَا تَلْتَمِسْ عِلْمَ الكَلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَصْحَبُ البِدْعِيُّ إلَّا مِثْلَهُ فَا يَعْلَمُ الكَلَامِ، وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ فَا خُذُوا الكَلَامَ عَنِ الفَلَاسِفَةِ الألَى (٢) فَحَمُلُوا الأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ فَمُرْجِيُّهُمْ (٣) يَزْدِي عَلَى قَدَرِيِّهِمْ فَمُرْجِيُّهُمْ (٣) يَزْدِي عَلَى قَدَرِيِّهِمْ فَا وُمِصَى في ذم المتكلمين إلى أن قال: ومضى في ذم المتكلمين إلى أن قال:

دَعْ أَشْعَرِيَّهُمْ وَمُعْتَزِليَّهُمْ كُلُّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الهُدَى فَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ ومضى إلى أن قال:

أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ هُو مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ لِللَّهِ وَجُهٌ لَا يُحَدُّ بِصُورَةٍ لِللَّه يَكَانِ كَمَا يَقُولُ إِللْهُنَا وَلَهُ يَكَانِ كَمَا يَقُولُ إِللْهُنَا كِلْتَا يَكَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمْوَاتِ العُلَى كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمْوَاتِ العُلَى

بِسمَسسامِع وَنَسوَاظِرٍ وَبَسنَانِ مِسنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ فَرضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الحَوْلَانِ فَرضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الحَوْلَانِ فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ فِهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ بِالمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَاليُونَانِي

يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالهَيَمَانِ تَحْتَ الدُّحَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ يَتَعَايَرَانِ، وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ جَحَدُوا الشَّرَائِعَ، غِرَّةً وَأَمَانِي فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ البِحَيْرَانِ وَالفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ

يَسَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ البغِرْبَانِ وَيَتِيهُ تَيْهَ الوَالِهِ الهَيْمَانِ وَلَهُ الثَّنَا، عَنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي

مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ وَلَا هَلَيَانِ وَكِلَاهُمَا فِي شَرْعِنَا عَلَمَانِ وَلِسرَبِّنَا عَيْنَانِ نَساظِرَتَانِ وَيَعِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الأَيْمَانِ فَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ وَالأَرْضَ وَهُو يَعُمَّهُ القَدَمَانِ

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «باللَّبَانِ». (٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «الأولى».

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مرجيئهم يُذْرى».



وَاللّهُ يَضْجَكُ لَا كَضَحْكِ عَبِيدِهِ وَاللّهُ يَنْوَلُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأْجِيبُهُ حَاشَا الإِلَهَ بِأَنْ تُكَيَّفُ ذَاتُهُ وَالأَصْلُ أَنَّ اللّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ وَحَدِيثُهُ القُرْآنُ وَهْوَ كَلَامُهُ لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ

إِنِّ الَّذِي هُو فَا نُصِتُوا لِمَقَالَتِي النَّا الَّذِي هُو في المَصَاحِفُ مُثْبَتٌ هُو قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وحُرُوفُهُ هُو قَالُ في القُرْآنِ ضَدَّ مَقَالَتِي مَنْ قَالَ في القُرْآنِ ضَدَّ مَقَالَتِي هُو في المَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً هُو في المَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً ومضى إلى أن قال:

تَعِسَ العَمِيُّ أَبُو العَلَاءِ فَإِنَّهُ وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَينِ بِهَجْوِهِ وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَينِ بِهَجْوِهِ وَالآنَ أَهْجُو الأَشْعُرِيَّ وَحِزْبَهُ يَا مَعْشَرَ المُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ (١) كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّريعَةِ وَالهُدَى كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّريعَةِ وَالهُدَى فَلَانْصُرنَّ الحَقَّ حَتَّى أَنَّنِي فَلَانْصُرنَّ الحَقَّ حَتَّى أَنَّنِي اللهُ مَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ اللهُ مَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ بِأَدِلَةِ القُرْآنِ أَبْطِلُ سِحْرَكُمْ

وَالكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمانِ لِسَمَائِهِ النُّنْيَا بِللا كِتْمَانِ فَأَنَا القَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي فَالكَيْفُ وَالتَّمْشِيلُ مُنْتَفِيانِ شَيْءٌ، تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْشَ يَفْتَرِقَانِ رَبُّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَحْتَانِ فَانِ

يَا مَعْشَرَ الخُلَطَاءِ وَالإِخْوَانِ بِأْنَامِلِ الأَشْيَاخِ وَالشُبَّانِ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُ مَحْلُوقَانِ فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ أَيْقِنْ بِذَلِكَ أَيَّمَا إِسقَانِ

قَدْ كَانَ مَجْمُوعاً لَهُ الْعَمَيَانِ أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيلَةٍ مِئَتَانِ وَأُذِيعُ مَا كَتَمَوا مِنَ الْبُهْتَانِ عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ وَالحِيتَانِ وَطَعَنْتُمُ بِالبَغْيِ وَالْعُدُوانِ أَسْطُو عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي حَتَّى تَلَقَّفَ إِفْكُكُمْ ثُعْبَانِي وَبِهِ أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لَاقَانِي

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «غَدوْتُمُ».

هُوَ مَلْجَئِي (۱) هُوَ مدْرَئِي هُوَ مَنْجَيي (۲) فَوَ مَنْجَيي (۲) إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ وَاللَّهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُودُ الشَّجَا أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِكُمْ عُودُ الشَّجَا أَنَا حَيَّةُ الوَادِي، أَنَا (۳) أَسَدُ الشَّرَى ومضى إلى أن قال يخاطبهم:

آثَـرْتُـمْ الـدُّنْـيَا عَـلَـى أَدْيَـانِـكُـمْ وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ يَتَكَالَبَانِ عَلَى الحَرَامِ وَأَهْلِهِ يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي أَنَا فِي كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قُرْحَةٌ وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوخِكُمْ وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَاجِهِمْ وَنَثَرْتُهَا (٥) وَاللُّهُ أَيَّدَنِي وَثَبَّتَ حُجَّتِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ المُهَيْمِنِ دَائِماً أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ بِالسُّهَا عُمْري لَقَدْ فَتَشْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدْتُكُمْ أَزَعَهُ مُ أَنَّ القُرَانَ عِبَارَةٌ

(١) في الأصل: «ملتجأي»!!

مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَوَّانِ أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْراً بِلَا عُمْرَانِ وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي أَعْيَا أَطبَّتَكُمْ عُمُوضُ مَكَانِي أَنَا مُرْهَفٌ مَاضِي الغِرَارِ يَمَانِي

لَا خَيْرَ في دُنْيَا بِلَا أَدْيَانِ فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيرِ تَوَانِ وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى الأَدْيَان فِئَتَانِ لِلرَّحْمٰن عَاصِيَتَانِ فَعْلَ الكِلَابِ بجِيفَةِ اللُّحْمَانِ رَمَدُ العُيُونِ وَحِكَّةُ الأَجْفَانِ أَرْبُو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي فَصَرَعْتُ (٤) مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي فَوَجَدْتُها قَوْلاً بِلَا بُرْهَانِ وَاللَّهُ مِنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَانِي حَمْداً يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنَانِي أَمْ هَلْ يُقَاسُ البَحْرُ بِالخُلْجَانِ حُـمُ راً بِلَا عُنُن وَلَا أَرْسَانِ وَكَسَرْتُكُمْ كَسْراً بِلَا جَبْرَانِ فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَان

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «منجني».

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «كذا».(٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فصرفتُ».

⁽٥) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وهو الصحيح، وفي الأصل: «ونشرتها»!



إِسمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِسمَانُ الَّذِي هَذَا (١) الجُويْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ مَنْ عَاشَ في الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا أَفْمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمْوَاتِ العُلَى ومضى إلى أن قال:

أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُم أَذْهَبْتُمُ نُورَ القُرْانِ وَحُسْنَهُ ومضى إلى أن قال:

يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَه الوَرَى إِنِّي لَأَبْغِضُ حِزْبَكُمْ إِنِّي لَأَبْغِضُ حِزْبَكُمْ لَوْ كُنْتُ أَعْمَى المُقْلَتَينِ لَسَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَعْمَى المُقْلَتَينِ لَسَرَّنِي ومضى إلى أن قال:

أَنَا تَمْرَةُ (٤) إلاَّحْبَابِ حَنْظَلَةُ العِدَى وَأَنَا المُحِبُّ لِأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَمَضى إلى أن قال:

يَا أَشْعَرِيَّةُ، يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَى جَاءَتْ كُمُ سُنِّيَّةً مَا أُمُونَةً وَالَ: ومضى إلى أن قال:

هِنَي لِلرَّوَافِضُ (٦) دِرَّةٌ عُمَريَّةٌ

رَكِبَ المَعَاصِي عِنْدَكُمْ سِيَّانِ أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الهُدَى أَصْلَانِ وَأَقَسَرَّ بِالإِسْلَامِ وَالنَّهُرْقَانِ أَمْ عَاقِلٌ، أَمْ جَاهِلٌ، أَمْ وَانِي وَالعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمٰنِ

طُوفَانُ بَحْرٍ، أَيَّهَا طُوفَان!؟ أَنَا سَمُّكُمْ في السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِيهِ لَهْ فَانِ

يَا عُـمْ يُ يَا صُـمٌ بِـلَا آذَانِ بُعْضاً أَقلُ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي (٣) كَيْلَا يَرَى إِنْسَانِي كَيْلَا يَرَى إِنْسَانِي

أَنَا غَصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي فَأَنَا (٥) الأَدِيبُ الشَّاعِرُ القَحْطَانِي

بِدَعاً وَأَهْواءً بِلَا بُرْهَانِ مُعَانِ مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مُعَانِ

تَـرَكَـتْ رُؤُسَـهُـمْ بِـلًا آذَانِ

⁽١) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»؛ وهو الصحيح معنىً ووزناً، وفي الأصل: «أهذا»!.

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «لأُبغضنكم».

⁽٣) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وفي الأصل: «أضناني»!.

⁽٤) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان»، وفي الأصل: «ثمرة»!

⁽٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «وأنا». (٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «للجهالة».

هِيَ لِلمُنجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ هِيَ لِلمُنجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ هِيَ في رُؤُوسِ المَارِقِينَ شَقِيقَةٌ هِيَ في قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ لَكِنْ لِأَهْلِ الحَقِّ شَهْدٌ صَافِياً وَلَيَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا وَنَصَرْتُ أَهْلَ الحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي وَنَصَرْتُ أَهْلَ الحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي وَنَصَرْتُ أَهْلَ الحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الحَدَائِقِ تُجْتَنَى ومضى إلى أن قال في الختام:

وسلى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ بِاللَّهِ قُولُوا كُلَّمَا أَنْشَدْتُمُ

فَكِلَاهُ مَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ صَابٌ، وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ أَوْ تَمْرَ يَشْرِبَ ذَلِكَ الصَّيحَانِي مَنْظُومَةً كَقَلَائِدِ المُرْجَانِ وَصَفَعَانِ (٢) وَلَيْ مُخُالِفٍ صَفْعَانِ (٢) مُلَّ مُخُالِفٍ صَفْعَانِ (٢) سَمْعاً وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الجَانِي

مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى الأَغْصَانِ وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالإِخْوَانِ رَحِمَ الإِلْهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي^(٣)

قال محمد تقي الدين: قد علمت أيها القارئ فيما تقدم أن أبا الحسن الأشعري كَلْلَهُ كان على عقيدة السلف الصالح، وقد أنكر عليه بعض الأئمة المحققين مسألة واحدة أو مسألتين (٤)، والكمال لله، وقد صرح _ رحمة الله عليه _

⁽١) في الأصل: «وصفت»!

⁽٢) كذا في «كفاية الإنسان»، وفي الأصل الشعفان»!

⁽٣) انظر: «كفاية الإنسان» (٢٥ _ ٧٠، ط. دار ابن القيم).

⁽٤) الأمر ليس كذلك! نعم، تراجع أبو الحسن عن اعتزاليَّاته، وصرح برجوعه إلى مذهب الإمام أحمد في "الإبانة"، ولكن بقيت رواسب عنده، ولم ينقطع بعد توبته من الاعتزال للأثر والنظر في الأدلة النقلية، فاكتفى بنصرة المسائل المشهورة عند أهل السنّة، وخبرته بها مجملة بخلاف خبرته بعلم الكلام فهي مفصَّلة. والحق أن عنده شوباً من الحق ومذهب أهله، وشوباً من فساد الاعتقاد، وفصَّل ذلك ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (١٠٤/١٠)، ومما قال مؤصِّلاً، جامعاً بين الحق والعدل:

[«]والأشعري» ابتلى بطائفتين: طائفة تبغضه، وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه ويقول: إنما صنف هذه الكتب تقية، وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسنّة، من الحنبلية وغيرهم. وهذا كذب على الرجل، فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها، ولا نقل أحد من خواص أصحابه، ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته؛ فدعوى المدعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعاً وعقلاً؛ بل من تدبّر كلامه في هذا الباب _ في مواضع _ تبيّن له قطعاً أنه كان ينصر ما أظهره؛ ولكن =



أنه كان على عقيدة أحمد بن حنبل كَالله وكتبه ناطقة بما ذكرت؛ وهي: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» و«الإبانة عن أصول الديانة»، وقد قرأت هذين الكتابين، وكتابه «الموجز» ذكره ابن القيم في كتابه «الجيوش الإسلامية»، ولم أطّلع عليه، وكذلك قدماء أصحابه، أما أشعرية هذا الزمان، فهم الذين ينطبق عليهم ويصدق عليهم هجو القحطاني.

قال الشيخ على بن سليمان القصيمي الذي تقدم ذكره في تقريظ القصيدة القحطانية وأجاد:

يَا مَنْ يَرُومُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الجَزَا اسْمَعْ وَصِيَّةَ نَاصِحٍ يَهْدِي إِلَى قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ الشَّرِيعَةِ وَارْتَوَتْ

وَالفَوْزَ بِالْجَنَّاثِ وَالرِّضُوَانِ وَالنَّرِضُوانِ وَيَسْ الْإِلْدِ وَسُنَّةِ الْعَدْنَانِ مِنْهَا رِيَاضُ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ

الذين يحبونه ويخالفونه في إثبات الصفات الخبرية يقصدون نفي ذلك عنه، لئلا يقال: إنهم خالفوه، مع كون ما ذهبوا إليه من السنّة، قد اقتدوا فيه بحجّته التي على ذكرها يعولون، وعليها يعتمدون.

و«الفريق الآخر»: دفعوا عنه لكونهم رأوا المنتسبين إليه لا يظهرون إلا خلاف هذا القول، ولكونهم اتهموه بالتقية، وليس كذلك، بل هو انتصر للمسائل المشهورة عند أهل السنة، التي خالفهم فيها المعتزلة؛ كمسألة «الرؤية» و«الكلام» وإثبات «الصفات» ونحو ذلك؛ لكن كانت خبرته بالكلام خبرة مفصلة، وخبرته بالسنة خبرة مجملة؛ فلذلك وافق المعتزلة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة، واعتقد أنه يمكنه الجمع بين تلك الأصول، وبين الانتصار للسنة، كما فعل في مسألة الرؤية والكلام، والصفات الخبرية وغير ذلك.

والمخالفون له من أهل السنة والحديث، ومن المعتزلة والفلاسفة يقولون: إنه متناقض، وإن ما وافق فيه المعتزلة يتناقضون فيما نصروا فيه دين الإسلام، فإنهم بنوا كثيراً من الحجج على أصول تناقض كثيراً من دين الإسلام؛ بل جمهور المخالفين للأشعري من المثبتة والنفاة يقولون: إنما قاله في مسألة الرؤية، والكلام: معلوم الفساد بضرورة العقل.

ولهذا يقول أتباعه: إنه لم يوافقنا أحد من الطوائف على قولنا في «مسألة الرؤية، والكلام»؛ فلما كان في كلامه شوب من هذا وشوب من هذا: صار يقول من يقول إن فيه نوعاً من التجهم. وأما من قال: إن قوله قول جهم فقد قال الباطل. ومن قال: إنه ليس فيه شيء من قول جهم فقد قال الباطل، والله يحب الكلام بعلم وعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتنزيل الناس منازلهم». انتهى.

قال أبو عبيدة: وهذا هو التحقيق المنيف، والقول العدل الشريف، في هذه الشخصية التي كثر فيها الجدال، وزلت فيها أقدام، وضلت أفهام، والله الموفق لا ربّ سواه.



وَتَفَجَرَتْ مِنْهَا يَنَابِيعُ الهُدَى وَبَدَا لَنَا مِنْهَا صَبَاحٌ مُسْفِرٌ وَبَدَا لَنَا مِنْهَا صَبَاحٌ مُسْفِرٌ فَاتبِعْ مَسَالِكَهَا وَسِرْ في ضَوْئِهَا نَظَمَتُ لآلِئَهَا قَرِيحَةُ جِهْبِذٍ نَظَمَتُ لآلِئَهَا قَرِيحَةُ جِهْبِذٍ وَسَمَا عَلَى أَقْرَانِهِ بِفَخَارِهِ فَلَقَدْ حَمَيْتَ حِمَى الشَّرِيعَةِ بَعْدَمَا فَلَقَدْ حَمَيْتَ حِمَى الشَّرِيعَةِ بَعْدَمَا فَلَقَدْ حَمَيْتَ حِمَى الشَّرِيعَةِ بَعْدَمَا فَلَقَدْ حَمَيْتَ عِمَى الشَّرِيعَةِ بَعْدَمَا فَلَقَدْ حَرَصْتَ عَلَى الوَرَى وَهَدَيْتَهُمْ فَلَيَّدُ حَرَصْتَ عَلَى الوَرَى وَهَدَيْتَهُمْ فَلَحَدْتِ وَلَيْهِ فَكَرَائِهِ فَكَرَاكَ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ وَصَلَاةُ رَبِّى وَالسَّلَامُ مُضَاعَفٌ وَصَلَاةً رَبِّى وَالسَّلَامُ مُضَاعَفٌ وَصَلَاةً رَبِّى وَالسَّلَامُ مُضَاعَفٌ

فَجَلَتْ صَدَا التَّعْطِيلِ وَالبُهْتَانِ لَـ مَعْنِ نَهِ السَّيْطَانِ وَاحْذَرْ سُلُوكَ مَنَاهِجِ الشَّيْطَانِ وَاحْذَرْ سُلُوكَ مَنَاهِجِ الشَّيْطَانِ حَازَ الفَحَارَ بِحَلْبَةِ الفُرْسَانِ فَلَكَ العُلَى وَالفَحْرُ يَا قَحْطَانِي فَلَكَ العُلَى وَالفَحْرُ يَا قَحْطَانِي مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ الحَبِيثِ الجَانِي مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ الحَبِيثِ الجَانِي مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ الحَبِيثِ الجَانِي عَضْبٍ، صَقِيلِ الشَّفْرَتَينِ يَمَانِي وَالْحَرْقِينِ يَمَانِي وَالْحَرْقُ يُن يُمانِي وَالْحَرْفَانِ لِلسَّالَةِ وَالْحَرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ وَالْحِرْفَانِ لِلْمُحَمَّدُ وَالْآلِ كُلُولُ كُلُولُ وَلَالًا كُلُولُ وَالْمَانِ وَالْمُ لَا وَلَمَانِ وَالْمَانِ وَالْمُعْرِقِيْنِ الْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمُعْرِقِيْنِ الْمَانِ وَالْمَانِ وَلَالْمِ مُنْ وَلَالْمِ مُعْرِقِي مِنْ الْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمِلْمُ وَالْمِنْ وَالْمِلْمُ وَلَالْمُ مِنْ مُنْ مَانِ وَالْمَانِ وَالْمِلْمِ وَالْمَانِ وَالْمِلْمِ وَالْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمِلْمِ وَالْمَانِ وَالْمِلْمُ الْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمُعْرِقِيْنِ وَلَالْمِلْمُ وَالْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمَانِهُ وَلَالْمِلْمُ وَالْمَانِ وَالْمَانِ وَالْمَانِمُ وَالْمَانِ وَالْمُعْمِيْنُ وَال

الشهب المرمية على المعطلة والجهمية (للشيخ الفاضل أحمد بن مشرف)

نَفَيْتُمْ صِفَاتِ اللّهِ فَاللّهُ أَكْمَلُ زَعَمْتُمْ بِأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِمُسْتَوِ فَقَدْ جَاءَ في الأَخْبَارِ في غَيْرِ مَوْضِع فَقَدْ جَاءَ في الأَخْبَارِ في غَيْرِ مَوْضِع وَقَدْ جَاءَ في إِثْبَاتِهِ عَنْ نَبِيّنَا فَصَرَّحَ أَنَّ اللّه جَللُهُ فَصَرَّحَ أَنَّ اللّه جَللُهُ يَخَافُونَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَعُرُوجُهُمْ يَخَافُونَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَعُرُوجُهُمْ وَتُعْرَجُ حَقًّا رُوحُ مَنْ مَاتَ مُؤْمِناً وَبِالمُصْطَفَى أُسْرِي إلى اللّهِ فَارْتَقَى وَبِالمُصْطَفَى أُسْرِي إلى اللّهِ فَارْتَقَى

فَسُبْحَانَهُ عَمَّا يَقُولُ المُعَظِّلُ عَلَى عَرْشِهِ وَالإِسْتِوَا لَيْسَ يُجْهَلُ بِلَفْظِ اسْتَوَى لَا غَيْرَ يَا مُتَأَوِّلُ مِنَ الخَبَرِ المَأْثُورِ مَا لَيْسَ يُشْكَلُ عَلَى عَرْشِهِ مِنْهُ المَلَائِكُ(١) تَنْزِلُ إلَيْهِ وَهَذَا فِي الكِتَابِ مُفَطَّلُ إلَيْهِ فَتَحْظَى بِالمُنَى ثُمَّ تُرْسَلُ عَلَى هَذِهِ السَّبْعِ السَّمُواتِ في العُلُو عَلَى هَذِهِ السَّبْعِ السَّمُواتِ في العُلُو

⁽۱) في الأصل: «الملائكة»، ولا يستقيم وزن البيت بها، وبالتغيير الذي زبرناه استقام البيت، والله الموفق، وهكذا رأيته في «قصائد مختارة في العقيدة» (ص٩٨)، وأورد القصيدة بتمامها، ولابن مشرف (ت١٢٨٥هـ) في الإحساء، ديوان مطبوع، وترجمته في «تحفة المستفيد» (٤٠١).

بَ قَوْسَينِ أَوْ أَدْنَى كَمَا هُوَ مُنْزَلُ صَحِيحٌ صَرِيحٌ ظَاهِرٌ لَا يُؤَوَّلُ إلَيْهِ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا سَوْفَ يَنْزِلُ وَمَا دَامَ حَيًّا لِلخَنَازِيرِ يَقْتُلُ فَيَقْضِي بِهِ بَيْنَ الأَنَام وَيَعْدِلُ بَقِيَّةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ بِلَا غُلُو فَزَوَّجَنِي مِنْ فَوْقِ سَبِعْ مِنَّ العُلُو لِزَيْنَبَ فَخْراً شَامِحِاً، فَهُوَ أَطْوَلُ بِأَنْ يُسْتَرَقُّوا وَالرِّجَالُ تُقَتَّلُ لَقَدْ قَالَ مَا مَعْنَاهُ إِذْ يُتَأَمَّلُ قَضَى اللهُ مِنْ فَوْقِ السَّمْوَاتِ فَافْعَلُوا إِذَا مَا بَقِي ثُلْثٌ مِنَ اللَّيْلِ يَنْزِلُ إِلَى أَنْ يَكُونَ الفَجْرُ فِي الْأُفْقِ يَشْعَلُ فَإِنِّي لَغَفَّارٌ لَهَا مُتَقَبِّلُ فَإِنِّي أُجِيبُ السَّائِلِينَ وَأَجْزُلُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ فَوْقِهِمْ فَلَهُ (١) سَلُوا إِذَا اجْتَهَدُوا عِنْدَ الدُّعَاءِ إِلَى العُلُو وَدَانُوا بِهِ مَا لَمْ يَصُدُّوا وَيَخْذُلُوا وَأَتْبَاعُهُمْ خَيْرُ القُرُونِ وَأَفْضَلُ نُصُوصَ كِتَابِ اللّهِ جَهْلاً وَأَوَّلُوا بَدَا بِهِ يَزْهُو بِاللَّالْكِي (٣) مُكَلَّلُ بِذَلِكَ تَنْزِيها لَهُ وَهُوَ أَكْمَلُ

وَمِنْهُ دَنَا الجَبَّارُ حَقًّا فَكَانَ قَا وَفِي ذَا حَدِيثٌ في صَحِيح مُحَمَّدٍ وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَم فَيَكْسِرُ صُلْبَانَ النَّصَارَى بِكَفِّهِ وَلَيْسَ لَهُ شَرْعٌ سِوَى شَرْع أَحْمَدٍ وَزَيْنَبُ زَوْجُ المُصْطَفَى افْتَخَرَتْ عَلَى فَقَالَتْ تَوَلَّى اللَّهُ عَقْدِي بِنَفْسِهِ وَأَنَّ سَفِيرِي رُوحُهُ وَكَفَى بِذَا وَلَمَّا قَضَى سَعْدُ الرِّضَى في قُرَيْظَةٍ وَأَمْضَى رَسُولُ اللَّهِ في القَوْم حُكْمَهُ أَلَا إِنَّ سَعْداً قَدْ قَضَى فِيهِمْ بِمَا وَقَدْ صَحَّ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى ذِي السَّمَا الدُّنْيا يُنَادِي عِبَادَهُ يُنَادِيهِمُ: هَلْ تَائِبٌ مِنْ ذُنُوبِهِ وَهَلْ مِنْكُمُ دَاعِ وَهَلْ سَائِلٌ لَنَا وَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ العَظِيمُ عِبَادَهُ لِهَنَا تَرَاهُمْ يَرْفَعُونَ أَكُفَّهُمْ أَقَرُوا بِهَذَا الاعْتِقَادِ جِبِلَّةً عَلَى ذَا مَضَى الهَادِي النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ فَأَخْلَفَ (٢) قَوْمٌ آخَرُونَ فَحَرَّفُوا فَجَاؤُوا بِقَوْلٍ سَيْئ سِرُّهُ وَمَا هُمُ عَطَّلُوا وَصْفَ الإِلَهِ وَأَظْهَرُوا

⁽١) في الأصل: «فلهم»!! وكذا في «قصائد مختارة»!

⁽٢) كذا في مطبوع «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»، وفي الأصل:: «فأخلق»!

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «منه بزهو اللآلي».

وَمَنْ نَزَّهُ البَارِي بِنَفْي صِفَاتِهِ فَيَا أَيُّهَا النَّافِي لِأَوْصَافِ رَبِّهِ تَحِيدُ عَنِ الذِّكْرِ الحَكِيمِ وَنَصِّهِ وَتَنْفِي صِفَاتِ اللّهِ بَعْدَ ثُبُوتِهَا إِذَا جَاءَ نَصٌّ مُحْكَمٌ في صِفَاتِهِ أَلَا تَقْتَفِي آثَارَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ فَمَا مَذْهَبُ الأَخْلَافِ أَعْلَمُ بِالهُدَى وَلَكِنَّهُ مِنْ بَعْضِ مَا أَحْدَثَ الوَرَى

فَمَا هُوَ إِلَّا جَاحِدٌ وَمُعَطِّلُ لَقَدْ فَاتَكَ النَّهْجُ الَّذِي هُوَ أَمْثَلُ وتزْور عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَتَعْدِلُ بِنَصِّ مِنَ الوَحْيَيْنِ مَا فِيهِ مُجْمَلُ جَحَدْتَ لَهُ أَوْ قُلْتَ: هَذَا مُؤَوَّلُ فَمِنْهَاجُهُمْ أَهْدَى وَأَنْجَى وَأَفْضَلُ مِنَ القَوْمِ لَوْ أَنْصَفْتَ أَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ وَمَنْ يَبْتَدِعْ في الدِّينِ فَهْوَ مُضَلَّلُ

فصل

في اعتقاد السلف الصالح(١)

وَلَكِنَّنَا وَالحَمْدُ للّهِ لَمْ نَزَلْ نُصِوْقَ عِبَادِهِ وَكُلُّ مَكَانٍ فَهْوَ فِيهِ بِعِلْمِهِ وَكُلُّ مَكَانٍ فَهْوَ فِيهِ بِعِلْمِهِ وَكُلُّ مَكَانٍ فَهْوَ فِيهِ بِعِلْمِهِ وَمَا أَثْبَتَ البَارِي تَعَالَى لِنَفْسِهِ فَمَا أَثْبَتَ البَارِي تَعَالَى لِنَفْسِهِ فَمَنُ ثُبِتُهُ لللهِ جَلَّ جَلالُهُ فَمَا لَهُ البَقَا هُوَ الوَاحِدُ الحَيُّ العَظِيمُ (٤) لَهُ البَقَا هُوَ الوَاحِدُ الحَيُّ العَظِيمُ (٤) لَهُ البَقَا سَمِيعٌ ، بَصِيرٌ ، قَادِرٌ ، مُتَكَلِّمٌ سَمِيعٌ ، بَصِيرٌ ، قَادِرٌ ، مُتَكلِمٌ وَوَالِيدٍ سَمِيعٌ ، بَصِيرٌ ، قَادِرٌ ، مُتَكلِمٌ وَوَالِيدٍ وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللّهِ شَيْءٌ وَمَا لَهُ وَلَيْسَ كَمِثْلُو اللّهِ شَيْءٌ وَمَا لَهُ وَلِيْسَ بِمَحْلُوقٍ وَلَا وَصْفِ حَادِثٍ فَلَيْسَ بِمَحْلُوقٍ وَلَا وَصْفِ حَادِثٍ فَلَا وَصْفِ حَادِثٍ فَلَا وَصْفِ حَادِثٍ فَلَا وَصْفِ حَادِثٍ

عَلَى قَوْلِ أَصْحَابِ الرَّسُولِ نُعَوِّلُ عَلَى عَرْشِهِ، لَكِنَّمَا الكَيْفُ يُجْهَلُ (٢) شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ الوَرَى لَيْسَ يَغْفَلُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ الوَرَى لَيْسَ يَغْفَلُ مِنَ الوَصْفِ أَوْ أَبْدَاهُ (٣) مَنْ هُوَ مُرْسَلُ كَمَا جَاءَ لَا نَنْفِي وَلَا نَتَأُوَّلُ مَلْ عَلَى وَلَا نَتَأُوَّلُ مَلْ يَشَاءُ، وَيَعْزِلُ مَلِيدٌ، يُولِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْزِلُ عَلَى مَرْيدٌ، آخِرٌ، وَهُو أَوَّلُ مَلِيدٌ، إَخِرٌ، وَهُو أَوَّلُ مَلِيدٌ، وَصَاحِبَةٍ، فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَكْمَلُ وَصَاحِبَةٍ، فَاللَّهُ أَعْلَى وَأَكْمَلُ وَصَاحِبةٍ، وَلَا نِدٌ، بِرَبِّكَ يُعْدَلُ شَيِيدٌ، وَمِنْ وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ وَمِنْ وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ فَيَعْذَلُ وَمِنْ وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ فَيَعْذَلُ وَمِنْ وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ فَيَعْذَلُ وَمِنْ وَصْفِهِ الأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ وَمِنْ وَصْفِهِ الْأَعْلَى حَكِيمٌ مُنَزَّلُ وَمِنْ وَصْفِهِ الْأَعْلَى وَلَكِنْ مُحْكَمٌ لَا يُبَدَّلُ

⁽١) بعدها في مطبوع «كفاية الإنسان»: « عَيْمَ اللهِ ...

⁽٢) في «كفاية الإنسان»: «مجهلُ»، وفي «قصائد مختارة» بنون أوله.

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»: «إبداءِ».

⁽٤) في «كفاية الإنسان» و «قصائد مختارة»: «القديمُ».

⁽٥) في الأصل: «فينفي»، وفي مطبوع «كفاية الإنسان»: «فيفتى»، وكلاهما خطأ: والصواب المثبت، وكذا هي في «قصائد مختارة» (١٠٠).

هُوَ الذِّكْرُ مَتْلُوٌّ بِأَلْسِنَةِ الوَرَى فَأَلْفَاظُهُ لَيْسَتْ بِمَخْلُوقَةٍ وَلَا وَقَدْ أَسْمَعَ الرَّحْمَٰنُ مُوسَى كَلَامَهُ (٢) وَلِلطُّورِ مَوْلانَا تَجَلَّى بِنُورِهِ وَإِنَّ عَلَيْنَا حَافِظِينَ مَلَائِكا فَيُحْصُونَ أَقْوَالَ ابْنِ آدَمَ كُلَّهَا وَلَا حَيَّ غَيْرَ اللَّهِ يَبْقَى وَكُلُّ مَنْ وَإِنَّ نُفُوسَ العَالَمِينَ بِقَبْضِهَا وَلَّا نَفْسَ تَفْنَى قَبْلَ إِكْمَالِ رِزْقِهَا وَسِيَّان مِنْهُمْ مَنْ وُدِي (٥) حَتْفَ أَنْفِهِ وَإِنَّ سُؤَالَ الفَاتِنينِ مُحَقَّقٌ يَقُولَانِ مَاذَا كُنْتَ تَعْبُدُ؟ مَا الَّذِي فَيَا رَبِّ ثُبِّتْنَا عَلَى الحَقِّ وَاهْدِنَا وَإِنَّ عَذَابَ القَبْرِ حَتٌّ، وَرُوحُ مَنْ فَأَرْوَاحُ أَصْحَابِ السَّعَادَةِ نُعِّمَتْ وَتَسْرَحُ في الجَنَّاتِ تَجْنِي ثِمَارَهَا وَلَكِنْ شَهِيدُ الحَرْبِ حَيٌّ مُنَعَّمٌ وَأَرْوَاحُ أَصْحَابِ الشَّقَاءِ مُهَانَةٌ وَإِنَّ مَعَادَ الرُّوحِ وَالجِسْمِ وَاقِعٌ وَصِيحَ بِكُلِّ العَالَمِينَ فَأُخْضِرُوا

وَفِي الصَّدْرِ مَحْفُوظٌ وفي الصُّحفِ مُسْجَلُ (١) مَعَانِيهِ، فَاتْرُكْ قَوْلَ مَنْ هُوَ مُبْطِلُ عَلَى طُورِ سِينًا، وَالْإِلَهُ يُفَضَّلُ (٣) فَصَارَ لَخُوْفِ اللَّهِ دَكَّا يُزَلِّزلُ كِرَاماً بِسُكَّانِ البَسِيطةِ وُكِّلُوا وَأَفْعَالَهُ طرًّا، فَلَا شَيْءَ يُهْمَلُ سِوَاهُ لَهُ حَوْضُ المَّنِيَّةِ مَنْهَلُ رَسُولٌ مِنَ اللّهِ العَظِيم مُوكَّلُ وَلَكِنْ إِذَا تَمَّ (٤) الكِتَابُ المُؤَجَّلُ وْمَنْ بِالطِبِا(٦) والسَّمْهَرِيَّةِ يُقْتَلُ لِكُلِّ صَرِيع في الثَّرَى حِينَ يُجْهَلُ تَذِينُ؟ وَمَنَّ هَذَا الَّذِي هُوَ مُرْسَلُ إِلَيهِ، وَأَنْطِقْنَا بِهِ حِينَ نُسْأَلُ ورى(٧) في نَعِيم أَوْ عَذَابِ سَتُجْعَلُ بِرَوْح وَرَيْحَانٍ، وَمَا هُوَ أَفْضَلُ وَتَشْرُّبُ مِنْ تِلْكَ الْمِيَاهِ، وَتَأْكُلُ فَتَنْعِيمُهُ لِلرُّوحِ وَالجِسْمِ يَحْصُلُ مُعَذَّبَةٌ لِلْحَشْرِ وَاللَّهُ يَعْدِلُ فَيَنْهَضُ مَنْ قَدْ مَاتَ حَيًّا يُهَرُولُ وَقِيلَ قِفُوهُمْ لِلْحِسَابِ لِيُسْأَلُوا

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان» و«قصائد مختارة»: «في الصحف يُسجّلُ».

⁽٢) في الأصل: «وقد أسمع موسى الرحمٰنُ كلامَه. . »، وقد أخَّرنا لفظة (موسى) على لفظة (الرحمٰن) لوزن البيت، وهي كذلك في «قصائد مختارة» (١٠١).

⁽٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «بالظبي».

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يفصلُ». (٤) في الأصل: «تمت»!

في مطبوع «كفاية الإنسان»: «أودى». (0)

في مطبوع «كفاية الإنسان»: «أودى».



بِوَصْفٍ فَإِنَّ الأَمْرَ أَدْهَى وَأَهْوَلُ وَكُلٌّ يُجَازَى بِالَّذِي كَانَ يَعْمَلُ وَقَدْ فَازَ مَنْ مِيزَانُ تَقْوَاهُ يَثْقُلُ وَبِالْمِثْلِ تُجْزَى السَّيِّئَاتُ وَتُعْدَلُ وَأَعْمَالُهُ مَرْدُودَةٌ لَيْسَ تُقْبَلُ وَحُسْنُ الرَّجَا وَالظَّنُّ بِاللَّهِ (٢) أَجْمَلُ مُقِيماً عَلَى طُولِ المَدَى لَيْسَ يَرْحَلُ وَمَاتَ عَلَى التَّوجِيدِ فَهُوَ مُهَلِّلُ (٣) بِذَا نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ المُنزَّلُ أُعِدَّتْ لِأَهْلِ الكُفْرِ مَثْوِيٌّ وَمَنْزِلُ إِذَا نَضِجَتْ تِلْكَ الجُلُودُ تُبَدَّلُ وَلَوْ كَانَ ذَا ظُلْم يَصُولُ وَيَقْتُلُ لَدَى اللّهِ في فَصْلُ القَضَاءِ فَيَفْصِلُ فَيُخْرِجُهُمْ مِنْ نَارِهِ، وَهْيَ تُشْعَلُ كَمَا فِي حَمِيلِ السَّيْلِ يَنْبُتُ سُنْبُلُ مِنَ الشُّهْدِ أَحْلَى فَهْوَ أَيْيَضُ سَلْسَلُ كَأَيْلَةَ مِنْ صَنْعَا وَفِي الطُّولِ أَطْوَلُ وَوَارِدُهُ حَقَّا (٤) أَغَرُّ مُحَجَّلُ وَعَنْهُ يُنَحِّى مُحْدِثٌ ومُسَدِّلُ بِفَصْلِكَ، يَا مَنْ لِمَنْ يَزِلُّ يَتَفَضَّلُ

فَـذَلِكَ يَـوْمٌ لَا تُـحَـدُ كُرُوبُـهُ يُحَاسَبُ فِيهِ المَرْءُ عَنْ كُلِّ سَعْيهِ وَتُوزَنُ أَعْمَالُ العِبَادِ جَمِيعُهَا وَفِي الحَسَنَاتِ الأَجْرُ يُلْفَى (١) مُضَاعَفاً وَلَا يُدْرِكُ الغُفْرَانَ مَنْ مَاتَ مُشْرِكاً وَيَغْفِرُ غَيْرَ الشِّرْكِ رَبِّي لِمَنْ يَشَا وَإِنَّ جِنَانَ الخُلْدِ تَبْقَى وَمَنْ بِهَا أُعِدَّتْ لِمَنْ يَخْشَى الإلله وَيَتَّقِي وَيَنْظُرُ مَنْ فِيهَا إِلَى وَجْهِ رَبِّهِ وَإِنَّ عَـذَابَ الـنَّارِ حَـقٌ وَإِنَّهَا يُقِيمُونَ فِيهَا خَالِدِينَ عَلَى المَدَى وَلَمْ يَبْقَ بِالإِجْمَاعِ فِيهَا مُوَحِّدٌ وَإِنَّ لِخَيْرِ الأنْسِيَاءِ شَفَاعَةً وَيَشْفَعُ لِلعَاصِينَ مِنْ أَهْل دِينِهِ فَيُلْقَوْنَ في نَهْر الحَيَاةِ فَيَنْبُتُوا وَإِنَّ لَهُ حَوْضاً هَنِيناً شَرَابُهُ يُقَدَّرُ شَهْراً في المَسَافَةِ عَرْضُهُ وَكِيزَانُهُ مِثْلُ النُّجُومِ كَثِيرَةٌ مِنَ الأُمَّةِ المُستَمْسِكِينَ بِدِينِهِ فَيَا رَبِّ، هَبْ لِي شَرْبَةً مِنْ زُلَالِهِ

فصل

في الإيمان بالقضاء والقدر(٥) وما يتعلق بذلك

وَبِالْقَدَرِ الْإِيمَانُ حَتْمٌ وَبِالقَضَا فَمَا عَنْهُمَا لِلْمَرْءِ في الدِّينِ مَعْدلُ

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُلقى». (٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في الله».

⁽٣) في مطبوع "كفاية الإنسان": "مهلهلُ". (٤) بعده في مطبوع "كفاية الإنسان": "كل".

⁽٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في الإيمان والقدر»!



قَضَى رَبُّنَا الأَشْيَاءَ مِنْ قَبْل كَوْنِهَا فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرِ وَشَرٍّ فَكُلُّهُ فَبِالفَصْلِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنَ الوَرَى وَمَا العَبْدُ مَجْبُوراً وَلَيْسَ مُخَيَّراً وَإِنَّ خِتَامَ المُرْسَلِينَ مُحَمَّداً بِأَفْضَل دِينِ لِلشَّرَائِع نَاسِخ فَمَا بَعْدَهُ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ نَازِلٌ وَنَعْتَقِدُ (٢) الإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَيَنْقُصُ أَحْيَاناً بِنُقْصَانِ طَاعَةٍ وَدُونَكَ مِنْ نَظْم القَرِيضِ قَصِيَدَةً بَدِيعَةَ حُسْنِ يُشْبِهُ الدُّرَّ نَظْمُهَا عَقِيدَةُ أَهْلِ الحَقِّ وَالسَّلَفِ الألى (٣) فَدُونَكَهَا تَحْوِي فَوَائِدَ جَمَّةً فَيَا رَبِّ عَفُواً مِنْكَ عَمَّا اجْتَرَحْتُهُ فَإِنِّي عَلَى نَفْسِي مُسِيءٌ وَمُسْرِفٌ فَهَبْ لِي ذنوبي وَاعْفُ عَنْهَا تَفَضُّلاً وَأَحْسَنُ مَا يَزْهُو بِهِ الخَتْم حَمْدُ مَنْ وَأَزْكَى صَلَاة وَالسَّلَام عَلَى الَّذِي مُحَمَّدٍ المُخْتَارِ مَا هَلَّ (٤) عَارِضٌ

وَكُلٌّ لَدَيْهِ فِي الكِنتَابِ مُسَجَّلُ مِنَ اللَّهِ وَالرَّحْمٰنُ مَا شَاءَ يَفْعَلُ وَبِالْعَدْلِ يُرْدِي مَنْ يُشَاءُ وَيَخْذُلُ وَلَكِنْ لَهُ كَسْبٌ وَمَا الأَمْرُ مُشْكِلُ إِلَى التَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ مُرْسَلُ وَلَا يَعْتَرِيهِ النَّسْخُ مَا دَامَ يُبْدُلُ (١) عَلَى بَشَرِ، وَالمُدَّعِي مُتَقَوَّلُ وَفِعْلٌ إِذَا مَا وَافَقَ الشَّرْعَ يُقْبَلُ وَيَـزْدَادُ إِنْ زَادَتْ فَيَنْمُو وَيَكُمُلُ وَجِيزَةَ أَلْفَاظٍ جَنَاهَا مُذَلَّلُ وَلَكِنَّهُ أَحْلَى وَأَغْلَى وَأَجْمَلُ عَلَيهِمْ لِمَنْ رَامَ النَّجَاةَ المُعَوَّلُ مِنَ العِلْمِ قَدْ لَا يَحْبَوِيهَا المُطَوَّلُ مِنَ الذَّنْبُ عَنْ عِلْم وَمَا كُنْتُ أَجْهَلُ وَظَهْرِي بِأَوْزَارِ اللَّخطِيئَاتِ مُثْقَلُ عَلَىَّ فَمِنْ شَأْنِ الكَوْرِيمِ التَّفَضُّلُ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى لَهُ نَتَوَسَّلُ بهِ تَمَّ عَفْدُ الأنْبِياءِ وَكُمُّلُوا عَلَى بَلَدٍ قَفْر وَمَا اخْضَرَّ مُمْحِلُ كَذَا الآل وَالأَصْحَابِ مَا قَالَ قَائِلٌ ﴿ نَفَيْتُمْ صِفَاتِ اللَّهِ فَاللَّهُ أَكْمَلُ (٥٠)

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يذبلُ».

⁽٢) بدلها في مطبوع «كفاية الإنسان»: «وإنا نرى».

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «الأولى».

⁽٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ما انهلً».

⁽٥) انظر: «كفاية الإنسان» (٢٩٣ ـ ٢٩٩) و«قصائد مختارة في العقيدة» (٩٨ ـ ١٠٤).



القصيدة البائية في الحث على مكارم الأخلاق للقصيدة البائية في الحث الإمام محمد بن إسماعي الصنعاني

أَمَا آنَ عَـمًّا أَنْتَ فِيهِ مَـتَابُ تَقَضَّتْ بِكَ الأَعْمَارُ في غَيْرِ طَاعَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ فِعْلُكَ خَالِصاً فَلِلْعَمَلِ الإِخْلَاصُ شَرْطٌ إِذَا أَتَى وَقَدْ صِينَ عَنْ كُلِّ ابْتِدَاعِ وَكَيْفَ ذَا طَغَى المَاءُ مِنْ مَجْرَى ابْتِدَاعٌ عَلَى الوَرَى وَطُوفَانُ نُوحٍ كَانَ في الْفُلْكِ أَهْلُهُ وَأَنَّى (٣) لَنَا فُلْكُ يُنَجِّي وَلَيْتَهُ وَأَيْنَ إِلَى أَيْنَ المَطَارُ وَكُلُّ مَا نُسَائِلُ مَنْ دَارَ الأَرَاضِي سِيَاحَةً فَيُخْبِرُ كُلُّ عَنْ قَبَائِح مَا يَرَى(٤) لِأَنَّهُمُ عَدُّوا قَبَائِحَ فِعْلِهِمْ كَفَوْم عُرَاةٍ في ذُرَى مِصْرَ مَا تَرَى (يَدُورُنَ فِيهَا كَاشِفِينَ لِعَوْرَةٍ يَعُدُّونَهُمْ فِي مِصْرِهِمْ فُضَلَاءَهُمْ وَفِيهَا وَفِيهَا كُلُّ مَا لَا يَعُدُّهُ وَفِي كُلِّ مِصْرِ مِثْلُ مِصْرَ وَإِنَّمَا تَرَى الدِّينَ مِثْلَ الشَّاةِ قَدْ وَثَبَتْ لَهَا

وَهَلْ لَكَ مِنْ بَعْدِ البِعَادِ إِيَابُ فَكُلُّ بِنَاءٍ قَدْ بَنَيْتَ خَرَابُ(١) سِوَى عَمَل تَرْضَاهُ وَهُوَ سَرَابُ وَقَدْ وَافَـقَـتْـهُ سُـنَّـةٌ وَكِـتَـاتُ وَقَدْ طَبَّقَ الآفَاقَ مِنْهُ عُبَابُ وَلَمْ (٢) يَنْجُ مِنْهُ مَرْكَبٌ وَرِكَابُ فَنَجَاهُمُ وَالغَارِقُونَ تَبَابُ يَطِيرُ بِنَا عَمَّا نَرَاهُ غُرَابُ عَلَى ظَهْرِهَا يَأْتِيكَ مِنْهُ عُجَابُ عَسَى بَلْدَة فِيهَا هُدًى وَصَوَاتُ وَلَيْسَ لِأَهْلِيهَا يَكُونُ مَتَاتُ مَحَاسِنَ يُرْجِي عِنْدَهُنَّ ثَوَاتُ عَلَى عَوْرَةٍ مِنْهُمْ هُنَاكَ ثِيَابُ تَـوَاتَـرَ هَـذَا لَا يُحقَالُ كِـذَاتُ دُعَاؤُهُمُ فِيمَا يَرَوْنَ مُجَابُ لِسَانٌ وَلَا يَدْنُو إِلَيهِ خِطَابُ لِكُلِّ مُسَمَّى، وَالجَمِيعُ ذِئَابُ ذِئَاتٌ وَمَا عَنْهَا لَهُنَّ ذَهَاتُ

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»:

[«]تـقـضـت بـك الأعــمـار... إذا لــــم يـــكـــن...

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فلم».

⁽٤) ي مطبوع «كفاية الإنسان»: «ما أرى».

سوى عمل ترضاه وهو سرابُ فكل بناء قد بنيت خرابُ» (٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فأني».



لَقَدْ مَزَّقَتْهُ بَعْدُ كُلَّ مُمَزَّقِ عِنْلَامُ يَبْقَ مِنْهُ جُنَّةٌ وَإِهَابُ)(١) ا فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الاغْتِرَابِ إِيَابُ فَيُجْبَرَ مِنْ هَذِي العِبَادِ مُصَابُ سِوَى عُزْلَةٍ فِيهَا الْجَلِيسُ كِتَابُ حَوَاهُ مِنَ العِلْمِ الشَّيرِيفِ صَوَابُ تَرَى آدَماً إِذْ (٣) كَانَ وَهْوَ تُرَابُ يُسوَارِيسهِ لَسمَّا أَنْ أَرَاهُ غُسرَابُ عَلَى الأرْض مَاءُ لِلسَّحَابِ(٥) عُبَابُ وَمَا قَالَ كُلٌّ مِنْهُمُ وَأَجَابُوا وَأَكْتُرُهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُ وَخَابُوا وَنَارٌ بِهَا لِلمُسْرِفِينَ عَذَابُ لِكُلِّ شَقِيٍّ قَدْ حَواهُ عِقَابُ فَإِنَّ دُمُوعَ العَيْنِ عَنْهُ جَوَابُ فَلِلرُّوحِ مِنْهُ مَظْعَمٌ وَشَرَابُ تُريدُ فَمَا تَدْعُو إِلَيهِ تُجَابُ(٨) بهَا قُطِعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ فَوَاللهِ مَا عَنْهُ يَنُوبُ كِتَابُ وَلَيْسَ عَلَيهِ لِلذَّكِيِّ حِجَابُ

وَلَيْسَ اغْتِرَابُ الدِّينَ إِلَّا كَمَا تَرَى فَيَا غُرْبةً هَلْ نَرْتَجِي (٢) مِنْكِ أَوْبَةً فَلَمْ يَبْقَ لِلرَّاجِي سَلَامَةَ دِينِهِ كِتَابٌ حَوَى كُلَّ العُلُوم وَكُلَّ مَا فَإِنْ رُمْتَ تَارِيخاً رَأَيْتَ عَجَائِباً فَتَنْظُرُ (٤) هَابِيلاً قَتِيلَ شَقِيقِهِ وَتَنْظُرَ نُوحاً وَهُوَ فِي الفُلْكِ إِذْ طَغَي وَإِنْ شِئْتَ كُلَّ الأَنْبِيَاءِ وَقَوْمَهُمْ تَرَى كُلَّ مَنْ (٦) تَهْوَى مِنَ القَوْم مُؤْمِناً وَجَنَّاتُ عَدْنِ حُورُهَا وَنَعِيمُها فَتِلْكَ لِأَصْحَابِ التُّقَى ثُمَّ هَذِهِ (٧) وَإِنْ تُردِ الوَعْظَ الَّذِي إِنْ عَفَلْتَهُ تَجِدْهُ وَمَا تَهْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَشْرَب وإِنْ رُمْتَ إِبْرَازَ الأَدِلَّةِ فِي الَّذِي تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ فِيهِ قَوَاطِعٌ وَفِيهِ الدَّوَا مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَشِقْ بِهِ وَمَا مَطْلَبٌ إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُهُ

⁽١) ما بين الهلالين غير موجود في مطبوع «كفاية الإنسان».

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُرتجى».

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مُذ».

⁽٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ولاقيتَ».

⁽٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «من ماء السَّحاب».

⁽٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «ما».

⁽٧) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فتلك لأرباب التقاء ولهذه».

⁽٨) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مُجَابُ».

وَفِي رُقْيَةِ الصَّحْبِ اللَّدِيغَ قَضِيَّةٌ وَلَكِنَّ سُكَانَ البَسِيطَةِ أَصْبَحُوا فَلَا يَطْلُبُونَ الحَقَّ مِنْهُ وَإِنَّمَا فَإِنْ جَاءَهُمْ فِيهِ الدَّلِيلُ(٢) مَوَافِقاً رَضُــوهُ وَإِلَّا قِــيــلَ هَــذَا مُــؤَوَّلُ تَرَاهُ أَسِيراً كُلُّ حَبْرِ يَفُودُهُ أَتُعْرِضُ يَا ذا عَنْ دِيَاضِ أَدِيضَةً يُريكَ عَلَى مَرِّ الجَدِيدَينِ جدّةً وَآيَىاتُهُ في كُلِّ حِينٍ طَرِيَّةٌ فَفِيهِ هُدِّي لِلعَالَمِينَ وَرَحْمَةً فَكُلُّ كَلَام غَيْرِهِ القِشْرُ لَا سِوَى دَعُوا كُلَّ قُوْلٍ غَيْرِهِ وَسِوَى الَّذِي وَعَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِذِ وَاصْبِرُوا تَرَوا (٥) كُلَّ مَا تَرْجُونَ مِنْ كُلِّ مَطْلَبِ أَطِيلُوا عَلَى السَّبْعِ الطِّوَالِ وُقُوفَكُمْ وَكُمْ (٦) مِنْ أُلُوفٍ (٧ۗ) بالمئين فكُنْ بِهَا وَفِي طَيِّ أَثْنَاءِ المَثَانِي نَفَائِسٌ وَكُمْ مِنْ فُصُولٍ في المُفَصَّل قَدْ حَوَتْ وَمَا كَانَ في عَصْرِ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ تَلَا «فُصِّلَتْ» لَمَّا أَتَاهُ مُجَادلٌ

وَقَرَّرَهَا المُخْتَارُ حِينَ أَصَابُوا(١) كَأَنَّهُمُ عَمَّا حَوَاهُ غِضَابُ يَقُولُونَ مَنْ يَتْلُوهُ فَهُوَ مُثَابُ لِمَا كَانَ لِلآبَا(٣) إِلَيهِ ذَهَابُ وَيُرْكَبُ لِلتَّأُوِيلِ(٤) فِه صِعَابُ إِلَى مَذْهَب قَدْ قَرَّرَتْهُ صِحَابُ وَتَعْتَاضُ جَهْلاً بِالرِّيَاضِ هِضَابُ فَأَلْفَاظُهُ مَهْمَا تَلَوْتَ عِنَابُ وَتَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرَ وَهْيَ كِعَابُ وَفِيهِ عُلُومٌ جَمَّةٌ وَثَوَابُ وَذَا كُلُّهُ عِنْدَ اللَّبِيبِ لُبَابُ أَتَى عَنْ رَسُولِ اللهِ فَهُو صَوَابُ عَلَيهِ وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الفَم نَابُ إِذَا كَانَ فِيكُمْ هِمَّةٌ وَطِلَابُ تَدُرُّ عَلَيْكُمْ بِالعُلُوم سَحَابُ أَلُوفاً تَجِدْ مَا ضَاقَ عَنْهُ حِسَابُ يَطِيبُ بِهَا (٨) نَشْرٌ وَيُفْتَحُ بَابُ أُصُولاً إِلَيهَا لِلذَّكِيِّ إِيَابُ(٩) سِوَاهُ لِهَدْي العَالَمِينَ (١٠) كِتَابُ فَأَبْلَسَ حَتَّى لَا يَكُونَ جَوَابُ

(٦) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «فكم».

⁽١) هذا البيت غير موجود في مطبوع «كفاية الإنسان».

⁽٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «جاءهُمُ الدَّليلُ».

⁽٣) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «للآباء».

⁽٤) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في التأويل».

⁽٥) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «تنالون».

⁽٧) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «في المئين». (٨) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «لها».

⁽٩) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «مآَّبُ». (١٠) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «للعالمين».



أَقَرَّ بِأَنَّ السَقَوْلَ فِيهِ طَلَاوَةً وَأَدْبَرَ عَنْهُ هَائِماً فِي ضَلَالَةٍ وَقَالَ وَصِيُّ المُصْطَفَى لَيْسَ عِنْدَنَا وَقَالَ وَصِيُّ المُصْطَفَى لَيْسَ عِنْدَنَا وَإِلَّا الَّذِي أَعْظَاهُ فَهْماً إللهُهُ فَمَا الفَهْمُ إِلَّا مِنْ عَطَايَاهُ لَا سِوَى سُلَيْمَانُ قَدْ أَعْطَاهُ فَهْماً فَنَادِهِ وَسَلْ مِنْهُ تَوْفِيقاً وَلُطْفاً وَرَحْمَةً

وَيَعْلُو وَلَا يَعْلُو عَلَيْهِ خِطَابُ يُرِيدُ حراداً (۱) في الأنَامِ يُعَابُ سِوَاهُ وَإِلَّا مَا حَوَاهُ قِرَابُ بِآيَاتِهِ فَاسْأَلْ عَسَاكَ تُجَابُ بَلِ الخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ مِنْهُ (۲) يُصَابُ يُجِبْكَ سَرِيعاً مَا عَلَيْهِ حِجَابُ فَتِلْكَ إِلَى حُسْنِ الخِتَامِ مَآبُ (۳)

قال محمد تقي الدين: ونختم هذه الجيوش الشعرية بقصيدتي التي سميتها «الكتيبة المظفرة في رجم شياطين البغي والشرك والبدع المستنكرة» (٤٠). وقد صدرتها بالغزل، اقتداء بشعراء العرب، وخصوصاً الصحابة كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما، وهذه هي القصيدة:

لَقَدْ طَالَ لَيْلِي وَالجَوَى مَالِئ صَدْرِي أَقَضِّي نَهَارِي دَائِمَ الفِحْرِ والأَسَى وَأَكْتُمُ أَسْرَادِي حِذَاراً مِنَ العِدَا تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الوِصَالِ فَكَادَ مِنْ فَيَا وَيْحَ قَلْبِي مَا يُلَاقِي مِنَ الهَوَى وَعَاذِلَةٍ جاءَتْ بِلَوْمِ كَأَنَّهُ وَعَاذِلَةٍ جاءَتْ بِلَوْمٍ كَأَنَّهُ وَلَسْتُ بِسَالٍ لو أَطَلْتِ مَلَامَتِي وَكَيْفَ سَلوِّي بَعَدَمَا شَابَ مَفْرَقِي وَكَيْفَ سَلوِّي بَعَدَمَا شَابَ مَفْرَقِي وَكُيْفَ سَلوِّي بَعَدَمَا شَابَ مَفْرَقِي وَكُيْفَ سَلوِّي بَعَدَمَا شَابَ مَفْرَقِي وَطُفْتُ بَلَادَ اللهِ شَرْقاً وَمَعْرِباً وَطُفْتُ بَلَادَ اللهِ شَرْقاً وَمَعْرِباً وَطُفْتُ بَلَادَ اللهِ شَرْقاً وَمَعْرِباً

وَبُرَّحَ بِي شَوْقٌ إلى رَبَّةِ الْخِدْرِ
وَلَيْلِيَ تَسْهَادٌ إلى مَطْلَعِ الفَجْرِ
ومَهْمَا أَبُحْ فالحُبُّ أَفْقَدَنِي صَبْرِي
تَذَكُّرِهَا قَلْبِي يَطِيرُ مِنَ الصَّدْرِ
وَمِنْ فَرْطِ آلَامِ الصَّبَابَةِ والهَجْرِ
نُعَابُ غُرَابِ للفُؤادِ غَدَا يَبْرِيُ
فَكُفِّي عَنِ الإسْفَافِ والمَنْطقِ الهُجْرِ
وأَنْفَقْتُ في حُبِّي لَهًا زَهْرةَ العُمْرِ
عَدِيماً مِنَ الجَدْوَى فَبَالْحُبِّ قَدْ يُغْرِي
عَلَى قَدَمِي طَوْراً وطَوْراً على مُهْرِ

⁽١) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُدبّرُ ماذا». (٢) في مطبوع «كفاية الإنسان»: «يُضابُ».

⁽٣) انظر: «كفاية الإنسان» (١٣١ ـ ١٣٣).

⁽٤) نشر المصنف هذه القصيدة في «مجلة الجامعة الإسلامية» (١٨ شوال/ ١٣٩٢هـ (ص٢٦ ـ ٢٧٧)، وأوردها بتمامها في كتابه «الدعوة إلى الله» (٢١٤ ـ ٢١٨)، وفي ديوانه المُسمَّى «منحة الكبير المتعالي» (٧٣ ـ ٢٧) ومضى قِسمٌ منها في (٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٨).

وَأَنْضَيتُ بُعْرَاناً وحَلَّقتُ في السَّمَا وطَوْراً على فُلْكِ عَظِيم كأنَّهُ حَلِيفُ اغْتِرَابِ في ثَوَاءٍ ورِحْلَةٍ (١) (وَمَا غُرْبَةُ الإِنْسَانِ من شُقَّةِ النَّوَى إلى اللهِ أَشْكُو غُرْبةَ الدِّين والهُدَى وَأَرْعَنَ غَمْرِ جَاءَ يُرْعِدُ مُبْرِقًا فَقُلْتُ لَهُ شُؤْشُؤ لَكَ الوَيْلُ إِنَّمَا وَلَيْسَ يَضِيرُ النَّهْرَ صَوْتُ ذُبَابَةٍ أتُوعِدُ سُنَّاتِ الرَّسُولِ بِمَحْوِهَا وَمَنْ يَقُل سُنَّاتِ الرَّسُولِ فَإِنَّهُ وَيَسْأَلُهُ فِيهِ نَكِيرٌ وَمِنْكَرٌ وَذِي سُنَّةُ الجَبَّارِ في كُلِّ مَنْ غَدَا أَلَهُ تَدُر أَنَّ اللهَ نَاصِرُ دِينه وَكَمْ قَدْ سَعَى سَاع لِإطْفَاءِ نُورِهِ وتَنْصُرُ إِشْرَاكاً وَفِسْقاً وبِدْعَةً دَعَا المُصْطَفَى قِدْماً عَلَيْهِ بلَعْنَةٍ وَتَلْعَنُهُ الأَمْلَاكُ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةٍ تُحَدِّدُ لِلْوَعَاظِ مَا يَدْرُسُونَهُ (لَقَدْ هَزَلَتْ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا تَدُسُّ جَوَاسِيساً لِئَاماً بِوَعْظِهمْ لَقَدْ فُقْتَ الاسْتِعْمَارَ في اللَّؤْم وَالخَنَا

على جَائِبَاتِ الجوِّ كالنَّجْم إِذْ يَسْرِي تَبِيرٌ يَرُوعُ الحُوتَ في لُجَّةِ البَحْرِ وإِنْ كُنْتُ (٢) في أَهْل كَثِيرٍ ذَوِي وَفْرِ وَلكِنَّهَا)(٢) في الدِّينِ والخُلْقِ والبِرِّ وَطُغْيانَ أَهْلِ الكُفْرِ وَالْفِسْقُ وَالغَدْرِ يُحَرِّقَ أَنْيَاباً مِنَ الغَيْظِ وَالكِبْرِ وَعِيدُكَ تَطْنَانُ الذَّبَابِ عَلَى النَّهْرِ وَمَهْمَا دَنَتْ تَرْدِي وَتَهْوِي إِلَى القَعْر تُعَرَّضْتَ لِلتَّدْمِيرِ وَيْلَكَ وَالثَّبْرِ يُعَذَّبُ فِي الدُّنْيَا وَفِي فِتْنَةِ القَبْرِ وَمَا مِنْ جَوَابِ عِنْدَهُ غَيْر لَا أَدْرِي يُحَارِبُ دِينَ اللهِ في السِّرِّ وَالجَهْر وَمُوقِعُ أَهْلِ البَغْيِ في دَارَةِ (١) الخُسْرِ بِكَيْدٍ فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُ في النَّحْر ونَاصِرُ هَذِي خَاسِرٌ أَبَدَ الدُّهْرِ وَمَنْ يَلْعَنِ المُخْتَارُ فِهُو إِلَىٰ شَر كَذَلِكَ أَهْلُ الأَرْضِ في السَّهْلِ وَالوَعْرِ وَأَنْتَ يَمِينَ اللهِ أَجْهَلُ مِنْ حُمْرِ كُلَاهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ ذِي عُسْرٍ) لِتَلْفِيقِ أَخْبَارٍ مِنَ المَيْنِ وَالمَكْرِ وَفِي الكَيْدِ وَالبُهْتَانِ وَالخَتْلِ وَالخَتْرِ

⁽١) في «ديوانه»: «ثواء ورحلة».

⁽٢) سقطت من «ديوانه»، وزادها بوخبزة عليه.

⁽٣) في مجلة «الجامعة الإسلامية»: «ولكنه»!!

⁽٤) في «ديوان الهلالي»: «درة»، وقد وضع تحتها بوخبزة خطًا لكن دون تعليق أو تصحيح في الهامش، والتصحيح من مجلة «الجامعة الإسلامية»، وهي على الجادة في الأصل.



تُحَارِبُ مَنْ يَدْعُو لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ فَيَا نَاطِحَ الطَوْدِ المَتِينِ بِهَامَةٍ وَلَيْسَ يَحِيقُ المَكْرُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَكُمْ حَافِر لَحْداً لِيَدْفِنَ غَيْرَهُ وَكَمْ مُشْرِكٍ طَاغ تَرَدَّى بِشِرْكِهِ وَكُمْ رَائِشِ سَهْماً لِيَصْطَادَ غَيْرَهُ وَهَلْ أَنْتَ يَا مَغْرُورُ إِلَّا مَعَبَّدُ وَقُبَّرةٍ أَضْحَى لَهَا الجَوُّ خَالِياً فَلَا تَفْرَحِي^(٣) يَوْماً سَيَأْتِيكِ صَائِدٌ (فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ (وَإِنَّكَ لَمْ(٤) يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِر (فَيَا عَجَباً حَتَّى كُلَيْبٌ تَسُبُّنِي أتَغْتَرُّ بِالإِمْهَالِ تَحْسَبُ أَنَّهُ وَمَا نَحْنُ إِلَّا خَادِمُونَ لِسُنَّةٍ أَخَادِمُ سُنَّاتِ الرَّسُولِ حَيَاتَهُ وَمَا غَابَ إِلَّا شُخْصُهُ عَنْ عُيُونِنَا فَيَا مُبْغِضِي هَدْي النَّبِيِّ أَلَا ابْشِرُوا سَلَكْتُمْ سَلِيلاً قَدْ قَفَاهَا إِمَامُكُمْ وَعَاقِبَةُ المَتْبُوعِ حَتْمٌ لِتَابِع فَإِنْ أَنْتُمُ كَذَّبْتُمُ بِوَعِيدِهِ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ سَوْطَ نِقْمَةٍ (فَيَا رَبِّ هَلْ إِلَّا بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى قَلَوْا سُنَّةَ المُخْتَارِ يَبْغُونَ مَحْوَهَا

وَيَلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَالِمِمَةُ الظُّهْرِ مُلَوَّرَةٍ جَوْفًا حَلَارٍ مِنَ الكَسْرِ وَحَافِرُ بِئُرِ الغَدْرِ يَسْقُطُ فِي البِئْرِ عَلَى نَفْسِهِ قَدْ جَرَّ فِي ذَلِكَ الحَفْرِ وَسَادِنِ قَبْرِ بَاءَ بِالْخِزْيِ وَالْخُسْلِ أُصِيبَ بِذَاكَ السَّهُم فِي ثَغْرَةِ النَّحْرِ حَقِيرٌ كَفَأْرٍ صَالَ فَي غَيْبَةِ الهرِّ مِنَ النَّسْرِ وَالعُقْبَانِ (١) وَالبَازِ (٢) وَالصَّقْرِ وَيَسْقِيكِ كَأْسَ الحَتْفِ كَالصَّابِ وَالصَّبْرِ وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي) زِدْتَ وِزْراً عَلَى وِزْرِ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ) كَالسَّاقِطِ القَدْرِ كَأُنَّ أَبَاهَا) مِنْ لُؤَيِّ وَمِنْ فِهُ رِ عَدِمْتُكَ إِهْمَالٌ وَذَا دَيْدَنُ الغُمْرِ أَتَتْ عَنْ نَبِيِّ اللهِ ذي الفَتْح وَالنَّصْرِ كَخَادِمِهَا مِنْ بَعْدِ مَا صَارَ فِي القَبْرِ وَأَنْوَارُهُ تَبْقَى إِلَى الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ بِخِزْي عَلَى خِزْي وَقَهْرِ عَلَى قَهْرِ أَبُو جَهْلِ الْمَقْصُومُ في مُلْتَقَى بَدْرِ كَمَا لَزِمَ الإِحْرَاقُ لِلقَابِضِ الجَمْرِ فَكُمْ كَذَّبَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ أُمَمُ الكُفْرِ فصاروا أحاديث المقيمين والسفر عَلَيْهِمْ) إِلَيْكَ الأَمْرُ في العُسْرِ وَاليُسْرِ وَكَادُوا لَهَا فَاجْعَلْ لَهُمْ كَيْدَهُمْ يَغْرِي

⁽٢) في جميع الأصول: (والبازي)!

⁽٤) في «ديوان الهلالي»: «وإن أنت لم».

⁽١) في «ديوان الهلالي»: «والثعبان».

⁽٣) في «ديوان الهلالي»: «تفرحن».

قَلِيلٌ وَقَدْ يَعْلُو القَلِيلُ عَلَى الكُثْرِ وَأَعْدَاؤُهُ لِلْبَغْيِ مِنْ جَهْلِهَا تَجْرِي لِمَنْ يَقْتَدِي بِالمُصْطَفَى مِنْ ذَوي الحِجْرِ وَخَاذِلُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ بِذَا العَصْرِ عَريضُ القَفَا بَيْنَ الوَرَى مُظْلِمُ الفِكْر حَيَاتَهُمُ هَذِي وَفِي مَوْقِفِ الحَشْرِ وَلَكِنَّهُ يَخْفَى عَلَى الفَدْم وَالغُمْرِ فَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ فِي كُلِّ مَا دَهْرِ فَرُؤْيَتُهُمْ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنَ الضُّرِّ عَن الحَقِّ بِالبُرْهَانِ وَالبِيضِ وَالسُّمْرِ بِفِعْل وَأَقْوالِ تَلَأُلاً كَاللُّرِّ مِنَ الشِّرْكِ وَالإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَالنُّكْرِ وَلَمْ يَعْبُدُوا مَيْتاً (٢) بِذَبْعَ وَلَا نَذْرِ فَذَلِكَ فِعْلُ المُشْرِكِينَ ذَوِّي الكُفْرِ مَسَاجِدَ خُصَّتْ بِالفَضَائِلِ وَالأَجْر بَغَيرِ إِلَّهِ النَّاسِ ذِي الخَلْقِ وَالأَمْرِ^(٣) بَنَصٌ كِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الزُّهُ ر كَمَا فَعَلَ المُخْتَارُ مَعْ صَحْبِهِ الغُرِّ لَهُ فَهُمُ الفُرْسَانُ في النَّظْم وَالنَّثْرِ إِذَا مَا) اجْتَمَعْنَا في المَجَالِسَ لِلْفَخْر فَلَمْ يَبْقَ مِنْ زَيْدٍ لِزَيْدٍ وَلَا عَمْرِهِ وَإِتْمَامُ إِنْعَام يَجِلُ عَنِ الحَصْرِ

هُمُ اسْتَضْعَفُونَا اليَوْمَ مِنْ أَجْلِ أَنَّنَا وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ للهِ قَائِماً وَإِدْرَاكُ إِحْدَى الحُسْنَيَين مُحَقَّقٌ وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللهَ مُخْلِفُ وَعُده فَذَاكَ غَلِيظُ الطَّبْعِ أَرْعَنُ جَاهِلٌ تَكَفَّلَ بِالنَّصْرِ الْعَلِيُّ لِحِزْبِهِ فَفِي (غَافِر) قَدْ جَاءَ ذَلِكَ وَاضِحاً سَلَامٌ عَلَى أَنْصَارِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ إِلَيْهِمْ أَجُوبُ البَرَّ وَالبَحْرَ قَاصِداً هُمُ حَفِظُوا الدِّينَ الحَنِيفَ وَنَاضَلُوا هُمُ خَلَفُوا المُخْتَارَ في نَشْرِ سُنَّةٍ هُمُ جَرَّدُوا التَّوْحِيدَ مِنْ كُلِّ نَزْعَةٍ (١) فَلَا قُبَّةٌ تُبْنَى عَلَى قَبْرِ مَيِّتٍ وَلَا بطَوَافٍ أَوْ بِتَقْبِيل تُرْبَةً وَلَا رَحَلُوا يَـوْمـاً لِغَيْرِ ثَـلَاثَةٍ وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا وَلَمْ يَصْفُوا الرَّحْمَنَ إِلَّا بِمَا أَتَى يُقِرُّونَ آيَاتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا فَلَوْ كَانَ فِي التَّأْوِيلِ خَيْرٌ لَبَادَرُوا (أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ وَقَدْ أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ قَبْلُ دِينَهُ بمَائِدَةٍ قَدْ(٤) جَاءَ بِالنَّصِّ خَتْمُهُ

⁽٢) في «ديوان الهلالي»: «قبراً».

ا في «ديوان الهلالي»: «نزغة».

⁽٣) كذا في «ديوان الهلالي»، وفي الأصل: «والأمري»!.

⁽٤) في «ديوان الهلالي»: «لقد».



وَكُمْ زَائِدٍ في الدِّينِ أَصْبَحَ نَاقِصاً وَمَنْ ظَنَّ تَقْلِيدَ الأَئِمَّةِ مُنْجِياً كَمُنْتَحِل عُذْراً لِيُغْفَرَ ذَنْبُهُ أَلَا إِنَّمَا التَّقْلِيدُ جَهْلٌ وَظُلْمَةٌ كَطَالِب ورْدٍ بَعْدَمَا شُفِهَ الظَّمَا فَإِنْ قُمْتَ بِالإِفْتَاءِ أَوْ كُنَتَ قَاضِياً وَجَرِّدْ سُيُوفاً مِنْ بَرَاهِينَ قَدْ سَمَتْ وَطَرْفَكَ سَرِّحْ فِي الكِتَابِ(٢) فَإِنَّهُ وَمِنْ بَعْدِهِ فَاعْلَقْ بِسُنَّةِ أَحْمَدٍ وَلَا تَحْكُمَنْ بِالرَّأْيِ إِلَّا ضَرُورَةً وَمَهْمَا بَدَا أَنَّ القَضَاءَ عَلَى خَطَا وَمَنْ يَقْض بِالتَّقْلِيدِ فَهُوَ عَلَى شَفَا وَمَنْ يُفْتِ بِالتَّقْلِيدِ فَهُوَ قَدِ افْتَرَى لَعَمْرُكَ مَا التَّقْلِيدُ لِلجَهْلِ شَافِياً وَصَلِّ وَسَلِّمْ يَا إِلَهِي (٥) عَلَى النَّبِي فَدُونَكَهَا بِكُراً عَرُوباً خَرِيدَةً يُضِيءُ ظَلَامَ اللَّيْل نُورُ جَمَالِهَا قَصَدْتُ بِهَا نَصْراً لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ وَعِدَّتُهَا تِسْعُونَ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةٍ

يُبَدِّلُ دِينَ اللهِ بِالْحَدْسِ وَالسَحَوْرِ فَأَفْتَى بِتَقْلِيدِ فَيَا لَهُ مِنْ غِرِّ أضَافَ لَهُ جُرْماً تَجَدَّدَ بِالعُذْر وَطَالِبُهُ خُلُوٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالخُبْرِ(١) جَرَى خَلْفَ آلٍ لَاحٌ فِي مَهْمَهِ قَفْرِ فَإِيَّاكَ وَالتَّقْلِيدَ فَهُوْ الَّذِي يَزْرَي عَنِ الحَدْسِ وَالتَّخْمِينَ وَالسُّخْفِ وَاللَّهُتُر رِيَاضٌ حَوَتْ مَا تَشْتَهِيهِ مِنَ الزَّهْرِ فَأَنْوَارُهَا (٣) تَسْمُو عَلَى الشَّمْسِ وَالبَّدْر كَمَا حَلَّتِ المَيْتَاتُ أَكْلاً لِمُضْطَرِّ أُقِيمَ فَبَادِرْ لِلرُّجُرِعِ عَلَى الفَوْرِ كَعَشْوَا (٤) غَدَتْ فِي كَافِرِ حَالِكٍ تَسْرِي وَفِي النَّحْل نَصٌّ جَاءَ فِي غَايَةِ الزَّجْر وَأَمَّا نُصُوصُ الوَحْي فَهْيَ الَّتِي تُبْرِي صَلَاةً تَدُومُ الدَّهْرَ طَيِّبَةَ النِّشْر مُهَفْهَفَةً غَيْدًا عَرُوساً مِنَ الشُّعْر وَلَيْسَ لَهَا (٦) إِلَّا القِرَاءَةُ مِنْ مَهْر وَنَاصِرُهَا لَا شَكَّ يَظْفَرُ بِالنَّصْرِ وأختمها بالحمد اله والشكر قال محمد تقي الدين: تم بحمد الله وحسن عونه (القسم الثالث) _ وهو

⁽١) كذا في الأصل: و«ديوانه»، وفي «مجلة الجامعة الإسلامية»: «والخير».

في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «بالكتاب».

في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «فأنواره».

في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «كهشوا»! (٥) في «مجلة الجامعة الإسلامية»: «إله».

سقطت من «ديوانه» فقط، وزادها بوخبزة.



الأخير _ من كتاب "سبيل الرشاد"، وهذه نعمة عظيمة، كنتُ أتمناها على الله تعالى منذ عشرات السنين، وكان الفراغ منه يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلون من شهر محرم الحرام سنة ست وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة النبي الأكرم.

اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم، وبمحبَّتي واتِّباعي لنبيِّك الكريم، وإن كنت مقصراً أن تعينني على ما بقي، وهو وضع فهرست وافٍ للقسم الثاني، وأن تنفعني به في الدنيا والآخرة، وتنفع به خلقاً كثيراً.

وكان الكاتب لختام هذا الجزء رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري، رزقه الله العلم النافع والعمل الصالح، وجعله من الأئمة الداعين إلى الله على بصيرة، وهداه وهدى على يديه خلقاً كثيراً، وقرأ عليَّ هذا الكتاب وتولى تصحيحه حسب ما أمرته ابني البرُّ خَتَني عبد الغني بوزكري وفقه الله لخدمة الإسلام والمسلمين، وأطال بقاءه، وختم له بالسعادة والغفران، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (۱).

⁽۱) فرغت منه قبل صلاة الجمعة من السابع من رجب سنة ۱٤٢٦هـ الموافق ۱۲ أغسطس من سنة ٥٠٠٥، وعملت على تخريج آياته وأحاديثه من رأس القلم، ووثقت نصوصه وقابلتها على ما فيه حرفاً بحرف، وعلقت على ما رأيته مهماً وضرورياً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثم قرأتُه بعد تنضيده، وزدتُ عليه، وفرغتُ من ذلك في السابع من صفر، وذلك بعد مقابلة بعض إخواني لأصوله على المصفوف، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. ونظرتُ فيه مرة أخرى، وفرغت منه بعد صلاة ظهر يوم الأربعاء من عشري شعبان سنة ٢٠٠٦هـ، وأرجو الله تعالى أن يجعل ذلك في صحيفة الأعمال، وأن ينفع به في الحياة وبعد الممات، آمين آمين.



الموضوعات والمحتويات

سفحة	الم												*.											وع	الموض
o "	٠.		 		• • •		(بالى	ه ته	الله	ات	صف	ئن	ے ء	طيل	التع	ے و	أويل	والتأ	بل و	تمثي	وال	ئىبيە	التنا	• نفو
٦				··.	;																ئته	مشيا	لله و	دة اد	إرا
V :	į.				• .•1•									. • •			ها	سير	وتف	ك	, ذل	، في	ٔیات	ر الآ	ذک
۱۸			 • ,•	• •	• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •				ت)) ;	عية	لشر	ية ا	لدين	وال	رية	لقد	بة ا	كون	31.8	راد	الإ	بين	روق	الف
3.7								• •				·													• إثبا
70	. •		 • •															• •	. ـ	ؤلف	الم	لام	ن ک	مل م	فص
77			 •		• • ;							. '	ٿ)	ه (ه	عليا	ر ڏ	وال	حبة	الم	فة ا	صا	ري	لماز	يل ا	تأو
22			 	••	• •													ب						سل ثا	
44			 		• •									٠.	٠.			٠.							• صف
۳.			 		• •			مة	ظال	ال	ولة.	الد	'ف	خلا	ة ب	<u>ئا</u> فر	ت ک	كانت	لو ک	م وا	تدو	لة:	العاد	ولة.	الد
٣١			 															٠.				بة	التوب	وط	شر
٣٦			 		• •			٠.														رة	مغف	نی اا	مع
٣٧												• •				• •								سام ا	
٤٠			 		• •							• •			٠.		• •	لی	تعا	الله	حمة	الر	ببفة	ت ہ	• إثبا
٤٠			 	٠.	• •												٠ ۴						-	نی ص	
٤٤			 • •		• •											• •				_		1	_	مل م	
27			 		• • •																,			ىل ئا	
٥٠		• •	 •		••	• • • •							• • •		• •									اديث	
٥٠			 	٠.	• •	· · ·			• •			: .											_	ل قا	
٥٢	414	• •	 •		٠.	• • •		• •	• •					فط										لة الر	
٥٣									• •				• • :									,		ىل م	
٥٨	: :	• •	 ٠.		•,•;				• •						ب	مج	وال				_				• إثبا
15		• •				• • .										• •		٠.		(لقدم	وا	جل	لة الر	• صف
٦٤		• •'	 		• '••	• •				• •		٠.	٠		ان	حس	رالإ	ن و	ايما	والإ	Kg	لإس	ني ا	لام ف	• الك
٦٧			 								بها	إلا	ان	نفعا	` تن	ן ו	, و ط	شر	دتين	لهاد	للث	ے:	مؤ له	م لل	کلا



صفحة	الموضوع الم
٧٢	تقسيم القدرية إلى فرقتين وكفر أولاهما والاختلاف في كفر الثانية
٧٣	العمل داخل في الإيمان عند السلف
٧٣	الأدلة على دخول العمل في الإيمان
٧٥	حال الافتراق والاجتماع في الإسلام والإيمان
٧٧	ا فصل من كلام المؤلف
٧٧	هل الأعراب المذكورون في الآية منافقون أم عندهم شيء من الإيمان؟ (ت) .
٧٨	الإيمان يزيد وينقص
۸٠	أحاديث في تفسير الإسلام والإيمان
١	• مباحث في الإيمان
١	المبحث الأول: ما هو الإيمان؟
١	صلة الأعمال بالإيمان (ت)
١٠١	المبحث الثاني: في زيادة الإيمان ونقصانه
۱۰٤	المبحث الثالث: في بيان أن الإيمان لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق
۱۱۰	تعقب الألباني على صاحب الطحاوية (ت)
111	رجوع أبي حنيفة إلى موافقة الجمهور في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد
۱۱۲	مسألة الاستثناء في الإيمان
۱۱٤	بقية أركان الإيمان
119	• الإيمان بالكرام الكاتبين
١٢٠	الإيمان بملك الموت
١٢٠	الإيمان بعذاب القبر ونعيمه
171	حديث البراء بن عازب في وفاة الإنسان وما يجري عليه
371	• الإيمان بالكتب المنزلة
371	حديث: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»
170	كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة
	لا تحتاج الأمة مع القرآن والنبي إلى شيء
	• الإيمان بالأنبياء والرسل
	الفرق بين النبي والرسول
١٣٢	أفضل المرسلين أولو العزم
	لا ولاية لله إلا بالاتباع
	الواجب علينا للرسل، والأشياء التي تجوز عليهم، والأدلة على صدقهم وما
122	أبدهم الله به



صفحة	리	الموصوع
144.	, 	فصل من كلام المؤلف
148		بيان العلماء النكرة في قصة داود (ت)
		البحث في المعجزات
131		الواسطة بين الله وبين خلقه في التبليغ .
		عدد الأنبياء والرسل والكتب المنزلة
		عدد الكتب المنزلة غير معلوم
		• الإيمان بالبعث وما بعده
		فصل من كلام المؤلف
		قصة وقعت للمؤلف مع نصراني متعصب
	·	رجوع إلى البحث في المعاد
۱٤۸		قف على نظرية تحلل الأجسام
189		جزاء الأعمال
		العرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب
		حديث: «من نوقش الحساب عذب»
108		فصل من كلام المؤلف
100	'	صفة حوض النبي ﷺ
		حديث: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»
		حدیث: «أنا فرطكم على الحوض»
		المرور على الصراط
		أحاديث المرور على الصراط
		حديث: «لا يلج النار أحد بايع تحت النا
		حديث: «عَلَم الناسَ سنتي وإن كرهوا ذل
		فصل من كلام المؤلف
		حديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان» .
	• •	حديث البطاقة
		كلام للمؤلف يوضح المعنى
		الإيمان بالجنة والنار وفيه مباحث
	ودتان	
ŀ	حتج بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا ۥ	المنحث الثاني: في رد شبهة من ا-
		ر در این



مفحة 	الع	لموضور
۱٦٨	لمبحث الثالث: في ذكر شيء من الأدلة التي تثبت عقيدة أهل السنة	1
	حتلاف في فناء النارُّ بين أهلُّ السنة	
177		
۱۷۳		
۱۷٤	قة معنى الاعتقاد بالقدر من كلام الخطابي	
۱۷۷	ل من كلام المؤلفلل	فصإ
۱۷۸	ه الله تعالى عن الظلمه	تنزيا
1 / 9	بث: «إن الله ليملي للظالم»	حدي
۱۸٤	ع الميت بعمل الحي	• انتفا
19.	ور المبتدعة التي لا تنفع الميت	الأم
19.	ها: ما يسمى عند المغاربة بعشاء القبر	
191	ها: قراءة القرآن وإهداء ثوابها للأموات بأجرة أو بغير أجرة	ثانيو
190	ة عجيبة أخرى: (الفدية)	
	عتقده المسلم في الخلفاء الراشدين وسائر أصحاب رسول الله أجمعين	
191	<u> </u>	
۲.,	ل في بيان معنى ما تقدم من الأحاديث	
7 • 7	فة عمر بن الخطاب رفي المنظمة المستعمر بن الخطاب المنظمة المستعمر بن المنطاب المنظمة المستعمر	
3 • 7	ر عمر بن الخطاب	
Y • V	افة عثمان بن عفان وفضله	
Y•A	رفة علي بن أبي طالب	
۲۱.	ائل الخلفاء الراشدين جملة	
۲۱۰	ب الخلفاء الراشدين في الفضل	
Y 1 Y	ل العشرة المبشرين بالجنة	
1 1 V Y 1 A	يشهد أهل السنة لأحد بالجنة إلا بنص من النبي ﷺ	
	يث وفاة عثمان بن مظعون	خد
719	ل من كلام المؤلف	قصہ ذک
' ' ' 'Y' •	. سماحه السيخ عبد العرير بن عبد الله بن بار رحمه	دور ااذه
777	مل الثاني: في فضل المتعلقين بالشيخ أحمد التجاني	
	على الاتحاديين كابن عربي	
	مان بأشراط الساعةمان بأشراط الساعة	



الموضوع الصفحة فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ فصل في ذكر أزواج النبي ﷺ بالتفصيل وذكر بعض فضلهن ٢٣٧ خديجة بنت خويلد خديجة بنت خويلد عائشة الصديقة بنت الصديق المسابق الصديقة بنت الصديقة بنت الصديقة بنت الصديق الصديق الصديق المسابق المساب حفصة بنت عمر بن الخطاب ميمونة بنت الحارث الهلالية ٢٤٧ أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ٢٤٥ سودة بنت زمعة القرشية العامرية ٢٤٩ زينب بنت جحش الأسدية ٢٤٩ صفية بنت حيى بن أخطب الخيبرية ملحق في فضائل صفية ٢٥٧ زينب بنت خزيمة الهلالية ٢٥٧ • أسماء الله الحسني فصل في شرح هذه الأسماء المباركة ٢٥٩ حديث: «اللهم أنت الأول»٧٠٠ حديث: «اللهم أنت الأول» حديث: «اربعوا على أنفسكم» ٢٧٨. قصيدة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي في نظم أسماء الله الحسني ٢٨٠٠٠٠٠٠ • جيوش الشعر YAY.......... قصيدة على بن سليمانقصيدة على بن سليمان الشهب المرمية على الجهمية والمعطلة، للشيخ أحمد بن مشرف ٢٩٣٠ فصل في اعتقاد السلف الصالح فصل في الإيمان بالقضاء والقدر وما يتعلق بذلك القصيدة البائية في الحث على مكارم الأخلاق للصنعاني٢٩٩٠ الكتيبة المظفرة للمؤلفالكتيبة المظفرة للمؤلف ختام الكتاب ۱۳۰۸ والمحتویات